النزعة العربية

في حياة أمين الريحاني ومؤلفاته

The Arab Tendency in The Life and Works of Ameen Rihani

إعداد

إيلي ج. مقبل

رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى.

الجامعة الأميركية في بيروت.

آب ١٩٧٥

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

The Arab Tendency in The Life and Works of
Ameen Rihani

النزعة العربية في حياة امين الريحاني ومؤلفاته

By

Elie Mukbel

Approved:

N. Naimy

Professor Nadeem Naimy — Advisor

Professor Ihsan Abbas — Member of Committee

Professor As'ad Khayrallah — Member of Committee

Sami N. Makarem

Professor Sami Makarem — Member of Committee

Date of Thesis Presentation: August, 1975 .

" THESIS RELEASE FORM"

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

I; Elie Mukbel :

☐ do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals.

Elie Mukbel

Signature

Date: August 29, 1975

النزعة العربية

في حياة أمين الريحاني ومؤلفاته

The Arab Tendency in The Life and Works of Ameen Rihani

إعداد

إيلي ج. مقبل.

زسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى.
الجامعة الأميركية في بيروت.
آب ١٩٧٥

الفهـــــرس

كلمـــة تمهيـــديـــة

تهدف هذه الرسالة التي تحمل اسم "النزعة العربية في حياة أمين الريحاني ومؤلفاته" الى تتبّع تلك النزعة وتحليلها كما تجلّت عند الريحاني الانسان والمؤلف . والريحاني الذي تداخلت في نتاجه قضايا السياسة والدين والاجتماع والشعر والفلسفة فتعدّدت جوانب عطائه إنما أفرد للقضية القومية العربية ، رحّالة وخطيبا وكاتبا ، جزءا واسعا من نشاطه . تأتي هذه الرسالة كمحاولة يقصد منها تسليط الضوء على هذا الجزء بالذات دون سائر وجوه نشاطاته الانسانية ، وهو جزء كاد الريحاني ان يتفرّد به دون سائر زملائه في المهجر الشمالي .

صحيح ان القضية القومية العربية التي خصّها الريحاني بالكثير من جهوده ، لم تظهر كحركة لها أهميتها وأهدافها السياسية الا حوالي آخر القرن التاسع عشر[1] . إلا ان هذه الحركة لم تعدم ، قبل ذلك التاريخ ، وخاصة بين نصارى لبنان ، موطن الريحاني ، مفكرين تنبّهت فيهم روح العروبة فعمدوا الى دعوة العرب جميعا ، نصارى ومسلمين ، الى بعث الميراث المشترك وبناء المستقبل الواحد[2] . ولعل بين ألمع هؤلاء اسماء مثل اليازجيين والبساتنة والعازوري وغيرهم . ويأتي الريحاني في الثلث الأول من القرن العشرين حلقة

---

(١) راجع ، الفكر العربي في عصر النهضة . ص: ٣١٣ .

(٢) يقظة العرب . ص : ٤٠ .

جديدة اكثر تكاملا ونضجا وربما موضوعية ايضا ـ تضاف الى هذه السلسلة .

ثم إن هذه الرسالة رمت الى تحقيق شيء من الجدّة في محاولتها أن تطرق جانبا للريحاني لم يزل ،على صورة نسبية ،غير مستوف حقّه من البحث العلمي .

وقد اخترنا في دراستنا ان نقسم البحث الى أربعة أقسام او فصول . مدار الأول حياة المؤلف وآثاره ،عرضنا فيه لأهم ما حفلت به حياة الرجل من أحداث ،كما تابعنا تسلسل صدور مؤلفاته المختلفة . ثم آثرنا ان نعرض لجهوده العربية كما توزّعها ما عدّه الريحاني "الوطن الكبير". فأعددنا لهذا الأمر فصلين هما الثاني والثالث . أما الفصل الثاني فمداره الإطار السوري وتنتظم ضمنه دوائر هي لبنان وسوريا وفلسطين . وأما الفصل الثالث فيتضمّن جهوده على صعيد شبه جزيرة العرب والعراق ثم ما رمى إليه من تحقيق للوحدة العربية الكبرى . وعزمنا آخر الأمر على استجلاء مدى الصفاء في نزعته العربية فأنشأنا الفصل الرابع والأخير لهذه الغاية واستندنا في بعض نواحيه الى مجموعة مصوّرة من رسائل للريحاني هي غير منشورة بعد .

الفصل الأول

أمين الريحاني : حياته وآثاره.

أميـن الريحـانـــي : حياتـــه ـ ثقافتـه ـ آثـاره ٠

ولد أمين الريحاني في الرابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٧٦ في قرية الفريكة في قضاء المتن من لبنان ٠

في تلك القرية الوادعة فتح الريحاني عينيه "على بيئة مارونية متديّنـة، مغلقة على نفسها ،تعيش بخوف التركي وبخوف بعبع التطاول على التقاليد ،٠٠٠ وفتح أذنيه على الكرازة باجتناب الهراطقة والكفار٠٠٠" [١] إن هي إلا البيئة الجبلية اللبنانية بمناخها المعروف حيث تتلازم السذاجة أو سلامة الطوية والجهد الدائب والكد المتواصل في سبيل تأمين لقمة العيش٠ لا عجب ،فالثقافة بدائيـة والسياسة لا تتجاوز المحلّيات ،أما الموارد فمحدودة قوامها زراعة التوت والكرمـة وتربية القزّ والماعز والأبقار [٢].

نشأ أمين الريحاني في قريته صبيًا متدفق الحيوية ،يميل الى الحركة والمغامرة [٣]٠ لما بلغ الثامنة من عمره ،عهد به والده الى كاهن القرية فألمّ بمبادئ القراءة وبشيء من مزامير داوود ثم نقله أبوه الى مدرسة علمانية أنشأها نعوم مكرزل ،قبل ان هاجر الى الولايات المتحدة الأميركية،وجعل مركزها دير مار جرجس بحردق بين الفريكة والشاوية،وكان الريحاني في العاشرة من عمره آنذاك [٤]. وحدث ان مرّ قنصل فرنسا ببلدة عين عار في طريقه من بيروت الى مصيفه ببكفيا فخرج تلاميذ المدرسة يرحّبون بسعادة القنصل في ساحة البلدة ٠٠ وكان المعلّم

---

(١) أمين الريحاني ٠ سيرته وأدبه ٠ ص: ١٦ ٠

(٢) راجع ،قلب لبنان ٠ ص: ٨٢ ،٣٩١ ٠

(٣) م ٠ن ٠ ص: ٣٩١ ـ ٣٩٢ ٠

(٤) م ٠ن ٠ص : ٨٧ ٠

قد نظم في مدح القنصل ودولته قصيدة رنّانة واختار الريحاني لإلقائها ،فألقاها بلهجة أعجبت القنصل ،فخصّه بعطفه ووعده بأن يصطحبه الى بلاده ليتعلّم في إحدى مدارسها • وبعد هذا الفوز اعترى الريحاني شيء من الزهو أثر في دروسه وسلوكه تأثيرا سلبيا (١).

في سنة ١٨٨٨ ،أبحر أمين الريحاني الى نيويورك بصحبة عمّه "عبدو"، وأستاذه نعوم مكرزل • يقول : "كنت في الثانية عشرة من عمري عندما سافرت للمرّة الأولى الى الولايات المتحدة ،فلم أكن أعرف غير اليسير من اللغتين العربية والفرنسية ،وما كان في ذهني من العرب غير ما كانت تسمعه الأمهات في لبنان صغارهن • "هس ،جا البدوي"! والبدوي والأعرابي واحد إذا رامت الأم بعبعا تخوّف به أولادها • هجرت وطني وفي صدري الخوف ممّن أتكلّم لغتهم ،والبغض لمن في عروقي شيء من دمهم ،والبغض والخوف هما توأما الجهل ••• أما الأمة الفرنسية فما كنت أعرف من أمم الأرض سواها • ولكنّها معرفة مطوّسة ،كانت المدارس تنشر أذنابها في لبنان : إنّ فرنسا لأعظم أمم الأرض ،هي أشرفها وأغناها وأرقاها •" (٢)

وصل الريحاني الى نيويورك ،مدينة العجائب ،مدينة الآلات والاحجام والضجيج والدخان (٣) • هناك أدخل عبدو الريحاني ابن أخيه مدرسة راهبات المحبة ليتعلّم اللغة الانكليزية فيصير قادرا على أن يساعده في العمل التجاري (٤). وبعد مدّة من الزمن وصل أبو أمين الى نيويورك ،فترك الطالب مدرسته وعاد الى

---

(١) راجع ،قلب لبنان • ص: ٨٩ •

(٢) ملوك العرب • ج ١،ص : ٥ •

(٣) راجع وقع الاطلالة الأولى على العالم الجديد في نفسه كما وصفها في "كتاب خالد" (The Book Of Khalid) ص: ٥٤ـ٥٥ •

(٤) راجع ،أمين الريحاني ، سيرته وأدبه • ص : ٢١ •

محلّ عمّه يديره ويضبط حساباته • لكن عمله في التجارة لم ينقطع به عن المطالعة، فقرأ بعض المنتخبات لأعلام الأدب الفرنسي والانكليزي ، ومن جملتها بعض آثار فولتير وروسو وبيرون (١) .

والحق أن الريحاني قد عرف مدّة اقامته الأولى في نيويورك " متناقضات عدة هيأت لشخصية الإنسان والأديب في المستقبل " (٢) • لقد انتقل من شمس لبنان وحنان الأم الى " قبو مظلم ،تحت مستوى شارع واشنطن،تغمره مياه المطر في الشتاء فينتشلها بالدلو ••• وفي صدره نقمة متأججة على المتكئين على وسائد الريش المتسربلين بالخز والحرير" (٣) • وربّما أورثته ليالي السهر الطويل والبرد والرطوبة في ذلك البيت مرض العصبي الذي عانى منه طوال حياته (٤) •كما فتحت له القراءة آفاق المعرفة فإذا به أسير أوراق حسابية جافة تستهلك منه الصبر والأعصاب •

في هذه الفترة عرف الريحاني تجربة الطيش والمجون ثم التحق بفرقة تمثيلية (٥) سحابة أربعة أشهر وأصاب بعض النجاح فيها • وفي "بيئة الممثلين العابثة المحمومة تأصل المجون في الأمين تأصلا غلب على ارادته الطرية" (٦) • إلا أن الفرقة

---

(١) راجع، أمين الريحاني ،سيرته وأدبه • ص : ٢٢ •

(٢) أمين الريحاني رحالة العرب• ص: ٢٠ •

(٣) أمين الريحاني ،سيرته وأدبه• ص: ٢١— ٢٢ ، وكتاب خالد • ص: ٦٢—٦٣ •

(٤) ذكر أخوه ألبرت انه أصيب سنة ١٩٠٧ بمرض عصبي في يده اليمنى رافقه ثلاثا وثلاثين سنة حتى وفاته• راجع ،أمين الريحاني ،تآليفه حياته،ومختارات من آثاره•ص: ١٨ •

(٥) راجع،رسائل أمين الريحاني • ص : ٩ •

(٦) أمين الريحاني ،سيرته وأدبه • ص: ٢٥ •

التمثيلية أشرفت على الإفلاس ،فتركها الريحاني وعاد الى ذويه ليجدد ماضيه ويلملم شتات نفسه ويعود الى قراءاته . يقول ذاكرا تلك المطالعات : " كانت مطالعاتي الأولى باللغة الانكليزية ،فقرأت شكسبير وبيرون وشيئا من فيكتور هوغو مترجما ،ثم انصرفت الى الكتب الاصلاحية والعلمية والتاريخية . وما أزال أذكر منها " زمن البرهان " لتوماس باين ، و " آثار الدول " لفولني ، و "ولدن" لثورو ، والقصص لفولتير ،و "الثورة الفرنسية" لكارلايل ،و "العقد الاجتماعي" لروسو ،و " النزاع بين العلم والدين" لدرابر ،ومجموعة مقالات ومحاضرات في المذهب الدارويني لتوماس هكسلي "(١) . ثم انقطع الى مدرسة ليلية يتهيأ لامتحان الحقوق فجازه بنجاح سنة ١٨٩٨ ، ودخل جامعة نيويورك . إلا ان القوانين الجافة لم تصادف كبير هوى في نفسه . تملكه قنوط راح يبدده بالمطالعة أو بالكتابة وتسجيل الخواطر بلغة ركيكة يبعث بها مقالات الى جريدة "الهدى" (٢) ،فكان "محررو تلك الجريدة يهذبون عباراتها ويصححون تراكيبها قدر المستطاع" (٣) . كان يحاول الافصاح فتخونه لغته العربية . كتب يقول في سنة ١٨٩٨ : " يروى عن بعض الكتاب والشعراء أنهم ألفوا الكتب وهم أحداث ،وأنا قد بلغت الثانية والعشرين من عمري ولم اكتب مجلدا " (٤).

---

(١) أدب وفن . ص: ٤٨ .

(٢) صحيفة الهدى ،أنشأها نعوم انطون مكرزل اسبوعية في فيلادلفيا سنة ١٨٩٨ ثم نقلها الى مدينة نيويورك سنة ١٩٠٢ فصارت تصدر يوميا . عنيت بالشؤون الاجتماعية السياسية وكانت مرآة الجالية السورية في الولايات المتحدةالاميركية ودليل رأيها وسجل وقائعها . راجع بشأنها كتاب : "تاريخ جريدة الهدى والجوالي اللبنانية في أميركا ١٨٩٨-١٩٦٨" .

(٣) أمين الريحاني ،سيرته وأدبه . ص : ٢٩ .

(٤) أمين الريحاني ،تآليفه ،حياته ،مختارات من آثاره . - الفاتحة -

سنة ١٨٩٨ عاد الى لبنان استشفاء من مرض العصبي ٠ أقام في الشاوية، قرب الفريكة ، يتداوى بالطبيعة الهادئة ويصلح من أمر لغته العربية ما وسعه ذلك٠ هناك دخل "مدرسة قرنة شهوان استاذا للّغة الانكليزية وتلميذا للغة العربية" (١) كتب عن مطالعاته العربية في تلك الفترة ،قال : "أما في اللغة العربية ،فأول كتاب طالعته هو نهج البلاغة ثم اللّزوميات ثم مقامات الهمذاني ورسائل الخوارزمي ٠ واذكر اني قرأت كثيرا في "نفح الطيب" للمقري وفي الأغاني" (٢) ٠ وقد استوقفه ديوان المعري ،فعكف على اللزوميات يريد ترجمتها الى اللغة الانكليزية٠ والحق انه وجد في اللزوميات ما لاءم نفسيته وبخاصة تلك النزعة الى الحيرة والشك والتمرّد والثورة على هدى من العقل ،وذلك التناقض الذي وافق شخصيته وهي لم تكتمل بعد أو تجد ذاتها ٠ كتب يقول عن اللزوميات سنة ١٩٢٧ : "وإنك اذا عدت الى اللزوميات لتجد المعري نفسه متناقض العقيدة ،يوما مؤمنا ويوما كافرا ٠" (٣)

وفي خريف ١٨٩٨ عاد الى أميركا حاملا معه "أبا العلاء" ،وفي نفسه الأسى لما رآه من اوضاع بلاده وقومه وما شاهده من تنابذ وفرقة وتقاليد عقيمة وتسلط من جانب رجال الدين وتعسّف٠

---

(١) أمين الريحاني ،حياته وآثاره ٠ ص: ٢٢ ٠

(٢) أدب وفن ٠ ص: ٤٨ ٠

(٣) رسائل أمين الريحاني ٠ ص: ٣١٣ ٠

في ليلة ٩ شباط سنة ١٩٠٠ ألقى الريحاني في احتفال " جمعية الشبان المارونيين " في نيويورك ،خطبته في التساهل الديني [١] . خطب يقول : " لكل دين حق البقاء فلنتساهل في الدين ... وليبق كل على دينه إذا دلّه عقله على صحته ... ولتجمعنا الوطنية إذا فرقنا الدين ... إن التساهل هو أساس التمدن الحديث وحجر زاوية الجامعة المدنية " [٢] . قسمت هذه الخطبة الحضور فريقين ،وانبرى كاهن يسفّه أقوال الأمين ،لاعنا موبخا ،مسجلا بداية الاصطدام بين الريحاني ورجال الدين [٣] . وقد كانت هذه " أول خطبة للريحاني بالعربية وانتشرت في مصر وسوريا وأميركا " [٤] ، وأعيد طبعها مرّات ،وكانت البذرة التي نمت لتثمر في ما بعد كتاب " المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية " سنة ١٩٠٣ . انصرف الريحاني بعد ذلك الى تجارته وقراءاته . اختطّ لنفسه منهجا صارما قوامه مطالعات تمتد من الخامسة مساء حتى منتصف الليل يحدوها عزم على التأليف والكتابة . كتب يقول : "أفتكر في أمور كثيرة وأعزم على تأليف الكتب وكتابة الرسالات . قد انتهيت مؤخرا من "المحالفة الثلاثية" ولكن سوف لا أطبعها قبل ان أصير قادرا على تصليح لغتها بنفسي " [٥] . ثم يعين ما ينبغي عليه اتمامه في السنتين ١٩٠١ الى ١٩٠٣ من درس للغة العربية ومطالعة ابن خلدون ومراجعة حضارة الاسلام

---

(١) راجع ،الريحانيات . ج ١ ،ص : ٤٠ .

(٢) م . ن . ص : ٤٨ـ ٥٧ .

(٣) راجع ،الريحاني ومعاصروه . رسائل الادباء إليه . ص : ١١ .

(٤) الريحانيات . ج ١ ،ص : ٦٠ .

(٥) أمين الريحاني ،تآليفه ،حياته ،مختارات من آثاره . ص : ١٦ .

ونهج البلاغة والحريري والدرر والغرر ومطالعة تاريخ مصر لزيدان وتكميل قراءة التوراة • ثم مراجعة علم الفيزيولوجيا وعلم الحيوان والنبات ،وقراءة الكتب التالية:(١)

Darwin's; Origin of Species and Descent of Man.

Huxley's : Man's Place in Nature.

Spencer's : Data of Ethics.

Allen's : Life of Darwin.

Henri George's: Progress and Poverty.

بالإضافة الى درس اللغة الإفرنسية ومطالعة:

Voltaire's : Louis XIV .

Victor Hugo's : Morceaux Choisis.

" " " Extraits".

ويبدو ان الريحاني ،في حماسته للقراءة ،راح يقصد المكتبات ليتزوّد من الثقافة • كتب يقول عام ١٩٣٩ وهو يذكر هذا العهد من حياته : "كان شبل دموس رفيقي في غزوات المكاتب الانكليزية فتغذينا بالغذاء الواحد ،وجعلنا إنغرسول وتوم باين وروسو وفولتير من حواضر البيت على الدوام" (٢) • ويستمر فيصف كيف كان مع رفيقه ،في طليعة المجاهدين ،في نظر نفسيهما ،الحاملين لأمتهم قبسا من الجوزاء ونارا من الجحيم للظالمين ،يعتزان بالقلم والكتاب ويبشران باليوم السعيد ، يوم تشييد الأبراج الذهبية في البلاد العربية• ويصرح أيضا ان ما كان يربطه

---

(١) أمين الريحاني ،تآليفه ،حياته ،مختارات من آثاره • ص: ١٦ ـ ١٧ •

(٢) وجوه شرقية غربية • ص: ١٤٤ •

خصوصا بشبل دموس هو حب الثورة الفرنسية والاعجاب بمبادئها ورجالها وبكل ما يتعلّق بها. وقد حاول ان ينقل الى بني قومه تجربة الغرب، او الثورة الفرنسية، فوضع كتابه عنها ونشره سنة ١٩٠٢، مصرحا أنه كتبه "من أجل السوريين الذين لا يعرفون اللغة الانكليزية أو الفرنسية" (١). ويبدو ان هذه الثورة قد أذكت طموحه الى الإصلاح فاندفع لمحاربة التعصّب الطائفي وسيطرة رجال الدين. جاء كتابه "المحالفة الثلاثية" سنة ١٩٠٣، ردة فعل على الأوضاع الدينية والإجتماعية التي تحول دون تقدم ابناء قومه. و "المحالفة" كتاب رمزي يدور على الحيوانات التي خافت انهيار سلطتها أمام نهضة العلم والاختراعات فعقدت مؤتمرا طريفا، وقف أثناءه الثعلب المتنوّر، وهو يرمز الى المؤلّف، فندّد بتعسّف رجال الدين وسخر من التقاليد البالية والممارسات السخيفة. كذلك دعا الى قتل الاختلافات اللاهوتية وتنقيح الشرائع ونبذ الخرافات والخزعبلات التي تشوّه وجه العقائد (٢). إلّا أن المؤتمرين تألبوا على الثعلب وكفّروه ثم أعدموه. وبينما هم سائرون ذات يوم على الطريق صفر قطار العلم، القائد عربات البخار والكهرباء والاختراعات، فمرّ فوقهم جميعا "فسحقهم وتطايرت رؤوسهم وتشتّتت أعضاؤهم على طريق التمدن الحديث" (٣).

أحدث ظهور المحالفة ردّة فعل عنيفة من جانب رجال الدين وممالئيهم، فرمي الريحاني بالكفر. وقد عاد فأفرغ فيض ثورته على الإكليروس عام ١٩٠٤ في كتابه "المكاري والكاهن"، وقبّح أعمال المتاجرين باسم الدين. وكان حصاد كتابيه حرم

---

(١) نبذة في الثورة الفرنسية . ص: ٧ .

(٢) راجع، المحالفة الثلاثية . ص: ٧٧ .

(٣) م . ن . ص: ١٣٠ .

أنزل به و " منع المؤمنون من محادثته او الإجتماع به" (١) .

وفي سنة ١٩٠٣ ،طبع الريحاني "رباعياته" المترجمة ،من شعر أبي العلاء بعد وقت طويل أمضاه مراجعا منقّحا ،حتى رضي عن الترجمة تماما ،واختار مادته من "لزوم ما لا يلزم" و "سقط الزند" . وفيّ سنة ١٩٠٥ أصدر بالانكليزية ديوانه " Myrtle and Myrrh " "المرّ واللبان" مرسلا فيه "شعرا خافقا بغصة الغريب وشوقه الى معانقة أمه واختيه والتبرّك بثلج صنين.." (٢) . سنة ١٩٠٥ عاد الى الوطن يسبقه الحرم الذي طالب باستصداره جماعة من ذوي الغيرة على الدين ،وقد ألّفوا لجنة دفاع عن الفضيلة والايمان و "راحوا يحتجون الى أسقف الأبرشية ويطلبون مساعدته في استئصال شأفة الكفر من بينهم . فاستجاب سيادته لطلبهم وأصدر حرما كبيرا رهيبا يمنع فيه أمين فارس الريحاني من قبول الأسرار الكنسية ومن شركة المؤمنين ومخالطتهم" (٣) . وقد ذكر الدكتور جميل جبر ان الريحاني مرّ بمصر في طريقه الى لبنان فقضى فيها فصل الشتاء " زار في أثنائه الخديوي عبّاس حلمي واتّصل بأبرز الأدباء والزعماء السياسيين وباحثهم في أحوال الشرق العربي" (٤) . ثم عاد ليستقرّ في الفريكة مؤثرا الوحدة الكلّية على مخالطة الناس ، فكتب الى الأسقف يشكره على الحرم وإلى أهل الفريكة يحضّهم على طاعة أسقفهم (٥) ، واتّخذ الوادي منسكا له . قال : " سنة صفت فيها الحياة وازدهت

---

(١) أمين الريحاني ،حياته وآثاره . ص : ٢٣ .

(٢) أمين الريحاني ،سيرته وأدبه. ص : ٥٣ .

(٣) قلب لبنان . ص: ١٠٤ وراجع أيضا "كتاب خالد" ص : ٢٠٠ و ٢٠٢ .

(٤) أمين الريحاني ،سيرته وأدبه. ص : ٥٥ .

(٥) راجع ،قلب لبنان . ص : ١٠٤ .

فانعكس في الروح نورها ،ونوّرت في النفس زهورها وردّد القلب صدى أصوات الوادي وأغاريده " (١) . لكنّ عزلته لم تطل ،اذ دعته الخطابة فأخرجته من أحضان الطبيعة . قال يذكر خطبته الأولى : " أعطيتهم ما عندي ،حملت على حصونهم الإجتماعية والسياسية والدينية حملة مباركة موفّقة ... عدت الى منسكي وقد داخل قلبي ما أفسد علي السعادة البريئة في ذلك الوادي ،فانتهى عهد الغبطة ،وابتدأ عهد الخطابة . وكانت الخطبة الأولى في جمعية شمس البرّ ،في كنيسة الأميركان ،في السنة الأخيرة من عهد عبد الحميد " . (٢)

تتالت خطبه بعد ذلك وموضوعاتها الحرية والتساهل الديني والتعليم الوطني وحب الوطن ونبذ نفاق السياسيين . وفي رسالة الى صديقه جرجي بك سرسق ، عائدة الى العام ١٩٠٦ يقول : " أنا يا أخي من أطباء الأمة ،بل من جرّاحيها . إن الورم في جسم الأمة نازع الى الإسوداد وقد حان بضعه . فالعمل العمل . تراني بين هؤلاء الشعث من السياسيين واقفا لهم بالمرصاد ... وإن ليومهم في هذه البلاد غدا هائلا " (٣) .

---

(١) القوميات . ج ٢ ،ص : ٦٩ .

(٢) م . ن . ص : ٦٩ — ٧٠ .

وهي خطبة بعنوان " هنا وهناك " تجدها في كتاب القوميات ،الجزء الأول ، ص: ٣٠ . وقد رفضت خوفا من المراقبة فلم يلقها على ما ذكر في كتابه الريحانيات، الجزء الأول ،ص: ١٧٦ . غير أنه عاد فألقى خطبته المسماة " في العزلة " عوضا عنها في بيروت ١٩ آذار سنة ١٩٠٨ . راجع الريحانيات ج ١ ، ص : ١٧١ .

(٣) رسائل أمين الريحاني . ص: ٩٨ .

في سنة ١٩٠٧ ،سافر الريحاني الى مصر ،ومنها كتب الى محمد كرد علي [١] يقول : "إني لأحزن عندما أقرأ في صحف الأخبار شيئا عن جمود المسلمين وفتورهم ،وأفكر في مثل هذه المواقف فيك وفي اخوانك القلائل العاملين على ردّ الدين الى طهارته الأصلية ،الباذلين مهجهم في سبيل العلم الصحيح والحرية الحقيقية. فسلام عليكم من أخ لكم في الرأي والجهاد" [٢] . وفي الرسالة نفسها يصرّح عن شوقه الى زيارة البلاد العربية وما تكنّه نفسه الشرقية العربية لتلك الربوع من حنين .

في ربيع عام ١٩٠٧ عاد الى لبنان . وفي سنة ١٩٠٨ ،أعلن الدستور العثماني مسجلا انتصار المعارضة التركية للاستبداد الحميدي والمطالبة بضرورة إحياء دستور ١٨٧٦ المعطل . وما كان الدستور الا توطئة للاستقلال الحقيقي في نظر الريحاني ، الاستقلال الصحيح الذي يكمن في التخلص من الآفات ،وبكلمة ،في النهضة الأخلاقية الروحية العلمية ،مفتاح الحرية الحقيقية . قال بعيد سنة من اعادة العمل بالدستور : " مضت سنة من عهد الدستور وما ولدت حرية اللبنانيين إلا الكلام .. الشعب المفلج ماذا تنفعه الحرية والنفس فيه صمّاء" [٣] . فالحرية الحقيقية هي " الحرية المثلّثة التي هي واحدة ،اى الحرية الروحية والحرية الخلقية والحرية المدنية ،وإن كان المرء حرّا

---

(١) محمد كرد علي . رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق . كاتب ومؤرّخ وصحافي . راجع بشأنه كتاب " مصادر الدراسة الأدبية " الجزء الثاني ،ص : ٦٥٥ .

(٢) رسائل أمين الريحاني . ص: ١٣٢ .

(٣) القوميات ج : ١ ،ص : ٥ ـ ٧ .

سياسيا ومقيدا دينيا وخلقيا ،فحريته ناقصة.»[١] وقد بقي الريحاني في لبنان سنوات ثلاثا بعد اعلان الدستور العثماني ،يكتب ويخطب ويرسل المقالات الإصلاحية الى الصحف[٢]. ساءه ان تبقى الحالة في البلاد كما كانت قبل الدستور ، وأن لا تكون الأوضاع في عهد أنور ونيازي وطلعت ،آباء العهد الجديد ،الرافع شعار الحرية والعدالة والمساواة،أحسن منها في عهد الحميد .

في سنة ١٩٠٩ أنجز مسرحيته " عبد الحميد في سجن الاستانة " ،ومثلت للمرة الأولى في المسرح الجديد ببيروت في السنة ذاتها . وألقى بالمناسبة خطبة عنوانها " المساواة "[٣] وفيها حضّ على استقاء موضوعات التمثيل من تاريخ العرب أو واقعهم الإجتماعي . قال : " كفانا ترجمة للروايات التي قلّما تنطبق على حالنا ، وحان أن نضع تاريخنا على المسرح . ومن العجز ان نتهافت على موائد الإفرنج وعندنا في تواريخنا العربية وفي حياتنا الإجتماعية من الحوادث والعبر ما كان يكفي ساردو وروستان وإبسن خمسين عاما لو تفرّغوا لدرسه ووضعه في قالب التمثيل ."[٤] أما مسرحية "عبد الحميد " فتنتمي الى الخط الوطني الرافض لسياسة الترك الغاشمة التي جسّدها عهد هذا السلطان . وفي وجه عبد الحميد يطلق الريحاني ثورتـه على لسان " حيدر " أحد عبيد السلطان السابقين وقد راعه ان يجد الطاغيـة

---

(١) القوميات ج ١ ،ص: ١٩٤ .

(٢) م . ن . ص : ٥ــ ٧٤ .

(٣) راجع ،الريحانيات ج ١ ،ص: ١٩٤ .

(٤) م . ن .

مكرّما في سجنه مما يثبت غياب المساواة امام القانون الذي يطلب عقابا واحدا لمن ساوت بينهم الجرائم والآثام[(١)] .

في سنة ١٩١٠ صدر للريحاني الجزءان الأولان من " الريحانيات" يحويان مقالات وخطبا ،جادة حينا وساخرة أحيانا ،فيها صدى للطبيعة وأصداء تندّد بالجهل والتعصّب والتقاليد البالية والعادات السخيفة .

في ربيع ١٩١٠ سافر الى باريس ثم تركها الى لندن حيث أمضى فترة بصحبة جبران . قال : " مدة اقامتي في لندن شاهدت كل متاحفها والمعرض، ودعيت الى جمعيات أدبية عديدة .. وكان معي صديقي جبران خليل جبران" [(٢)] . ثم عاد الى نيويورك ،وفي اوائل سنة ١٩١١ أصدر في أميركا كتابه "The Book Of Khalid " (كتاب خالد) ،مصوّرا من خلاله عقلية المهاجر اللبناني في المغترب: أخلاقه وانطباعاته وآراءه . والكتاب صورة لمؤلّفه ،رسم عبر بطله خالد، تجربة الاغتراب ثم عودة المهاجر المتحرّر الى بلاده واصطدامه بالمؤسسات الروحية والمدنية بسبب أفكاره حول الدين والمجتمع . وقد مكث الريحاني في أميركا عاما او بعض عام ليعود سنة ١٩١١ الى لبنان ،راغبا في زيارة الأقطار العربية جميعا . قال : "وفي نيتي أن أهجر حتى هذا الوادي ،في نيتي رحلة الى البادية على هجين يبعدني عن كل مظلمة وعبودية" [(٣)] . إلّا أن الأجواء السياسية لم تسمح بذلك،فقد تعقّبت

---

(١) راجع سجل التوبة . ص: ٥٠-٥١ .

(٢) رسائل أمين الريحاني . ص: ١٥٦ .

(٣) ملوك العرب . ج ١ ،ص : ١٠ .

كذلك اتّضح توقه الى زيارة الصحراء وتلبية ندائها ،وشوقه الى هدوئها وطهارتها ، في كتابه خالد . راجع "كتاب خالد" ص: ١٧٩ - ١٨٠ و ١٩٠ .

السلطة التركية رفيق السفر محمد كرد علي ،فترك الريحاني في الفريكة وفرّ الى سوريا • أما الريحاني فقد عاد الى نيويورك •

وفي رسالة الى صاحب جريدة المؤيد بمصر،أرسلها من نيويورك عام ١٩١٣، نلمح إحساسه بالغربة وتفكيره في قضايا بلاده • يقول : "مضيت على ما شاءت الأقدار في التجوال ،فزادني البعد حسرة وملأت الغربة نفسي حزنا وغمّا • إنّي في بلاد الغربة لا أرى حسنة من حسنات التمدن إلّا وأتمنّاها لبلادي • وإنّي لأذكر المسلمين فيه كذكري للمسيحيين • إني أتمثّل دائما أمة عربية ناهضة عاملة مستيقظة••• أمة أبيّة عزيزة ظافرة كسائر أمم الغرب صاحبات الصولة والإقتدار"(١)

اندلعت نار الحرب سنة ١٩١٤ ،فالتزم الريحاني جانب الحلفاء ووجد في هذه الحرب الفرصة السانحة لخلاص سوريا من الاحتلال العثماني والظفر بالاستقلال • حثّ المهاجرين السوريين على الانخراط في صفوف جيوش الحلفاء، وبصورة خاصة بعد دخول الولايات المتحدة غمار تلك الحرب في الثاني من نيسان من عام ١٩١٧ • قال: "إن خير وسيلة لتحرير سوريا هي ان يحارب سوريو أميركا اليوم في معسكر العم سام•••هلّا قمنا بواجب نحو هذه البلاد تذكره لنا عند انتهاء الحرب فتساعدنا وفرنسا لننال أمنيتنا الوطنية"(٢) • كذلك عمل من أجل جمع المعونات وارسالها لإغاثة منكوبي الوطن ،وأسهم في انشاء لجنة اعانة المنكوبين ،ثم لجنة تحرير سوريا ولبنان(٣) • دعا الى التآلف والتقارب بين المهاجرين اللبنانيين والسوريين في سبيل

---

(١) رسائل أمين الريحاني • ص: ١٦٣ •

(٢) القوميات • ج ١، ص: ٨٩ـ٩٠ •

(٣) لجنة من المهاجرين سعى لتأليفها في نيويورك أيوب ثابت السياسي اللبناني ،وكان هو رئيسها وجبران ونعيمة من إدارييها • وذكر عبد الكريم الأشتر ان برنامجها كان يتلخص في مادتين: الأولى : أن تنشأ في سورية حكومات نيابية إقطاعية تحت رعاية فرنسا وحمايتها • والثانية: إستقلال المسألة السورية عن المسألة الحجازية ،وبعبارة أخرى : مقاومة مملكة عربية تضمّ سورية والحجاز • راجع ،النثر المهجري ،ص: ١٤٦ـ ١٤٧ •

نصرة قضية الوطن الأم . قال : " قد كان في الماضي بين لبنان والولايات السورية جدار أقامه أرباب الفساد والتفريق ،فتمتّع اللبناني بحقوق حرمها أبناء الولايات . أما اليوم فقد قرّبنا المهجر بعضنا من بعض وأصبح اللبناني وابن الولاية واحدا ، قلبا وقالبا . روحنا واحدة ، خطتنا واحدة ،ولجنة تحرير سوريا ولبنان ثمرة هذا القرب والائتلاف" (١) . كذلك دعا الى تأسيس فرقة من المتطوعين السوريين واللبنانيين لتحارب في سوريا تحت قيادة اميريكية أو تنضم الى " فيلق الشرق" الذي سعت فرنسا في انشائه كي يحتل سوريا . ومن جهة أخرى فقد هلّل لقيام الثورة العربية في الحجاز ،قال : " لقد نهض العرب نهضة الاشاوس ،بل نهضة أجدادهم أنصار النبي لينقذوا الإسلام من مطامع الأتراك وجورهم ويلبسوه ثانية حلّة العز والمجد ." (٢)

في سنة ١٩١٥ نشر روايته " زنبقة الغور" وهي قصة اجتماعية اخلاقية تدور أحداثها بين فلسطين ومصر ، وفي سنة ١٩١٦ تزوج من " برتا كايس " (Bertha Case) وهي رسامة أميركية ،ثم طاف وزوجه بين باريس واسبانيا والمكسيك يدعو السوريين الى التبرّع والتطوّع في جيوش الحلفاء من أجل إنقاذ الوطن . كتب في إشبيلية عام ١٩١٧ الى عبد المسيح حداد ،صاحب جريدة السائح النيويوركية يقول : " إن خلاص سوريا عن يد أبنائها هو خلاصها الحقيقي الدائم . أما خلاصها عن يد أمّة أخرى فخلاص تتبعه سيادة أجنبية .." (٣)

---

(١) القومياتج ١ ،ص: ١٢٨ .

(٢) م . ن . ص: ١٢٠ .

(٣) رسائل أمين الريحاني . ص: ١٧٣ _ ١٧٤ .

عاد الى أميركا فأنجز روايته "خارج الحريم" سنة ١٩١٧ ومدارها جهان ، الفتاة التركية المتحرّرة ،التي انطلقت لتكتب لبني قومها كتاب "الأمة الجديدة".[١] كذلك سجلت السنة ذاتها انتصار الثورة البولشفية في روسيا ،فاستبشر الريحاني بإمكان زوال المستبدين كافة ،وان ستتبع أسرة رومانوف أسرة هبيسبرغ وأسـرة هوهنزلرن وأن "آل عثمان بائدون لا محال"[٢] ، فراح يدرس الايديولوجيةالشيوعية و"أنشأ ابحاثا متسلسلة تناولتها خلال العصور".[٣] في سنة ١٩١٨ أصدر فـي نيويورك بالانكليزية ما ترجمه من لزوميات ابي العلاء في كتاب حمل اسم " The Luzumiat of Abul-'Ala'"،وفي خريف ١٩١٨ ،أعلنت الهدنة وانعقد في واشنطن مؤتمر لتخفيض السلاح ،حضره الريحاني وقابل اثناءه الكاتب الانكليزي H. G. Wells فدار بين الإثنين،على حد زعم الريحاني ،حوار حول الشرق والغرب أعلن Wells خلاله أن الشرق الناهض بحاجة الى العلوم التقنية الغربية ،كما شدّد على ضرورة اتحاد المسلمين بالالتفاف حول القرآن ،عروتهم الوثقى . إلا أن الريحاني خالفـه في النقطة الأخيرة مؤكدا "أنّ الشعوب التي لم تتبلور فيها مظاهر الحكم المدني، لا يخلو رجوعها الى كتابها، تحقيقا للوحدة السياسية،من أخطار التعصبات الدينية والنعرات المذهبية".[٤] لذلك رأى ان تسعى هذه الشعوب الى تحقيق الوحـدة القومية لا الدينية .

---

(١) راجع ،خارج الحريم . ص: ١٣٠ .

(٢) رسائل أمين الريحاني . ص: ١٦٨ .

(٣) أمين الريحاني . سيرته وأدبه . ص: ٩١ ـ ٩٢ .

(٤) وجوه شرقية غربية . ص: ٨٨ .

وفي صباح يوم من أيام كانون الثاني ١٩١٩، ودّع الريحاني نيويورك ليسوح في أوروبة. ولعلّ فكرة الرحلة الى البلاد العربية كانت تعاوده ساعتئذ إذ كتب يقول: "ودّعت نيويورك ومحجتي غير محجّة السيّاح، وفي صدري أمل غذّته السنون وتعهدته الحوادث. فما تلفتت مني العين ولا القلب عندما أبحرت "الأدرياتيك" ومررت بتمثال الحرية"[1].

عاد الى نيويورك فنشر في سنة ١٩٢٠ كتابه " The Descent of Bolshevism " ضمّنه الفصول التي كان قد أنشأها حول البلشفية. ثم أصدر سنة ١٩٢١ في نيويورك كتابيه " Path of vision " (مسلك الرؤيا)، وهو كتاب يحوي عشرين فصلا مدار نصفها الأول أميركا والنصف الثاني سوريا، عرض فيه للتباين بين الشرق والغرب من حيث المواقف والتصرفات وطرق التفكير. و " A Chant of Mystics " (أنشودة الصوفيين)، وهو مجموعة شعر تنفخ فيها روح صوفية تنادي بالمحبة التي ينصهر معها الشرق بالغرب، كما برز في المجموعة حنين الى الوطن ـ الأم. ثم انصرف الى قراءاته حول الجزيرة العربية. ويبدو ان حبّه لتلك الربوع قديم، يعود الى الفترة التي عرفه فيها إمرسون الى كارلايل. قال: "وقد عرّفني إمرسون الى كارلايل، وكان كارلايل أول من عاد بي من وراء البحار الى بلاد الغرب، وقد يستغرب قولي اني عرفت بوساطة الكاتب الانكليزي الكبير، سيد العرب الأكبر النبي محمدا، فأحسست لأول مرة بشيء من الحب للعرب وصرت أميل الى الاستزادة من أخبارهم"[2]. ثم في مطالعاته اللاحقة للكتب الانكليزية قرأ كتاب " The Alhamba " للكاتب " Washington Irving "، فمازج عقليته الفرنسية الانكليزية شيء من الخيال

---

(١) وجوه شرقية غربية. ص: ٩٠ .

(٢) ملوك العرب. ج ١، ص: ٦ . والمقصود كتاب " Heroes and Hero-Worship" by: Thomas Carlyle.

الشرقي،كما قال،وراح يحلم بمجد العرب الماضي ويتمثّله حيّا أمامه . تلك كانت بداية معرفته بالعرب ثم جاءت "لزوميات" المعرّي التي أعجب بها وقرأها مترنحا فزادت اعجابه بالعرب،وراح يفاخر بانتمائه الى هذه الأمة التي نبغ فيها هذا الشاعر الجسور الحكيم .

ثم في مرحلة متقدمة قرأ كتبا عدّة عن شبه الجزيرة العربية(١) . منهـــا :
" Central and Eastern Arabia " للرّحالة " W. G. Palgrave " ،وأيضـــا
" Travels in Arabia " للمستعرب " J. L. Berkhardt " ،وكتاب العـــلامـــة
" Richard Burton " واسمه " A Pilgrimage to Al-Medina and Mecca ".
كما قرأ كتاب " Charles . M. Doughty " واسمه " Wanderings in Arabia "
وقد كبرت رغبة الريحاني في زيارة شبه جزيرة العرب مع الأيام حتى صمّم على الرحلة سنة ١٩٢٢ تاركا وراءه زوجه التي أبت ان ترافقه في سفر الأخطار .

بلغ مصر في ٢٧ كانون الثاني من ١٩٢٢ ، فجعل يتصل بالاوساط الأدبيـة والسياسية وأقيمت له حفلات التكريم فتحدث خلالها مشددا على أهمية الانتساب الوطني وضرورة تمازج المدنيتين الشرقية والغربية وأثر التربية السليمة في خلق جيل صافي الوطنية ،حر ، جسور(٢) . ويتضح من كتابه "ملوك العرب" أنه أبحر الى جدّة فبلغها في الخامس والعشرين من شباط عام ١٩٢٢ ،ومنها ابتدأت رحلته لتشمـل الحجاز واليمن وعسير ولحج والنواحي المحمية ،ومنها الى العراق/فنجد فالبحرين ثم الكويت فالبحرين ثانية ، فالعراق ومنه عاد الى لبنان في نيسان من عام ١٩٢٣ . رحلة

---

(١) راجع ،ملوك العرب . ج ١ ،ص : ٨ ـ ٩ .
(٢) راجع ،أمين الريحاني ناشر فلسفة الشرق في بلاد الغرب .

شاقة قضاها في تنقل مستمرّ ،زارته خلالها الحمّى ليالي فأقضّت مضجعه ،أودية ومفازات قطعها على ظهر الذلول والغاية التي أعلنها ،خدمة العرب وجمع شملهم تحت راية الوحدة والعمل لنهضتهم • كتب يقول غبّ خروجه من شبه الجزيرة ،الى صديقه الشيخ محمد رضا الشبيبي في النجف: "أحب بلادكم يا صديقي ،أحب كل قطر من الأقطار العربية حبّا كثيرا • ولو عشت مائتي عام لقضيتها كلّها ساعيا في سبيل هذه الأمة"(١) •

عاد الى الفريكة ،حيث لجأ الى العزلة ،وانصرف الى تأليف كتابه "ملوك العرب" • أثناء هذه العزلة أصدر جزئين جديدين من "ريحانياته"، هما الثالث والرابع، سنة ١٩٢٤، يحويان مقالات وخطبا وخواطر برزت فيها آراؤه في الوحدة القومية والدين والعلم، كما ضمّنهما قصائد من شعر منثور يشكو فيها الغربة ويحنّ الى الطبيعة ـ الأم ويستعيد الذكريات • ثم صدر "ملوك العرب" في ١٩٢٤ ،يروي مشاهدات مؤلفه وانطباعاته في شبه الجزيرة، ويسلّط الضوء على واقع المجتمعات العربية داخلها ،كما يبسط تصوّره لشكل من أشكال الوحدة يساعد في جمع الشمل وحسر النفوذ الأجنبي وحلّ الفوارق والتناقضات بين المناطق المختلفة والسياسات المتباينة •

بعد ذلك راح يلقي المحاضرات والأحاديث حول رحلته بدعوة من معاهد مختلفة(٢) ،متابعا في الوقت نفسه دعوته إلى وحدة سوريا ،وإلى الوئام والتساهل، وإلى نبذ الطائفية والتعصّب الإقليمي، وإلى انشاء المدارس الوطنية والإهتمام بالإقتصاد ،

---

(١) رسائل أمين الريحاني • ص: ٢٠٤ •

(٢) راجع ،الريحاني ومعاصروه ،رسائل الأدباء إليه • ص: ٢١١ •

وبكلمة، الى السير بخطوات حثيثة باتّجاه الوطن الأكبر . خطب فقال : "ما كان الجهاد في سبيل الوطن الصغير العزيز وحده ، وأنا من أخلص أبنائه ، بل في سبيل الوطن الأكبر الذي يشمل أوطاننا كلها جميعا . إن الوطن القديم هو واحد بالرغم عن التجزئات السياسية والأطماع الدولية . وإن لغتنا في سوريا ولبنان وفلسطين هي لغة واحدة ، لغة مضر وربيعة ، لغة العرب . وإن آدابنا وتقاليدنا وعاداتنا ونفسيتنا واحدة ، ان كان في لبنان وسوريا والعراق أو في نجد واليمن"[(١)] .

وفي عام ١٩٢٥ ، استدعي الريحاني الى عمان يوم استفحل الخلاف بين الوهابيين والحجازيين ، فنجحت وساطته بادئ الأمر بين الفريقين ، ثم عادت لتخفق بعدئذ وسقط الحجاز في يدي ابن سعود . وقد كتب الريحاني يقول انه انما قام بتلك الوساطة حقنا لدماء المتحاربين من أهل وطنه[(٢)] .

أما كتاب "تاريخ نجد الحديث" فأصدره الريحاني سنة ١٩٢٧ ، وما كان "انكبابه عليه ليصرفه عن التوجيه السياسي ، فقلّما انتظمت حلقة رصينة إلا وسمع فيها صوته ، سواء في سوريا او في فلسطين أو في لبنان"[(٣)] ، كما ذكر جميل جبر . والكتاب يتضمن نبذات ثلاثا في تاريخ نجد وجغرافيتها ، وتاريخ محمد بن عبد الوهاب والوهابية ، وتاريخ آل سعود منذ نشأتهم حتى استيلاء محمد بن الرشيد على نجد . أما الخاتمة فاشتملت على سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . والكتاب تجسيد لاهتمام الريحاني بتلك الرقعة من

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ١٩٧ .

(٢) راجع ، تاريخ نجد الحديث . ص: ٣٩٦ .

(٣) أمين الريحاني . سيرته وأدبه . ص: ١١٩ .

الأرض العربية وبتاريخها وأعلامها ، وتعبير عن اعجابه الشديد بابن سعود ، وقد ذهب الى تفضيله على معاوية والمأمون وصلاح الدين ، لأنه "منذ عهد الخليفة عمر حتى بداية العهد السعودي لم يسعد العرب بمن يجمع شملهم ، ويوحّد كلمتهم ، ويعزّز شؤونهم ، فيجعلها تحت السيادة العربية الواحدة"[١] حتى جاء السلطان عبد العزيز ابن سعود .

من التاريخ النجدي الى التاريخ السوري وكتاب "النكبات" الذي أصدره الريحاني سنة ١٩٢٨ فأوجز فيه تاريخ البلاد السورية منذ العهد الأول بعد الطوفان الى عهد الجمهورية بلبنان ، مصوّرا هذه البلاد مسرحا عربد عليه الفاتحون ابتداء بالاشوريين وانتهاء بالأتراك ، باسطا لأبناء سوريا تاريخهم حتى لا يستسلموا لأمجاد الأمس الكاذبة . وقد رأى في تعاقب الفتوحات سلسلة من المآسي سبّبتها العصبيات والأقليات كما الضعف والخنوع . قال : "أي لبنان بلادي ، أي سوريا بلادي ، إن فيكما اليوم شعبا طائعا ، قانعا ، يائسا محوقلا ، وهو متحدر من اولئك الذين كانوا في الماضي يدفعون الخراج ويأكلون الكرباج"[٢] . ثم تلا هذا الكتاب آخر في سنة ١٩٢٨ هو "التطرف والاصلاح" أو خطوة أخرى في سبيل نهضة سوريا . والكتاب مجموعة خطب ضمّنها آراءه في الإصلاح ، وأوله ثورة فكرية أدبية روحية ، قبل الثورة السياسية[٣] . كذلك تحدث عن أهمية التربية والمدارس الوطنية التي تنمي في النشئ النزعة الوطنية على حساب النزعتين الدينية والمذهبية في البلاد السورية اللبنانية الفلسطينية ، وتسير بأبناء هذه البلاد نحو وطنية عالية شاملة يكون "ركنها الأول الوحدة القومية الجغرافية"[٤] .

---

(١) تاريخ نجد وملحقاته . ص: ٨ .

(٢) النكبات . ص: ١٤٧ .

(٣) راجع ، التطرف والإصلاح . ص: ٣٣ _ ٣٤ .

(٤) م . ن . ص: ٥٠ .

وينبغي القول ، من جهة أخرى، ان رحلة الريحاني الى شبه الجزيرة ، وكتابه "ملوك العرب" الذي كان حصادها ، شكّلا مادة استثمرها في تعريف الغرب الى هذه "الأمة التي تجلس في أطمارها على الأرض، وتأكل التمر ، وتشرب الماء العكر ، وهي تتحدث في الشمم والاباءة ، والصدق والوفاء، وفي الكرم والشجاعة ، وفي الحرية التي هي عندها الكنز الأكبر"[(١)] . لذلك عمل على ترجمة "ملوك العرب" الى الانكليزية بتوسع وإفاضة .

عزم على الرجوع الى الولايات المتحدة ، وقد تلقّى دعوات للخطابة هناك[(٢)] ورغب في نشر رحلته بالانكليزية . في شتاء عام ١٩٢٨ صدر له في لندن كتاب : " Ibn Saoud of Arabia "، وقد حمل اعجابه بالعاهل السعودي صاحب نجد والحجاز الذي بنى البيوت للبدو فسار خطوة أولى في سبيل تمدينهم ، ووصف رحلته الى نجد واقامته فيها، ثم انطباعاته عن الإخوان ومشاهداته وأمورا مختلفة تتّصل بواقع المجتمع في بلاد ابن سعود . في شتاء ١٩٢٩ حملته الباخرة الى نيويورك . وفي ١٩٣٠ أصدر كتابين انكليزيين يدوران على رحلته العربية . الأول هو: " Around the Coasts pf Arabia "، ويحمل انطباعاته أثناء زيارته للحجاز وعسير والكويت والبحرين وعدن وعمان ، وما اتصل بها من أخبار . أما الكتاب الثاني فهو " ArabianPeak and Desert "، المتضمن وصف رحلته من صنعاء الى الحديدة .

---

(١) القوميات . ج ٢، ص: ٦ .

(٢) راجع ، رسائل أمين الريحاني ص: ٣١٠ـ٣١١ .

ارتبط الريحاني في الولايات المتحدة بسلسلة من الجولات الخطابية حول رحلته العربية، استمرت أشهرا[١] . وتميّزت إقامته هناك بنشاطات تناولت القضية العربية وأخصها قضية فلسطين . كتب إليه من القدس، رئيس المجلس الاسلامي الأعلى ، محمد أمين الحسيني ، في كانون الأول من عام ١٩٢٩ شاكرا له ما يبذله في أميركا من "خير الجهود وحسن المساعي في ايضاح وجهات النظر التي تشتمل عليها قضية فلسطين والقضية العربية عامة"[٢] .

عاد الريحاني الى لبنان في أيار من عام ١٩٣١ ، فتابع دعوته الى الوحدة العربية والنهضة الشاملة المؤسسة على الوطنية الجامعة ، والتعليم العلماني ، والتساهل الديني . ساءه ان يغرق الشعراء في دموعهم وان يدمنوا النواح فلا يلتزموا برسالتهم الرصينة نحو أمتهم التي ناء عليها الانتداب بنيره الثقيل . أصدر كتابه "أنتم الشعراء"، سنة ١٩٣٣ ، تعبيرا عن رفضه البكاء والاستسلام في زمن الحديد والكهرباء وحملة على ذوي القلوب المترهلة المائعة ودعوة الى التماسك والصلابة ، الى "القوة العقلية العلمية ، القوة الروحية اللاطائفية ، القوة المادية الاقتصادية"[٣] .

---

(١) راجع ، رسائل أمين الريحاني . ص: ٣٥٨ .

(٢) الريحاني ومعاصروه . رسائل الأدباء إليه . ص: ٢٦٤ .

(٣) أنتم الشعراء . ص : ٨٩ .

سنة ١٩٣٣ دعته جمعية التضامن الأدبي في بيروت ،للخطابة فألقى كلمته " بين عهدين " ،حمل فيها على الإنتداب الفرنسي حملة شعواء • راح يقارن بين الحكم العثماني والانتداب الفرنسي فرأى ان البلاد قد انتقلت من " عهد عبد الحميد الى عهد عبيد المال ••• من استبداد صريح الى استبداد مموه • من استبداد باسم الباديشاه الى استبداد باسم عصبة الأمم " (١) • كما عمد الى تعداد مساوئ الانتداب الفرنسي وأثرها في النواحي الإجتماعية والاخلاقية والاقتصادية ،والجغرافية ،داعيا الى النهضة الخلّاقة والإتحاد القومي، على أثر هذه الخطبة نفاه الفرنسيون من البلاد فتلقى دعوة (٢) من محمد أمين الحسيني للإقامة في فلسطين • غير أنه اختار العراق وأقام فيه يعدّ كتابه "فيصل الأول " • عاد الى لبنان بعد سقوط قرار النفي فأصدر " فيصل الأول " في ١٩٣٤ • والكتاب يروي سيرة العاهل العراقي وجهاده في سبيل بناء العراق ويزخر بالاعجاب بفيصل الإنسان والقائد • وفي خاتمة الكتاب عقد فصلا ردّ فيه على متّهميه باضطراب لبنانيته الرائبين من حبّه للعرب ولملوكهم ،مؤكدا ان هذا الحب لم يفقده ذرة من محبته للبنان •

وفي السنة ذاتها وضع رواية تمثيلية بعنوان " وفاء الزمان "، مدارها الشاعر الفردوسي، بمناسبة المهرجان الألفي الذي أقامته له إيران في تشرين الأول من عام ١٩٣٤ • ثم في العام ١٩٣٥ اتبع "فيصل الأول " بآخر متّصل بالعراق أيضا هو "قلب العراق "، متابعا فيه اهتمامه بهذا القطر العربي عارضا

---

(١) القوميات • ج ٢ ،ص: ٧١ •

(٢) راجع ،الريحاني ومعاصروه• رسائل الأدباء إليه• ص: ٣٠٠ •

لتاريخه منذ غزو هولاكو حتى الحاضر ،متحدثا عن نهضة العراق الثقافية والأدبية والاجتماعية .

أما السنوات الأخيرة من حياة الريحاني فقد شهدت منه اهتماما متزايدا بالقضية الفلسطينية . سافر الى الولايات المتحدة عام ١٩٣٧ ،ثم عام ١٩٣٩ ،وقام بجولات عديدة هناك ،شارحا ملابسات القضية ،مناقشا الصهاينة ومدافعا عن حق العرب الفلسطينيين وقد ذكر سامي الكيّالي ان الريحاني قد تعرّض هناك لحملات من السباب والشتائم أثارها عليه الصهاينة ،غير انه لم ييأس فناقشهم برصانة وحكمة [١] .

في عام ١٩٣٩ عاد الى لبنان ،وعرّج أثناء العودة فزار المغرب الأقصى . تغلغل في المنطقة المغربية ،دارسا ،باحثا ،محتكّا بطبقات الشعب جميعا . أما هذه الزيارة فقد فرضها عليه الجهاد في سبيل قضية وطنية قومية . قال : " هي قضيتي ،وأنا من سلالة قحطان كما هي قضية ابن صنعاء ،أو العارض أو الرافدين." [٢] وذكر أنه توخّى من خلال هذه الرحلة ما كان يتوخاه من رحلاته ومواقفه العربية عامة من قبل ،وهو تعليم الأمة الأميركية شيئا يسيرا من العلم الذي لا يجرح كبرياءها ،مما يتصل بالأمة التي هو منها ،أي الأمة العربية [٣] . وقد تبسط الريحاني في الحديث عن كيفية تغلغل الاستعمار في المغرب الأقصى وذكر ما

---

(١) راجع ،أمين الريحاني ص: ٢٣ .

(٢) المغرب الأقصى . ص: ٨ .

(٣) م . ن . ص: ٩ .

يتوسله المستعمرون عادة من أساليب التفرقة ومنها اختراع "نعرات جديدة مبنية على التاريخ المشوّه والثقافة المموّهة ، تذرعا بحب الخير للبلاد ... وتوصلا في الحقيقة الى تبليغ رسالة التفرقة لتتم السيادة الأجنبية وتتلاشى الوطنية"[١] . ومن هذه ، النعرات الفرعونية في مصر ، والفينيقية في لبنان ، والبربرية في المغرب الأقصى . أما هذه النعرات ، فأصحابها هم أعداء الوطن العربي ، في رأيه ، والعرب ينبذونها ويرسون علاقتهم مباشرة "بالسلف الصالح ، المنير ، الهادي ، الباني للعروبة والحق"[٢] . أما النهضة العلمية الثقافية التي شهدها في المغرب فقد أعادت إليه التفاؤل فأيقن أنه اليوم في عهد جديد هو عهد العروبة ، عهد القومية العربية الشاملة ، وأن المغاربة عرب في دينهم وثقافتهم وقوميتهم[٣] . أما الغزو الاستعماري الأوروبي والهجرات الأوروبية الى ثغور المغرب فقد دفعته الى تنبيه الحكام العرب الى ضرورة حماية الثغور العربية كافة ، بل الى ضرورة قيام الدولة العربية الموحّدة لترد أخطار الاستعمار الحديث الذي يدس سمومه في دسم الثقافة والتجارة والدين[٤] . من المغرب الى اسبانيا ، المحطة الأخيرة قبل عودته الى لبنان . درس وزيارات واحتكاك متواصل بالناس . في ظلال اشبيلية وطليطلة وقرطبة وغرناطة وقف يستعيد ذكرى العرب الاندلسيين ، في فتوحاتهم وأمجادهم كما في شقاقهم وانكفاءاتهم ، ويسجلها في فصول جمعت التاريخ والحضارة والفنون والفكر .

---

(١) المغرب الأقصى . ص : ٤٥٣ .

(٢) م . ن . ص: ٤٥٤ .

(٣) م . ن . ص: ٤٦٧ .

(٤) م . ن . ص: ٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

وصل الى لبنان في تموز من عام ١٩٣٩ وشرع يجول في مناطقه يتعرّف إليها بتعمّق ودقّة ويدوّن مادته في كتاب "رحلات لبنانية". وفي الخامس عشر من آب سنة ١٩٤٠ سوّلت له نفسه ركوب الدرّاجة واتّفق أن فاجأته النوبة العصبية في يمناه فهوى الى الأرض ونقل الى مستشفى ربيز في بيروت[١]. غير ان حالته تفاقمت فوافته المنية في أواسط شهر أيلول من عام ١٩٤٠ فقضى قبل إتمام الكتاب المذكور الذي صدر بعد وفاته حاملا اسم "قلب لبنان".

---

(١) راجع، أمين الريحاني الرجل والأديب. ص: ١٢٠ - ١٢١.

الريحـانــي والخــط الســوري

تمهيــد:

تأخذ هذه الرسالة على عاتقها دراسة النزعة العربية في مؤلفات أمين الريحاني كما في حياته ومواقفه عامة • وقد اختطت نهجا لها ان تبحث تلك النزعة من خلال الأطر الجغرافية التي تحدّدت خلالها جهود الريحاني، والتي رسمها هو نفسه، حين خطب في عهد الدستور العثماني فقال : "إنكم اذا نظرتم الى خارطة العالم ترون ان من البلاد ثلاثا آخذة منه مركز القلب، وهذه البلاد هي سوريا (وفلسطين) وما بين النهرين وجزيرة العرب • هذه البلاد وطننا"[(١)] • غير ان الريحاني في تحركه داخل تلك الأطر، عاملا لوحدتها، لم يكن ليلتزم بخط فكري محدّد، يتطوّر ويرتقي في الزمان أو ينتقل انتقالا مرحليا من إطار الى آخر، مستند الى تصوّر ذهني ثابت لهيكلية جغرافية أو سياسية معينة • من هنا تعيّن علينا ان نتابع جهوده العربية فندرسها على شكل حلقات تنضوي الواحدة منها داخل الأخرى حتى يحتويها آخر الأمر إطار عربي عام، وليس عبر خط واحد واضح الملامح ينتظمها، متوثب متطوّر يتدرّج من الجزئي الخاص الى الكلّي العام تدرّجا حتميا •

من الإطار اللبنانـــي الى الإطـــار الســوري :

سافر الريحاني الى الولايات المتحدة واحدا من أبناء جبل لبنان، ولما يزل في الثانية عشرة من عمره، فإذا به هناك يفتح عينيه على بيئة جديدة تضج بالحركة وتمتلئ

---

(١) القوميات • ج ١، ص: ٥٥ •

الفصل الثاني

أمين الريحاني والخط السوري

بأنواع من البشر من كل بلد وجنس • واذا به في خضم عالم جديد أدهشت مظاهره "ابن الفريكة ، الغريب الساذج ، وأشعرته ان في العالم غير الشدياق متى وأم مخايل وعفيفة والكرخانة والعنزة الكحلاء"[(١)] • وقد يسّرت له تلك الثقافة التي نهل منها بعد ذلك مجالا للانطلاق الى آفاق رحبة ، وشكلت حافزا دفعه الى ارساء انتمائه خارج نطاق الحدود الضيقة المترمّتة • جاءت خطبته الأولى في عام ١٩٠٠ تدعو الى التساهل الديني بل الى تناسي الدين خارج المعابد والى الاعتصام بالرابطة الوطنية الجامعة • كذلك جاءت بواكير كتبه تضرب على الوتر ذاته وترهص بالتوق الى انتماء يتجاوز تعسّف الطائفية الى رحابة الوطن المبني على التساهل الذي "هو أساس التمدن الحديث وحجر زاوية الجامعة المدنية"[(٢)] •

وقد راح هذا التوق يتعاظم شيئا فشيئا ، فإذا به يمدّ بصره الى أرض سوريا كلّها ، بل إذا به منذ العام ١٩٠٨ يصرح بأن نفسه "وهي عربية شرقية معا ، تحنّ دائما الى زيارة البلاد العربية"[(٣)] • واذا به ينكبّ على كتب الرحالة الذين زاروا شبه الجزيرة فيقرأها ثم يحاول أن يلبّي نداء البادية التي راحت تدعوه إليها في عام ١٩١١ فيزور البلاد العربية على هجين يبعده عن كل مظلمة وعبودية[(٤)] •• إلّا ان الرحلة لم تكن لتتم قبل العام ١٩٢٢ ••

وإذا عدنا نتلمّس الآن القاعدة التي انطلق منها الريحاني ليعانق السوريين ثم ليطلّ على العرب جميعهم اطلالة شاملة، تبيّن لنا أنها صادرة عن موقف لبناني

---

(١) أمين الريحاني • سيرته وأدبه • ص: ٢١ •

(٢) الريحانيات • ج ١ ، ص ٥٧ •

(٣) رسائل أمين الريحاني • ص: ١٣٢ •

(٤) راجع ، ملوك العرب • ج ١ ، ص: ٩ — ١٠ •

أساسا لم يتجاوزه الريحاني إلّا منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤ . وقد بدا لنا ان اهتماماته كانت في الفترة التي سبقت تلك الحرب تتّصل بوطنه الصغير لبنان ، مستودع الأهل والذكريات ، وكانت قصائده تردّد أصداء طبيعة لبنان الخلّابة وتستلهم وادي الفريكة وجبل صنين [١] . كذلك تركّزت جهوده الإصلاحية على الأوضاع الفاسدة في لبنان ، الأوضاع التي راح يزيدها الإكليروس والسياسيون فسادا . كان يبحث عن "رجل الشعب" الذي سيملأ الأرض عدلا وينقذ "الشعب المفلوج الضرير الذي قضى حياته في ظلمات الجهل والعذاب" [٢] . قال بعد اعادة العمل بالدستور العثماني سنة ١٩٠٨ : "مضت سنة من عهد الدستور وما ولدت حرية اللبنانيين إلا الكلام ... انقضت سنة من عهدنا الجديد ولم يظهر فينا رجل جريء عزوم .. يعمل من أجل هذا الوطن عملا واحدا ... دون أن يستشير فيه كيسه او منصبه السياسي ، دون ان يلتجيء الى القناصل ، دون ان يستعين ببكركي التي أصبح هيكلها في جمعية الإتحاد والترقّي في بيروت" [٣] . لقد رأى ان لبنان في حاجة الى بطل من نوع جديد ، الى بطل حقيقي ، "يستطيع أن يجمع شتات هذا المليون من ضعفاء البشر ... الى بطل يحكم هذه الأمة ويهديها سواء السبيل" [٤] . أما هذا البطل فعليه ان ينظر الى الشعب المفلوج الضرير فيداويه بغير زراعة التبغ واستخراج الملح وتأليف الجمعيات في القرى . عليه ان ينظم الجيش ويحاسب من كثرت أموالهم وقلّت أعمالهم بعدل وإنصاف فيبني بما يأخذه منهم ، المدارس العمومية والمدارس الزراعية الصناعية . ويروح الريحاني يدين ،

---

(١) راجع ، هتاف الأودية . ص: ٦٣ والريحانيات . ج ١ ، ص: ٦٤ و ١٧١ .

(٢) القوميات . ج ١ ، ص: ٧ .

(٣) م . ن . ص: ٥ .

(٤) م . ن . ص : ٩ .

من جهة أخرى ، الأحزاب والزعماء السياسيين الذين أفسدوا البلاد بإصلاحهم لها ، فيطالبهم بالعودة الى بيوتهم وحقولهم ليتعهّدوها بالتربية . كما يروح يتمنّى لو أن أبناء لبنان المخلصين ، تجمعوا صوتا واحدا وقلبا واحدا "في ظل الأرز او حول الشاغور او في وادي الفريكة"[١] ، إذن لكانوا يأتون بما لا تستطيعه الأحزاب اللبنانية كلّها من الأعمال الوطنية التي لا يشوبها التحيّز الديني او تفسدها المآرب السياسية أو الشخصية . ولم تقل حملته على رجال الإكليروس عنفا عن حملته على أصحاب الوجاهة الكاذبة والسياسيين المنافقين ، فدعا الى حبس خمسة او ستّة منهم فقال : "مشايخ القرى وقسوس القرى وأغنياء البلاد . احبسوا خمسة او ستة منهم بدل ان تحبسوا المجرمين الصغار تستحقوا شكر الأمة"[٢] . وفي سنة ١٩٠٩ أرسل نداءه الى الشعب اللبناني ، الى الحارثين والزارعين وساكني الأكواخ وحاملي المعاول من الفعلـــة ، يستحثهم على النهوض في وجه السياسيين والوجهاء الذين اخذوا يحفرون تحـــت امتيازات لبنان ، و"يزينون للاتحاديين[٣] أمورا لا تخطر قط في بال لبناني صادق نقي الدم"[٤] . كذلك في عام ١٩١٠ ، خاطب أبناء وطنه لبنان فأوصاهم بالإهتمام بالأرض التي بارت من الأهمال وغاضت فيها المياه ودعاهم للابتعاد عن السياسة والإقتراب من الحقول . ذلك ان فلاحا في كرمه لأشرف من كثيرين من سادة لبنان وان صانعا في معمله لأطهر ذيلا وأنزه نفسا من ساسة لبنان . قال : "جبالنا المقدسة ، أيهجـر بنوك حقول السكينة فيك ليتلوّثوا بأوساخ السياسة وأوحالها ... الى الحقول إخوانـي! ليرع كل منا نفسه ... ليتعهد أرضه وأملاكه بالحراثة والتربية . فيصطلح عندئـــذ لبنان ، ويصطلح شعب لبنان ، وتصطلح حكومة لبنان"[٥] .

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ١٤ .

(٢) م . ن . ص: ١٧ .

(٣) نسبة الى جمعية "الاتحاد والترقّي العثمانية" التي أسّسها في باريس أحمد رضا بك مدير المعارف العثماني ، وقد خلعت السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ وأعادت العمل بالدستور . إلا أنها كانت تصرّ على ان يكون الحكم الدستوري المرتجى قائما على أساس من المركزية الصارمة .

(٤) القوميات . ج ١ ، ص ٢١ .

(٥) م . ن . ص: ٧٤ .

ويستمر تفكير الريحاني منصبًا في القالب اللبناني حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وقد سنحت الفرصة للخلاص من الاحتلال العثماني . وتبرز في تلك الفترة دلائل تشير الى تخطّيه الإطار اللبناني الضيّق ، بل الى ما يرهص بوحدة يلتئم فيها شمل سوريا التي فرّقها أرباب الفساد والشقاق في الماضي . وكان في نيّة الريحاني أن يؤسس في نيويورك ، كما ذكر ، لجنة تعمل على تحرير سوريا من السيطرة العثمانية بحيث يكون للسوريين من خلالها يد في تحرير بلادهم . قال : "وكان في نيتي عند وصولي أن أسعى وبعض الإخوان هنا في تأسيس لجنة لهذه الغاية الوطنية الشريفة المقدسة . ولكني وجدت ان اللجنة قد تأسست بفضل الأدباء والتجار الأحرار ، وان غايتها نفس الغاية التي ننشدها ، فانضممت اليها مسرورا"(١) . أما هذه اللجنة فقد دعيت باسم "لجنة تحرير سوريا ولبنان" . وذكر الريحاني ان "غايتها التحرّر من نير الأتراك ، وأنه للمرة الأولى يقدم السوريون خلال حياتهم السياسية على عمل لسانه السيف لا القلم ، وعربونه الدم لا الكلام"(٢) .

بعيد سنة ١٩١٤ ، وفي خطبة ألقاها في حفلة لجنة تحرير سوريا ولبنان ، في نيويورك ، تحدّث عن ضرورة التفاف اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين وغرسهم بذور الوطنية في النفوس عاملين في سبيل "سوريا واحدة لا تتجزأ"(٣) . قال في تلك الخطبة : "قد كان في ما مضى بين لبنان والولايات السورية جدار أقامه أرباب الفساد والتفريق ... أما اليوم فقد قرّبنا المهجر بعضنا من بعض ... روحنا واحدة مبدأنا واحد ، خطّتنا واحدة ، ولجنة تحرير سوريا ولبنان ثمرة هذا التقرّب وهذا الائتلاف ...

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ١٢٨ .
(٢) م . ن .
(٣) م . ن . ص: ١٢٩ .

زرع فينا الترك بذور الشقاق ... فعلينا نحن سوريّي المهجر أن نزرع فيها بذور الوطنية . في هذه اللجنة اللبناني والسوري والفلسطيني يعملون عملا واحدا . كلنا سوريون وسوريا واحدة لا تتجزأ"[1] .

واجتذبت وعود الحرب الخلّابة أمين الريحاني ، إذ شاءت الظروف ان يسافر الى فرنسا ، وكانت وزارة الحربية هناك قد ألّفت "فيلق الشرق" للزحف على سوريا . وقد أخبره أحد الوزراء[2] أن فرنسا تحبّ ان تساعد السوريين إذا هم ساعدوا أنفسهم ، وأنها تريد ان تخلص بلادهم من الحكم التركي ، وتؤسّس فيها حكومة عادلة راقية تكفل لأهلها الأمن والسعادة ، وتمنح كل ولاية من ولايات سوريا استقلالا نوعيا . كذلك فقد أخبره الوزير أن أول خطوة تنوي الحكومة الفرنسية ان تخطوها هي أن تؤسس في البلاد مدارس عمومية مجانية علمانية ترفع من شأن السوريين وتدفع بهم قدما في معارج الرقيّ والتمدن . إثر هذه المقابلة خرج الريحاني ليقول : "خرجت من النظارة الخارجية مقتنعا ان لا خلاص لنا اليوم إلا بوساطة فرنسا . واننا إذا أضعنا هذه الفرصة نجني على البقيّة الباقية من بلادنا المنكوبة"[3] . ازدادت قناعته بأن فرنسا إنما دخلت الحرب لتدافع عن "كيانها وعن حرّيتها وحرّية الأمم جمعاء"[4] ، وأن جنودها هم "جنود الحرية منذ نشأت الحرية ... جنود الحق في حرب الأمم ، جنود المجد في سبيل المدنية"[5] . خرج يضاعف نداءاته الى أبناء سوريا ، الى

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) م . ن . ص: ١٢٧ .

(٣) م . ن .

(٤) م . ن . ص: ١٢١ .

(٥) م . ن . ص: ١٣٠ .

شباب بيروت والشام ولبنان وحمص وحلب وفلسطين ،كي يتطوّعوا في فيلق الحرية الى جانب جنود فرنسا • قال : "غدا يحارب الجنود الفرنسيون في بلادنا ليحرّروهـا غدا يضحّون بحياتهم من أجل حرّيتنا • فهلّا شاركناهم في هذه الحرب،وهذه التضحية".(١) • وهو من جهة أخرى راح يحثّ السوريين المهاجرين على الإنخراط في الجيش الأميركي ،بعد دخول الولايات المتحدة غمار الحرب،ليشاركوا في جهاد تذكره لهم تلك البلاد فتساعدهم وفرنسا لينالوا أمنيتهم الوطنية(٢) •

غير ان الريحاني أفاق على الحقيقة القاسية ،بعد أن وضعت الحرب أوزارها • وإذا البلاد الشامية الممتدة من جبال طوروس شمالا الى خليج العقبة جنوبا ومن حدود العراق شرقا الى البحر المتوسط غربا يتقاسمها الحلفاء الظافرون في الحرب• لقد أثمرت الحرب اتفاقية سايكس ـ بيكو المعقودة بين بريطانيا وفرنسا والروسيا في ١٦ آذار من عام ١٩١٦، والتي اقتسموا بموجبها ما طمعوا بالاستيلاء عليه من البلاد العربية كمناطق نفوذ ،كما تلاها وعد بلفور الذي صدر عن بريطانيا في ٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٧ • وفوق ذلك ابتكرت تلك الدول نظام الانتداب• وفي ٢٥ نيسان من عام ١٩٢٠ عقد الحلفاء مجلسهم الأعلى في سان ريمو فاتّخذوا قرارات قسمت بلاد الشام ،فكان القسم الجنوبي الذي يضم الأردن وفلسطين من نصيب بريطانيا ،بالاضافة الى انتدابها على العراق• أما سوريا ولبنان فكانا مـن نصيب الفرنسيين الذين راحوا يقسمون سوريا الى دويلات ومقاطعات ويغذّون النعرات والفروق بين الطوائف في لبنان ،على ما ذكره أحدهم فوقع الكثير من الخلاف والتباين

---

(١) القوميات • ج ١ ،ص : ١٣٠ •

(٢) م • ن • ص: ٨٨ـ ٩١ •

الذي يشبه الخلاف الذي كان سائدا في التاريخ القديم[١] .

أمام هذا الواقع عادت دعوة الريحاني الى الوحدة لتشتدّ بعد الحرب وما أثمرته من تجزئة للبلاد السورية ، ترافقها نزعة الى طلب الإستقلال ، مؤكدا ان الخير الأكبر للوطن الأكبر هو في "الإستقلال التام ... وفي الإتحاد التام الشامل الأقاليم السورية واللبنانية كلها"[٢] .

ثم تنضوي هذه الوحدة حلقة ضمن الدائرة العربية الكبرى آخر الأمر ، يوم "تعود البلاد الى وحدتها الطبيعية التاريخية القومية ، فينضمّ اللبناني والسوري والفلسطيني والعراقي والنجدي والحجازي واليمني تحت اللواء العربي الواحد"[٣] ، كما سنرى في فصل لاحق . أما الآن فنعرض عرضا دقيقا مفصّلا يتناول دعوته الى الوحدة السورية : وجوب قيامها ، مفهومه لها وكيفية تحقيقها .

١- في وجـوب قيـام الوحـدة السوريـة :

لقد بدا لنا ان مظالم الترك قد شكّلت محرّكا فعل في نفس الريحاني وحثّه على استنهاض الشبيبة السورية في البلاد الشامية كافة . لقد أعلن موقفه العدائي من/ الترك النظام ، صراحة ، وتداعت في مخيلته الفظائع التي ارتكبوها ، من محاولة محق الأمة

---

(١) راجع ، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة . ص: ٤٩٩-٥٠١ .
(٢) القوميات . ج ٢ ، ص: ٨ .
(٣) م . ن . ص: ١١٢ .

الأرمنية الى شنق أحرار سوريا الى أعمال السلب والنهب والتجويع[١] . سلسلة من الجرائم بل كما قال : " تاريخ يبدأ بالسلب والنهب والتدمير وينتهي بالشنق والصلب والتجويع"[٢] . وترتدي لهجته طابعا أكثر حدة وعداء عندما يصرّح أن الأتراك ولدوا أعداء الحرية والمدنية وأنهم سيموتون أعداءهما . آلفت فظائعهم بين المسلم والمسيحي، بين اللبناني والسوري ،فلم تعف أحدا لدينه ،ولم يستثن التجويع أحدا ولم يميّز النهب والنفي والاضطهاد بين واحد وآخر. وذكر ايضا ان المشانق ساوت بين السوريين ،فما اللبناني والشامي والحلبي والفلسطيني ،إلا أسماء أولى لإسم العائلة الجامعة الذي هو سوريا[٣] . من هنا نجد الدعوة الأولى الى الوحدة ،تتبع كردّة فعل على الظلم وتستمدّ جذورها منه ،ثم تروح هذه الجذور تنمو وتتعمّق بعد أن أوجدت الحرب الأولى الفرصة السانحة للخلاص من الاستبداد العثماني . فتصبح سوريا هي الوطن ،وشعبها هو الأمة ،ويصبح الأتراك في الجهة المقابلة أعداء الأمة والوطن وغايتهم محق سوريا أو جعلها "ولاية من ولايات الأناضول"[٤] . ويضمّ الريحاني الى صف الأتراك أولئك الذين ينادون بالعصبية الدينية او الطائفية ويحاولون بذر الشقاق، لمطامع نفسية او لمآرب سياسية . هؤلاء "لغتهم عربية ، ولكن روحهم تركية ،هم أعداء الوطن والأمة"[٥] ،كما قال في إحدى خطبه أثناء الحرب العالمية الأولى .

---

(١) راجع ،القوميات . ج ١ ،ص : ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٢) م . ن . ص: ١٢٤ .

(٣) م . ن . ص: ١٢٩ .

(٤) م . ن . ص: ١٢٥ .

(٥) م . ن . ص: ١٢٩ .

والريحاني لا يخفي ما يؤتيه الإتحاد من قوة ،هي ثمرة انضمام الأجزاء الى الأصل الواحد . فالإتحاد ضروري بالنسبة الى أمة مستضعفة،كالأمة السورية ، توالى عليها الفاتحون ومزّقتها النعرات. قال في سنة ١٩١٥ : "إن ضعفنا كأمّة صغيرة لمن دواعي الشدّة التي نحن فيها،فكيف بنا إذا جزّأنا أنفسنا مئة جزء لا صلة لبعضها ببعض ولا عاطفة وطنية تربطها بعضها بالبعض"(١) . من هنا مناشدته أبناء بلاده أن يعملوا كأمة جمعت شتاتها ووحّدت غايتها حتى يكون لهم من ضعفهم شيء من القوة .

وقد أيقن أيضا ،قبيل انتهاء الحرب ،وقد بدأت تتضح مطامع الاستعمار الغربي في الشرق ،أن فرنسا تبتغي شيئا لقاء ما ستبذله في سبيل سوريا ،وانها لن تهبها "استقلالا تاما صافيا لوجه الله"(٢) . من هنا أعلن ان الشقاق والنعرة الدينية والإقليمية فرص يهتبلها المستعمر لإرساء نفوذه ،متذرعا بالحماية التي يقدّمها لهذه الفئة او تلك ،والتي تتحوّل الى احتلال دائم . أشار الى هذا الأمر عندما ذكر انقسام الناس الى حزبين : أول رسم دائرة صغيرة وثان رسم دائرة كبيرة تحتوي الدائرة الصغيرة . والدائرتان ترمزان الى لبنان وسوريا ،بل الى مبدأين مختلفين ، أحدهما مبني على الفكرة الطائفية التي لا ترى الحق في غير الإعتزال والآخر قائم على الفكرة السديدة ،في نظر الريحاني ،التي ترى ان لا حياة للشعوب المستضعفة إلّا بالإتحاد . لذلك دعا الى المبدأ الثاني ، مفندا الأوهام التي اعتنقها الاعتزاليون، من ان فرنسا مثلا ،ستمنح الحرية والاستقلال للبنانيين حبّا بتقاليد قديمة ،أو اكراما

---

(١) القوميات . ج ١ ،ص : ١٣٨ .

(٢) م . ن . ص : ١٤٧ .

للصليبيين ، مؤكدا أن "الفكرة اللبنانية ، بل الفكرة القومية الطائفية ، هي فكرة عتيقة قديمة"[1]. كما انه وثق بتعقّل اللبنانيين الذين سينبذون هذه الفكرة وكل من يبشّر بها ، متضامنين واخوانهم في البلاد من أجل "سوريا واحدة لا تتجزأ"[2] ، لا يتحرّر قسم منها دون الآخر ولا تستقلّ ولاية عن أختها . فإذا نال السوري حريته وجب ان تشمل الحرية والإستقلال "اللبناني والفلسطيني ، المسيحي والمسلم والدرزي على السواء"[3] ، والذي يخاف من مثل هذه المساواة هو ضعيف عاجز ليس بأهل للحريّة والاستقلال .

وبسط الريحاني عددا من الأسباب[4] تدعم دعوته الى وجوب الإتحاد مع إخوانه السوريين في الداخلية . منها ان تقسيم البلاد السورية الى دويلات مستقلّة تماما بعضها عن بعض ، يقضي على استقلالها ووحدتها ويمكّن منها الطامعين بالاستعمار . كما ان في استقلال لبنان عن الداخلية ما يقطع عنه أهم لوازم العيش من موارد زراعية ، ويقفل طريق التجارة ويقتل حركتها ، فتصاب بيروت بما يقصم ظهرها من الخسارة . أضف الى ذلك ان في هذا الفصل ، خطأ جغرافيا مجحفا ، كما ذكر ، وقسمة غير طبيعية ، لأن لبنان سيستقلّ بأبواب البحر بينما تستقلّ سوريا بأبواب البرّ . وهذا الوضع الشاذ ، لا بدّ لآثاره ان تنعكس على مرافق الإقتصاد والصناعة ووسائل الإتصال . كذلك فإن هذا الوضع يكبّد لبنان تكاليف باهظة لا قبل له بإحتمالها ، وأهمها نفقات الجيش الذي سيضطر الى تجييشه ، فيعجز ساعتئذ عن إيفاء المشروعات العلمية والزراعية والصناعية حقّها في البلاد . وأهمّ ما في الأمر

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ١٤٧ .

(٢) م . ن . ص: ١٤٨ .

(٣) م . ن .

(٤) م . ن . ص: ١٦٠ — ١٦٤ .

أن المشارفة الفرنسية على لبنان ، مستقلّا عن الداخلية ، تتدرج الى احتلال دائم " يقتل روح القومية، فيمسي لبنان كالجزائر ، ويفقد اللبنانيون روحهم القومية وآدابهم العربية ، وتقاليدهم الوطنية والاجتماعية".(١) • ولا ينسى الريحاني ان يذكر للمتغنّين بحبّ فرنسا، أنها لا تبذل شيئا يذكر في ترقية مستعمراتها ، وان الرأي العام فيها يعارض ارسال جنود إفرنسية الى الخارج • وبعد ذلك ، فكيف تصان الحدود ؟ و " إن أمة لا تتجاوز المليون عدّا لتذهب ضحية أطماع القريبين منها والبعيدين".(٢) •

أخيرا، فإن في الانفصال عن الداخلية دليلا على تعصّب ديني وسياسي ، على إيثار الذات على الوطن ، وعلى جبن يخاف أصحابه الأكثرية فلا يصلحون بالتالي لتكوين أمة حرّة مستقلّة • أما خير ما يمكن القيام به ، في رأي الريحاني ، فهو اتحاد يحقق الأمنية بوحدة سورية قومية شاملة ، وتأسيس حكومة دستورية مستقرّة/عندئذ فتنتهي مهمة الدولة المشارفة خلال مدة خمس أو عشر سنوات •

٢- في مفهومه للوحدة السورية :

لقد ذهب الريحاني الى ان الوحدة السورية واجبة • وشأننا ان ننظر الآن الى مفهومه لتلك الوحدة : علّة وجودها ، والأسس التي ينبغي ان تقوم عليها • لقد كتب قبيل انتهاء الحرب الأولى أن الشعوب المتجاورة التي تقطن البلاد السورية لمن " دم واحد ولغة واحدة".(٣) • ثم عاد بعد فترة قصيرة ليؤكد أن الجار ، مهما كان دينه، " أقرب إلينا

---

(١) القوميات • ج ١ ، ص: ١٦٢ •

(٢) م • ن • ص: ١٦٣ •

(٣) م • ن • ص: ١٤٥ •

من الأجنبي بما يربطنا وإيّاه في الأقل من روابط الدم واللغة والجغرافيا"[١] . والسوريون فوق ذلك من الشعوب المستضعفة، وبالتالي، أشد الشعوب حاجة الى التفاهم والتعاون والاتحاد، كما ذكر . وعصب هذا الاتحاد هو الشعور الوطني السليم، الصافي، الخالص من شوائب العصبيات وأخصها العصبية الدينية. الى هذا الأمر أشار حوالي سنة ١٩٢١ فقال : "لا أزال أقول بفصل الدين عن السياسة.. برفع العصبية الوطنية على العصبيات الدينية كلها ... ولا خلاص لنا من التحزّبات الطائفية المبدّدة المهلكة الا بنمو هذه العاطفة الجديدة فينا"[٢] . لذلك دعا الى الانتساب الوطني قبل الانتساب الديني إذ قال : "انا سوري أولا، ولبناني ثانيا، وماروني بعد ذلك"[٣] . وضرب مثلا أنه اذا قام زعماء الطوائف واتفقوا على حكومة سورية واحدة وراحوا يؤسسونها من حيث هم مسلمون ومسيحيون ودروز، فإن اتحادهم لا يدوم طويلا، أو على الأقل، يظل واهيا متزعزعا لا يؤلف من الجماعات الدينية قومية واحدة . من هنا دعوته الى التفكك الطائفي، لتضعف العاطفة الطائفية ويتسنّى الخروج الى الفكرة القومية .

وفي العام ١٩٢٨ خطب فارس مفهوم الوطنية التي تجمع بين السوريين على ثلاثة أركان جوهرية هي اللغة والقومية والمصلحة[٤] ، مؤكدا على فعاليتها وتوفرها جميعا وقدرتها على التأليف بين اللبنانيين والسوريين في وحدة وثيقة العرى. فاللغة العربية لغة البلاد، والثقافة العربية يحمل لواءها السوري واللبناني على السواء . أما القومية فإن فيها قولين، أحدهما ان السوريين، وخصوصا اللبنانيين، متحدّرون من الفينيقيين،

---

(١) القوميات . ج ١، ص: ١٦٣ .

(٢) م . ن . ص: ١٥٢ .

(٣) م . ن .

(٤) م . ن . ص: ٢١٣ .

والآخر مفاده انهم من صميم العرب. غير ان الريحاني كان قد استدلّ من قبل، أثناء رحلته الى شبه الجزيرة العربية في العام ١٩٢٢، الى أن الفينيقيين والعرب هم من أصل واحد هو السامية، ومن بلاد واحدة هي بلاد العرب. وقد رجح هذا الأمر لديه لما وجده في البحرين من الآثار الفينيقية ومن مدن وأساكل فينيقية الأسماء : من مثل "جبيل"، و"صور" فانتهى الى أحد أمرين : إما ان الفينيقيين من أصل عربي وبالتالي هم أبناء العرب، وإما أنهم أجدادهم . ولا فرق عنده اذا كان العرب الأصل او الفرع، إلّا ان ما خرج به "هو أن بين الشعبين العربي والفينيقي صلة جوهرية قد لا ترى ولكنها لا تنكر. بل هي ترى في سنة الوراثة وأدلة الحياة في الحال"(١) . ثم انه في الخطاب الذي ألقاه سنة ١٩٢٨ يشير الى توفّر الميزات والخصال الفينيفية واجتماعها لدى أبناء سوريا ولبنان على السواء، فيقرّر ان العرب والفينيقيين هم الأجداد معا(٢) . وسيعود الريحاني في كتابه "قلب لبنان" ليبحث تلك المسألة بحثا دقيقا ويخلص الى أن "مما أجمع عليه المؤرخون والأثريون، ان الفينيقيين مثل العرب ساميون، بل انهم عرب الأصل نزحوا في قديم الزمان من الشواطئ العربية الشرقية على خليج فارس، ومن البحرين الى سواحل البحر المتوسط"(٣) .

أما الركن الثالث من أركان الوطنية، فهو المصلحة المشتركة المرتكزة على العدل والإنصاف وعلى المساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد . ذلك ان من روابط الوطنية واحدا اقتصاديا، تجاريا، ماديّا، وقد ذكر ان هذا الركن سيتحقّق بعد ان تزول الحيرة والخوف والشك، فيأتي "اليقين موحّدا للعمل الوطني الكبير وتجيء الثقة

---

(١) ملوك العرب . ج ٢، ص: ٢٢٦ .

(٢) راجع، القوميات ج ١، ص: ٢١٤ .

(٣) قلب لبنان . ص: ٥١٩ .

معزّزة للتضامن والإتحاد"[(١)] .

غير ان هذا الوطن، ثمرة الاتحاد ، هو أيضا واقع جغرافي ومؤسسات سياسية . وشأننا ان نطلع الآن على مفهوم الريحاني للوطن السوري من حيث هو كيان سياسي قائم .

لقد صرّح الريحاني أن "لبنان وسوريا لقطر واحد جغرافيا واقتصاديا في الأقل . فلا تقوم سهول بلا شواطئ ولا تحيا جبال بلا سهول"[(٢)] . وهو قد نشد رأب الصدع الذي ثلم القطر عن طريق وحدة سورية قومية جغرافية سياسية . قال حوالي سنة ١٩٢١: "أنا سوري يود ان يرى في سوريا حكومة دستورية لا مركزية عمودها الوحدة القومية الجغرافية وأساسها العدل والمساواة بالحقوق والواجبات"[(٣)] . إلا انه من الخطأ الاعتقاد ان الريحاني مال الى وحدة تذوب فيها الكيانات ذوبا كاملا وتتحلّ الملامح المميزة بين المناطق انحلالا تاما . قال: "ليس احد أشدّ غيرة منّا على لبنان ، وليس أحد أشدّ رغبة منّا في ان يكون للبنان استقلال داخلي على شكل ما كان له في الماضي"[(٤)] . غير ان ما رمى إليه هو استقلال محلّي لا يقدح بالوحدة ولا يخرج عن الرابطة الوطنية الجامعة، فيكون للبنانيين مثلا ، الحق في انتخاب واليهم او متصرّفهم اللبناني ، ويكون لأهل الشام وحلب وفلسطين مثل هذا الحق وهذا الإستقلال . لكنهم يكونون جميعا "مرتبطين بالرابطة الوطنية ، خاضعين لحكم وطني وحاكم عام"[(٥)] .

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ٢١٥ .

(٢) م . ن . ج ٢، ص: ١٦٤ .

(٣) م . ن . ج ١، ص: ١٥٢ .

(٤) م . ن . ص: ١٤٨ .

(٥) م . ن .

وربّما يكون تحفّظه في هذا الأمر راجعا الى رغبته في طمأنة نفوس الأقلية اللبنانية المتشبّثة بالفرنسيين ، وخوفه أن "يرفع علم سوري في دمشق وعلم إفرنسي في لبنان"(١) . والريحاني لا يوافق اللبنانيين في استقلال يطلبونه تحت الحماية الفرنسية نصفه وهم ونصفه تعصّب ديني ، كما ذكر ، ولا يوافق ايضا الدمشقيين في طلبهم استقلالا ناجزا وهم في حاجة الى مال الأوروبيين وعلمهم . لذلك رأى ان لا بأس في مشارفة أوروبية الى أجل محدود حتى يطمئن المسيحيون الى اخوانهم المسلمين فتنمو بينهم تدريجيا ثقة تمكّنهم من التآلف والإتّحاد(٢) . غير ان هذا الواقع لا يمنع قيام حكومة دستورية مستقرّة ، تستطيع حفظ الأمن والنظام ، وتكفل للأقليات حقوقها ، وتجري في أحكامها على سنن العدل والمساواة ، وتقبل بمشارفة محدودة الأجل . وفي سنة ١٩١٨ كتب يقول انه اذا اتحدت الولايات العربية التي منها سوريا ولبنان وفلسطين فخير "حكومة تكفل المساواة بينها هي حكومة جمهورية على شكل حكومة سويسرا . ينتخب رئيسها مناوبة من المجلس التنفيذي الأعلى ، مرّة كل سنة، فيصيب كل عضو منه نصيبا من الرئاسة يرضي العناصر والولايات كلّها . والمجلس الأعلى يتألف من رؤساء الولايات أو من مندوب تنتخبه الولايات"(٣) . وأضاف انه لا بد من حماية أوروبية ، أو وصاية ، إلى زمن محدود(٤) . ثم في سنة ١٩٢٨ كان لا يزال يعتقد ان الجمهورية خير حكومة للبلاد السورية اللبنانية التي ينبغي ان تتّحد في جمهورية واحدة تدعى الجمهورية السورية اللبنانية(٥) . وفي السنة نفسها كرّر تفضيله للحكم الجمهوري وانه ينبغي ان

---

(١) القوميات ج ١ ، ص: ١٥٨ .

(٢) م . ن . ص: ١٥٣ .

(٣) رسائل أمين الريحاني . ص ١٧٩ .

(٤) م . ن . ص: ١٧٩ — ١٨٠ .

(٥) راجع ، القوميات . ج ٢ ، ص : ١١ .

يتجرّد رسميّا عن كل صبغة دينية، إذ ان الجمهورية التي يتغيّر رئيسها على الدوام لا يجوز أن يكون لها دين رسمي: "إنما الوطن دين الجمهورية"[١] . غير أنه رأى أن يكون الرئيس الأول للجمهورية السورية مسيحيا[٢] رغبة منه في طمأنة العنصر المسيحي على الأغلب. وقد حاول وضع هذا الرأى موضع التطبيق في رسالة بعث بها الى "رؤساء وزعماء ونواب الحكومة السورية"[٣] في ٣٠ أيار من سنة ١٩٢٨، عندما أصدر الطبعة الأولى من كتابه "النكبات"، فناشدهم أن ينتخبوا الرئيس الأول للجمهورية السورية من الأقلّيات لكي يخطوا بالأمة الخطوة الأولى الكبرى الى الإستقلال الحقيقي التام . وإذا تمّ هذا الأمر ففي عهد الرئيس الثاني أو الثالث - ولا فرق إذ ذاك مسيحيا كان او مسلما - تتمّ الوحدة السورية الكبرى وتصير الجمهوريتان جمهورية واحدة، أي الجمهورية السورية اللبنانية، كما ذكر[٤] .

٣- في تحقيق الوحدة السورية:

على أن تحقيق الوحدة السورية يحتاج الى خطى تمهيدية تحدّث عنها الريحاني فاستأثرت بقسم لا يستهان به من مؤلفاته . ولطالما ذكر الثورة الأدبية الخلقية الروحية مسترشدا بالآية التي تقول: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم . من هنا قوله: "إن الإنقلاب السياسي الذي لا يسبقه إنقلاب أدبي خلقي روحي، لا يثبت في الأمة ولا يوشك ان ينقلب عليها"[٥] . ولطالما طالب بتحرير النفس ليتحرّر الوطن

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص: ٣٤٨ .

(٢) راجع، القوميات ج ٢، ص: ١٢ .

(٣) راجع، رسائل أمين الريحاني . ص: ٣٤٦ .

(٤) م . ن . ص: ٣٥٠ .

(٥) القوميات . ج ١، ص: ١٧٢ .

وبرفع علم الإستقلال في القلوب حتى تستقلّ البلاد وتبلغ ما تصبو اليه من الوحدة[١] . ورأى أن الدواء الناجع لتحقيق الأمنية بالوحدة ، مركّب من أجزاء متعددة "أهمها المدارس العمومية الحرّة الوطنية اللاطائفية ، والمشاريع الإقتصادية ٠٠ والتفكك الطائفي او اللاطائفية في الحياة المدنية والسياسية ، والشعور القومي الذي يؤدي الى الوحدة السورية الكبرى ، والسعي الدائم المقرون بهذه الفضائل الوطنية في سبيل الإستقلال التام للبلاد كلّها ، من حلب الى الناقورة ومن السويداء الى السويدية"[٢] .

أ ــ العصبية الإقليمية :

عدّ الريحاني النزعة القروية ، أو الإقليمية الضيّقة ، السبب الأول في تقهقر السوريين والخصم الأكبر للوطنية ولمبادىء القومية الجديدة التي لا تعرف التقسيم والتحزّب والتفرقة . ورأى ان الشعوب لا تحيا إلّا بالتآلف والتعاضد وبمبادلة ثمار سعيها . فإذا كانت هذه سنة العمران بين الشعوب المستقلّة بعضها عن البعض الآخر فكيف بها بين السوريين وهم من دم واحد وقطر واحد ولغة واحدة . راح يرفض الفكرة اللبنانية او الفكرة القومية الطائفية ويدين المبشّرين بها . قال : " لبنان ! لبنان ! قد زهّدنا اخواننا السوريين بلبنان ، كأن لأهل لبنان حقّا فيه ليس لغيرهم من السوريين . يا لها من عصبية تذل ، يا لها من لبنانية ضيّقة"[٣] . وعدّ الإستقلال ضمن الإطار اللبناني الضيّق إهانة

---

(١) راجع ، القوميات . ج ٢ ، ص : ٤٦ .

(٢) م . ن . ج ١ ، ص : ١٨١ .

ولعلّه لم يقصد بهذا التحديد الذي يرجع الى العام ١٩٢٥ ، استثناء فلسطين ، وإنّما ذكره من قبيل إرسال الكلام إرسالا .

(٣) م . ن . ص : ١٤٨ .

للّبنانيين لأنه يحصر مواهبهم وقواهم في صخور لبنان،وظلما فادحا لأنه يفتح بابا لاحتلال أجنبي لا حدّ له تذرّعا بالحماية التي يوفرها للأقلية • ومع الاحتلال تأتي السيطرة التي لا يرتضيها لأبناء لبنان لأنها تمسخ شخصياتهم وتفقدهم قوميتهم وتجعلهم خداما وحجابا وكتابا للمسيطرين • ولا خلاص من السيطرة الأجنبية ما دام هؤلاء ينظرون الى البحر،الى الغرب،الى الشمس الغاربة،بدل النظر الى الجبال والى ما دونها من السهول،والى مطلع الشمس[(١)] .

ب ــ العصبية الدينية والطائفية :

لعلّه من المفيد التذكير ان اوائل خطب الريحاني وباكير كتبه دعت الى التساهل الديني الى أقصى الحدود • وقد استمرّت جهوده في مكافحة العصبية الدينية والمذهبية بالتصاعد بعد ذلك،وقد أيقن أنها تحول دون قيام الوحدة القومية المؤسسة على التفكك الطائفي • كتب يقول في سنة ١٩١٠ "بلية سوريا أديانها ،وبلية الأديان أربابها ... فالدين في السياسة لا يأتي لغير الفساد والخراب والموت"[(٢)] أما أرباب الدين فهم "أول من عاث في الأرض فسادا .. ،والكهّان اليوم أو رؤساء الأديان هم أعداء الحرية الروحية"[(٣)] • وذلك لتسلّطهم وجورهم وتغذيتهم النعرة الدينية بدافع من حبّ البقاء والسيطرة • وهم الحائلون دون الإتحاد كما أعلن سنة ١٩٣٣ فقال : "إن بلائنا من أصحاب القلانس والعمائم الذين يحولون دون ائتلافنا واتحادنا"[(٤)] • من هنا مطالبته

---

(١) راجع،القوميات • ج ٢ ،ص: ١٠٥ •

(٢) رسائل أمين الريحاني • ص ١٠٥

(٣) القوميات• ج ١ ،ص: ٦٠ •

(٤) م • ن •ج ٢ ،ص: ٧٣ •

بفصل الدين عن السياسة ، بل بقتل العصبيات الدينية وبرفع العصبية الوطنية مبدأ جامعا للشمل ، وانماء هذه العاطفة الجديدة في نفوس السوريين .

وساءه ، من جهة ثانية ، ان يكثر الناشدون استقلال لبنان ، من ذكر المردة والصليبيين ، فردّ عليهم بأن المردة الذين ساعدوا ملوك بيزنطة ، والموارنة الذين حاربوا مع الصليبيين ، قد مثلوا دورهم في تلك الأزمنة كما ينبغي . اما اليوم ، فإن بين الموارنة وأجدادهم ألف سنة من التطور والعمران ، ولا عذر لديهم في التخلف عن دعوة اخوان لهم في الوطنية ، الى التعاضد في تشييد وطن أساسه الحرية والعدل والمساواة . ورأى الموارنة يؤثرون الفرنسيين على السوريين ، لأن الفرنسيين يمالئونهم على سبيل الدين . ورآهم لا يزالون يقاومون العرب ، لا حبّا بالاستقلال ، بل لأن العرب مسلمون . لذلك أدان موقفهم فوصفهم بالرجعيين وذكر ان نزعاتهم لا تزال دينية كما كانت أيام المردة والصليبيين . ودليله "انهم يرضون بمشارفة افرنسية غير محدودة الأجل تستحيل تدريجيا ، اذا شاءت فرنسا ، احتلالا دائما ، ولا يؤاخون مواطنيهم في البلاد ويتّحدون وجيرانهم"[(١)] . هذه العصبية الدينية هي أكثر ما طالب بالثورة عليه حتى تبني مكانها الطائفة الكبرى ، طائفة الوطن ، طائفة القومية وحتى يضحي السوريون لا طائفيين في السياسة : فكرا وقولا وعملا"[(٢)] . بل انه دعا الى ديانة حب الوطن ، "الديانة الجامعة المقدسة"[(٣)] ورأى ان خير كلمة تفتتح بها الاجتماعات المدنية والوطنية ويشترك فيها الناس جميعا ويخلصون اليقين والايمان ، هي : "بسم الله والوطن"[(٤)] .

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ١٥٧ .

(٢) م . ن . ص: ١٨٣ .

(٣) م . ن . ص: ٤٣ و ١٨٤ .

(٤) م . ن . ص: ١٣٢ .

ج ـ الثقافـة والتربية والتعليم :

تحدّث الريحاني عن أثر الثقافة وخطرها في توجيه النشئ السوري وفي تكوين الأمة تكوينا سليما ، يجعلها تحمل الولاء للوطن وحده . أشار الى أثر الإرساليات المختلفة التي قسمت الأمة واستغلّتها ، فقال في سنة ١٩٢٥ : "لقد حكّت لنا تلك المدارس على جرب وتقاضتنا أجرة باهظة ، قسمتنا واستغلتنا فصار فينا الفرنساوي والانكليزي والأميركي والروسي والطلياني ، وليس فينا واحد من المتعلّمين لبناني او سوري". (١) وأدّى تعدّد الصبغات في المدارس الى تعدد الألسن ، فكتب غب عودته من رحلته العربية يوصي بتعزيز غايات ثلاث : "اللسان العربي فيفضله أبناء البلاد على اللسان الأفرنجي ، والدعاية للآداب العربية فيقبل عليها الخاصة والعامة في الأمة ، ورفع شأن اللغة الفصحى فيصير لها في الدوائر .. والمدارس والأندية ، المقام الأول". (٢) . كما انه بعد عودته من رحلته تلك واستماعه الى الناس من قومه يتحذلقون في أحاديثهم باللغات الإفرنجية ، جعل من مبدأه ان يرد عليهم باللغة العربية وان ينبّه المتكلّم الى تحذلقه ، وان يختم التنبيه ، اذا اقتضى الأمر ، بدون حياء ، كما قال ، بهذه العبارات . "تكلّم بالعربي ، تكلّمي بالعربي ، تكلّموا بالعربي". (٣) . وبعد ، أليس السوريون ممن حملوا لواء الثقافة العربيّة وكانت اللغة الواحدة احدى الأواصر الهامة التي تشدّ بعضهم الى البعض الآخر؟ ونشير ههنا الى أمر طريف حدث للريحاني بعيد الرحلة ، إذ تلقّى دعوة الى زفاف مطبوعة باللغة الفرنسية ، فكتب الى صاحبها يقول : "أنت يا أخي لبناني ، ولك أصدقاء لبنانيون ، ولا شك ، لا يرضون مثلي بأن تقدم لغة على لغتهم العربية". (٤) .

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ١٨٢ .

(٢) م . ن . ص: ١٧٣ .

(٣) م . ن . ص: ١٧٤ .

(٤) م . ن .

واستمرّ منبّها الرجل الى الخطأ الذي ارتكبه لا سيّما وأنه وعروسه لبنانيان ، ولبنان عربيّ اللغة، في الأقل"(١) . وأخطر ما ينجم عن هذا التفرنج ، بالإضافة الى توسيعه الثلمة بين أفراد الأمة وبين اللسان العربي ، بلبلة الشعور الوطني وسوقه في مسالك غربية غريبة . وفي سنة ١٩٢٨ كتب يشير الى هذا الأمر، وقد عرض لأحوال التعليم في الأجزاء الشمالية الساحلية الواقعة تحت الانتداب ، من الأمة العربية . لقد "تعددت المدارس وتنوّعت في هذه البلاد السورية اللبنانية الفلسطينية ، ولكل نوع منها خطـة في التعليم ومبدأ في التهذيب لا يتفقان اجمالا مع منهج سواه"(٢) . وذكر ان هذا التعدد النوعي يعود بالضرر على الوطن لما يشيّعه من شعور متفاوت متنوّع . فمن " الشعور السوري الى الشعور اللبناني ، الى الشعور الفرنسي ـ ومن الشعور العربي ، الى الشعور الصهيوني ، الى الشعور الإنكليزي"(٣) أنواع من الشعور الوطني بل درجات في ما أسماه الريحاني مرض الأمة العصبي . ولطالما وصف المدارس الأجنبية بالمصابغ وأشار الى ما تخنقه في النشئ من روح الوطنية وما تنبته من الشقاق والتفريق بين أبناء الوطن الواحد . وفي سنة ١٩٣٦ كتب يقول ان أصحاب التعليم الأجنبي في لبنان يبثون في من يتعلّمون في مدارسهم وينشأون في كنفهم، ان النهضة العربية مضرّة بالمسيحيين ، وانه لا يمكنهم ان يثقوا بها ولايجوز ان يشاركوا فيها(٤) . وهم لا يعلّمون اللبنانيين إلا لكي يحسنوا الخدمة ويأكلوا خبزهم الإفرنجي مغموسا بزبدة المذلة والخنوع. بل انه لاحظ ان "في أكثر المدارس السورية روحا أجنبيا من شأنه أن يبعد السوريين واللبنانيين عن كل ما هو عربي في غير اللسان ، ولو استطاع

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص ٪ ١٧٥ .

(٢) التطرّف والإصلاح . ص : ٣٤ ـ ٣٥ .

(٣) م . ن . ص: ٣٥ .

(٤) راجع ، القوميات ، ج ٢ ، ص: ١٠٤ .

لأبعدهم كذلك عن اللسان ، لقتل فيهم حب اللغة العربية"[١] . أمام هذا الواقع دعا الى تنشئة جيل جديد يتلقى العلم في مدارس وطنية عامة ويتربّى تربية جديدة يسلم معها شعور الأمة وتصفو الخدمة الوطنية . ودعا الى تأسيس المدارس الوطنية العمومية المجانية التي يمتنع فيها عن تعليم الأديان ، والى اقامة "كلية سورية وطنية ، لا بروتستنتية ولا كاثوليكية ، لا أميركية ولا يسوعية ، بل جامعة وطنية مدنية ترفع منار التهذيب والتعليم الحر في الأمة السورية"[٢] . وفي هذه الجامعة ومثيلاتها تربّى ناشئة تقدّس الوطن فوق كل شيء وتؤثر الأمة السورية على كل الأمم . ولما كانت الطريقة الإصلاحية في رأيه "تبدأ في المدارس بالتعليم وفي البيت بالتربية"[٣] ، دعا في سنة ١٩٢٨ الأم اللبنانية والسورية والفلسطينية الى المساهمة في بناء الوطن الجديد وغرس سلسلة من المثل في نفوس الأبناء ، أهمها محبة الوطن والتساهل الديني والتضامن الاجتماعي والسياسي . كما سأل هذه الأم ان تقول لأبنائها " ان اللسان العربي لسانهم وان اللغة العربية لمن أشرف لغات الأرض . فليتعلموها ، وليتقنوها ، وليعزّزوها"[٤] ، وأن تعلّمهم " أن يكونوا عرب اوّلا ولبنانيين او سوريين او فلسطينيين بعد ذلك"[٥] . ثم في سنة ١٩٣٣ توجّه الى طالبات المدرسة الأهلية ببيروت يدعوهنّ الى تسمية أبنائهن بأسماء عربية عندما يصبحن أمهات وان يرسلنهم الى مدارس وطنية أهلية عربية الروح والصبغة وان يكلّمنهم بلغة عربية صافية[٦] .

---

(١) ملوك العرب . ج ١ ، ص: ١٩ .

(٢) القوميات . ج ٢ ، ص: ١٥٥ .

(٣) م . ن . ج ١ ، ص: ١٦٨ .

(٤) التطرّف والإصلاح . ص: ٥١ .

(٥) م . ن .

(٦) راجع ، القوميات . ج ٢ ، ص: ٦٢ — ٦٤ .

ملحوظـــات حـــول الخط اللبنانـــي السوري :

على اننا وقد فرغنا من عرض جهود الريحاني على صعيد الوحدة اللبنانية السورية ، يتعيّن علينا الإشارة الى ملحوظات قليلة استوقفتنا في سياق تفكيره الوحدوي هذا .

الملحوظة الأولى ان التيار السوري لم يجرف في عبابه احساسه الخاص الدائم بلبنانيته . ونستطيع ان نجزم واثقين ان حب الريحاني للبنان ، الجبل المتميّز المتفرّد ، لم يكن ليدانيه حب آخر ، فكان في انتمائه ينزع الى التخصيص وينتسب الى مسقط الرأس ومرتع الطفولة ومستودع الأهل والذكريات . قال في عام ١٩٢٧ ، في خطبة ألقاها في الولايات المتحدة : "إني أيها السيدات والسادة لبناني من الفريكة . وإني في التفضيل الشخصي قروي جبلي . فلا أفضل بلدة في العالم على الفريكة ولا جبلا في العالم على لبنان"[(١)] . وعاد في السنة ذاتها ليؤكد تعلّقه بوطنه الخاص بل ببلدته الصغيرة ، فقال : "الفريكة مسقط رأسي ومهبط وحيي ، وقطب وحدتي ، وعين أنسي . الفريكة قبلتي في صلاتي ، وتربتي في مماتي ... إن رغبتي الأخيرة ، إذا متّ في الغربة ، هي ان تعاد الجثة الى أمها ، الى تربتها الندية الى أرضها القدسية"[(٢)] . ولعلّه في المناجاة الصوفية هذه ما ينطق بعاطفة اقليمية خاصة لم يستطع الريحاني تجاوزها طوال حياته . وفي سنة ١٩٣١ أفصح عن رغبته للمرة الثانية في أن يدفن في وادي الفريكة[(٣)] . ونراه في مفهومه للبنان الوطن يكاد يقصره على الجبل ، او ما كان يشتمل عليه اسم لبنان زمن المتصرفية ، وهذا

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص: ٢٠٠ .

(٢) م . ن . ص: ٢١٢ .

(٣) راجع ، هتاف الأودية . ص: ١٣٥ ـ ١٣٦ .

الجبل هو في اعتقاده "مصدر الوحي والنور والجمال"[(١)] كما قال في سنة ١٩٢٥. هو الجبل الملهم الحاضن في رحابه أرز الرب المقدس. وفي سنة ١٩٣٤ زار الريحاني مع صديقيه يوسف الحويك وشارل قرم أرز بشرّي ، "أرز لبنان، أرز الرب! الأرز الخالد ، الأرز المقدس"[(٢)] . ومن هناك أطلق نداءه من أجل إنقاذ الأرز من الإنقراض متوجها الى "الذين يرفعون عاليا العلم المزين بالأرزة ويتغنّون بأرز لبنان وبمجده وخلوده"[(٣)] . ونحن ما أوردنا سوى غيض من فيض مما ينضح بحب الريحاني الصافي لوطنه لبنان ممّا يدلّ على أن ذلك الحب ما زادته الأيام إلّا رسوخا . وقد استشهد الريحاني ، في سنة ١٩٣٣ ، الله والتاريخ على أن حبّه للبنان لا يقلّ ذرّة عن حب إخوانه اللبنانيين "الذين يقدّسون أرزه ويتغنّون بمجد الجدود الفينيقيين"[(٤)] . أما كتاب "قلب لبنان" ولعلّه أجمل أناشيد الريحاني في وطنه ، والذي عاجلته المنيّة دون اتمامه ، فكأنه صرخة الحبّ الأخيرة او اللحن الرائع الذي يختتم به ذلك الطائر فصل وجوده ، ليقضي نحبه بعد انشاده .

ولسنا لنجد في ما أشرنا إليه تناقضا ، ولا نحن نهدف الى إبراز تناقض بين هويته اللبنانية وما عداها ، انما نحن نشير الى ان النزعة اللبنانية بقيت دائمة الحضور في تفكيره .

والملحوظة الثانية ان شعورا بالقلق على مصير الأقلية اللبنانية قد رافق تفكير

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص : ٢٥٣ .

(٢) الريحانيات . ج ٢، ص : ١٣٠ .

(٣) م . ن .

(٤) فيصل الأول . ص : ٢٨٥ .

الريحاني في دعوته الى الوحدة بين البلدين . لقد رأى في حقيقة الواقع ما يقسم الأمة قسمة جائرة الى "أكثرية اسلامية وأقليّة مسيحية"[١] . من هنا تفكيره في حقوق الأقليات تفكيرا دائما وتطلّعه الى "حكومة دستورية مستقرّة... تكفل للأقليات حقوقها وتجري في احكامها على سنن العدل والمساواة"[٢] . ومن هنا نفهم أيضا ميـــل الريحاني الى وصاية أجنبية بل تطلعه الى "مشارقة فرنسية محدودة الأجل"[٣] . ونفهم أيضا تمويهه إذ يربط الوجود الأجنبي بغاية تمدينية حضارية هي في الحقيقة ستار يخفي قلقا على مصير الأقلية . قال : "إني لا أوافق مواطنيّ الدمشقيين فـــي استقلال ناجز يطالبون به وهم في حاجة الى مال الأوروبيين وعلم الأوروبيين في بادىء أمرهم"[٤] مع علمه بأن "من حقائق تاريخ فرنسا الإستعماري أنها لا تبذل شيئا يذكر في ترقية مستعمراتها"[٥] . لكنه لا يعتم ان يصرح بقلقه الحقيقي فيرى "أن لا بأس في مشارفة أوروبية الى أجل محدود حتى يطمئن المسيحيون الى اخوانهم المسلمين فتنمو بين الشعبين تدريجيا ثقة تمكّنهم من التآلف والاتحاد"[٦] .

أما الملحوظة الثالثة فهي ان دعوة الريحاني الى الوحدة اللبنانية السورية ربّما كانت في بعض أوجهها استجابة الى فكرة مفادها أن سوريا ستحتوي الكيان اللبناني عاجلا أم آجلا، وأن الاتحاد عن تفاهم لخير من الاتحاد عن طريق الإجبار والإكراه . وسنعمد الآن الى ايضاح هذا الأمر .

---

(١) القوميات . ج ١، ص : ١٥٨ .

(٢) م . ن . ص : ١٦٤ .

(٣) م . ن .

(٤) م . ن . ص: ١٥٣ .

(٥) م . ن . ص : ١٦٢ .

(٦) م . ن . ص : ١٥٣ .

قال الريحاني يقصد اللبنانيين : " إن أمة لا تتجاوز المليون عدّا لتذهب ضحية ذوي الأطماع القريبين منها والبعيدين"[١] . وبعد أن وعى هذا الأمر تعيّن عليه أن يجابه اختيارين : إما القبول بالإنتداب الفرنسي الذي يسير بالجمهورية اللبنانية الى الدمار ويحولّها الى مستعمرة فرنسية ، وإما الرضوخ لسوريا التي ستستولي على لبنان إذا خرجت الدولة منه . قال في هذا الصدد : "وكأني بأخي اللبناني يقول ، ولكن سوريا تستولي على لبنان إذا خرجت الدولة المنتدبة منه ، هذا صحيح . وما دامت الدولة المنتدبة فيه فهو مقيّد بمصالحها وليس استقلاله غير حبر على ورق"[٢] . أمام الإختيارين آثر الانضمام الى سوريا ، قال : "وإذا خرجت فرنسا من لبنان يضمّ الى سوريا شاء اللبنانيون أم لم يشاؤوا . فأي الحالين أحسن ، يا ترى ، ان يكون الضم كرها أم اتفاقا ؟ لا أظن ان في لبنان لبنانيا واحدا عاقلا يقول إن الإكراه خير من التفاهم والإتفاق"[٣] . ولا يناقش هذا الأمر برده الى محاولة الريحاني اقناع اللبنانيين بقبول الوحدة السورية . ذلك انه هو نفسه وعى مطامع سوريا وافترض سنة ١٩٢٧ ، انه إذا نال لبنان ما يبغيه من السيادة التامة "فالقوة الغالبة الى جانبه تزيد بمشاكله السياسية وتعرقل جهوده كلّها . وهذا أقلّ ما يكون من سوء حاله"[٤] . كذلك ردّ على السوريين ممن زعموا بأن سوريا لن تتدخل في شؤون لبنان إذا احرز استقلالا تاما ، فقال : "يزعم بعض الوطنيين السوريين أنهم لا يبغون شيئا من لبنان وأنهم لا يتدخلون بشؤونه اذا طلب استقلاله واستقلّ كما ستستقلّ سوريا . كلام باطل . فإن في حقيقة الحال ما لا يؤيد هذا الزعم . فإذا خرجت الدولة

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص : ١٦٣ .

(٢) م . ن . ص : ٢٠٢ .

(٣) م . ن . ص : ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٤) م . ن . ص : ٢٠١ .

المنتدبة من البلاد وترك لبنان وشأنه تستولي عليه عاجلا أو آجلا القوة الغالبة في سوريا"[١] .

أضف الى هذا كله ان الحذر كان يدفع الريحاني الى تمثل أسوأ الاحتمالات حتى اثناء دعوته الى الوحدة ،فذكر انه اذا لم تقم ،فإن البلدين يضطران الى "تجنيد جيشين على نسبة جائرة لا تطاق لتحمي كل منهما تخومها من تعدّيات جارتها . ويكون لبنان من هذا القبيل ،مظلوما جدا ،لأن اللبنانيين وهم الأقلية يمسون في خطر دائم"[٢] .

أما الملحوظة الرابعة والأخيرة فتدور على موقف الريحاني من الفرنسيين.والواقع ان ثقته بالفرنسيين قد رجحت غالبا على شكوكه فيهم . وبين أيدينا رسالة[٣] له غير منشورة تعود الى ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٢٩ وجّهها الى أخيه يوسف فحمل فيها على التعصّب الديني الذي يجعل بعض أبناء الطائفة الارثوذكسية يناهضون الحركات الموالية لفرنسا ،لا لشيء ،بل لأن متزعميها هم من الموارنة . وقد أشار في الرسالة الى بطريرك دمشق الأرثوذكسي ،الذي أنشأ صحيفتين من أجل مساندة القضية العربية والمطالبة بملك الحجاز حاكما على سوريا ،لأن الموارنة يطالبون بفرنسا . ونورد مقطعا من الرسالة بالانكليزية حتى لا يضيع شيء من المعنى في الترجمة .

---

(١) القوميات . ج ١ ،ص : ٢٠١ .
(٢) م . ن . ص: ١٦١ .
(٣) رسالة وجهها من نيويورك بتاريخ ٢٦ كانون الثاني عام ١٩١٩ الى شقيقه يوسف . (Joe)

" The patriarch of the Orthodox in Damascus has established two newspapers, one of which is edited by S.D. himself, an unscrupulous agitator, a scoundrel, to support--what do you think? The cause of the Arabs and to demand that the king of Hijaz be the ruler of Syria. And Why? because the Maronites want France! such is the situation, I think, sometimes that you are right in attaching yourself whole- heartedly to this great country."

وفي هذا الكلام ما يشعر بضرب من استهجان القضية العربية بحيث قد يصبح استغرابها سببا مسوغا لطرحها بشكل أسئلة تشابه الأحجية ،كما نستشف من خلاله الميل الى أميركا وموافقته أخاه على ربطه قلبه كلية الى هذه الدولة العظيمة . وبعد هذا التاريخ بسنوات ثلاث،وكان الريحاني قطع شوطا من دعوته الى الوحدة السورية ،كتب على شيء من السذاجة يسأل فرنسا ان ترعى قيام تلك الوحدة : "راقبينا خمس سنوات مثلا فتتأكدين من حسن نيّتنا ،وتتحققين إن شاء الله ، حسن عملنا".[١] ثم تقترن السذاجة بشيء من تشوّش الأفكار عنده في هذا المقال . فهو يعلم مثلا أن فرنسا تريد بسط حمايتها في البلاد السورية كلها .. وأنها تلعب بالسادة وبالاكليروس لعب الأكر،وانها كانت تنافق وتراوغ حين "أذنت برسم الأرزة في العلم الفرنسي وبرفعه علما لبنانيا في الجبل . لكنها حين تعزّز موقفها بقرار مؤتمر سان ريمو غيّرت خطتها فأمرت بطي العلم ،علم المجد والإستقلال".[٢] إلّا ان الريحاني ،وبالرغم من ذلك كلّه ،لا يفقد ثقته في فرنسا بل يقول في المقال ذاته : "ولا شك عندي ان سياسة فرنسا السورية ستكون ،منذ الآن فصاعدا سياسة توحيد لا تفريق".[٣] .

---

(١) القوميات . ج ١ ،ص: ١٥٤ .

(٢) م . ن . ص: ١٥٥ .

(٣) م . ن . ص: ١٥٤ .

وقد حرص على ألا يقطع شعرة معاوية مع الفرنسيين . وإذا نحن استثنينا خطبته في عاليه[١] ، وخطبته "بين عهدين"[٢] التي تلتها في عام ١٩٣٣ ذاته ، وقد شاء ان يكسوهما عنف اللهجة وحدة النبرة ، لوجدنا ان مواقفه من الفرنسيين تردّدت بين التراخي وبين الثقة . صحيح انه قد رفض وجود فرنسا وجودا دائما مطلقا ، إلا انه أرادها ان تبقى لفترة ، حتى تكلأ بعينها الوحدة السورية وترعى نشوءها الى أمد . من هنا شكّلت فرنسا بالنسبة إليه ، واعيا أو غير واع ، تلك الضمانة التي توفّر الحماية وتشيع الإطمئنان ، لذلك طالب بالمشارفة وهو يعلم أنها تتعارض مع الإستقلال التام ، بل انه رأى "الانتداب الفرنسي الديموقراطي لازما الى حين محدود"[٣].

وفي سنة ١٩٣٦ كشف الريحاني عن اتصال الفرنسيين به أيام الجنرال سراي كي يفيدوا من معلوماته حول البلاد العربية وملوكها وبالأخص ابن سعود[٤] . وقد ادعى لنفسه بعض الفضل في تمهيد السبل الى التقارب بين الملك عبد العزيز والحكومة الفرنسية ، كما انطلق من هذا الأمر ليعلن تفاؤله بالمستقبل ، مؤكدا أن "فرنسا ستكون من أخلص أصدقاء العرب والحكومات العربية المستقلة"[٥] . وراح يلتمس للسياسة الفرنسية الأعذار مبرّرا ما وقفته تجاه العرب في السنوات الأولى للاحتلال من مواقف عدائية بأنه كان موقف المخالف المقاوم للسياسة الانكليزية ، وأنه لا يجوز القول بأن فرنسا في سياستها الحديثة ، أي بعد الثورة السورية ، والمعاهدة الفرنسية السورية ، هي غير موالية للعرب.

---

(١) راجع ، أنتم الشعراء . ص: ٨٠ ـ ٨٩ .
(٢) راجع ، القوميات . ج ٢ ، ص: ٦٧ـ٧٦ .
(٣) م . ن . ص: ١١ .
(٤) م . ن . ص: ١٠٧ .
(٥) م . ن .

على ضوء هذا الأمر نراه يسأل فرنسا ألا تتردّد في الموافقة في أن يكون لبنان عضوا في الحلف العربي ،وان موافقتها ستؤدي الى وجوب الاعتراف بمصالحها في هذه الزاوية من البحر المتوسط،وفي جملتها المعاهد الفرنسية العلمانية . وهنا ينسى ما دعا اليه من تعليم وطني قوامه مدارس عربية الروح والصبغة،فيتحوّل الى داعية للثقافة الفرنسية العلمانية في البلاد العربية،مؤكدا قدرتها على الانتشار في تلك الأقطار انتشارا سريعا باهرا[1] . ونستطرد ههنا قليلا لنشير الى ان المعاهدة الفرنسية السورية التي هلّل لها الريحاني،والتي وعدت وعودا خلّابة[2]، لم تثن الفرنسيين عن سلخ لواء الاسكندرونة عن سوريا واقطاعه تركيا في عام ١٩٣٩[3] .

الريحانـــي والإطـــار الفلسطينـــي :

لقد اتسع النطاق السوري ليشمل الكيان الفلسطيني ويحتويه من حيث هو جزء من اطار عام . وانه يتحتّم علينا ،وقد عوّلنا على تتبع نزعة الريحاني العربية من خلال الدوائر التي برزت فيها جهوده ،ان نفرد لفلسطين دائرة داخل الاطار السوري . فالريحاني قد أعلن خلال الحرب العالمية الأولى ان اللبناني والسوري والفلسطيني يعملون عملا واحدا ويسعون سعيا واحدا ،وأنهم جميعا سوريون . قال : "فما اللبناني والشامي والبيروتي والحلبي والفلسطيني ... إلا أسماء أولى نسمّي بها . أما اسم العائلة ،عائلتنا فهو سوريا"[4] . ثم راح بعد ذلك يشمل

---

(١) راجع،القوميات . ج ٢ ،ص: ١٠٨ .

(٢) راجع،دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة . ص: ٤٣١ .

(٣) م . ن . ص : ٤٣٢ .

(٤) القوميات . ج ١ ،ص: ١٢٩ .

الفلسطينيين في حديثه عن الوحدة السورية[١] وفي نداءاته الى أبناء سوريا بصورة عامة[٢] . غير أن وعد بلفور، المتضمن عطف بريطانيا على إقامة وطن قوميّ في فلسطين للشعب اليهودي، والتزامها ببذل الجهود لتسهيل بلوغ هذه الغاية، وما شهدته فلسطين من تطوّرات سياسية تنذر بالمأساة، أخرجت الريحاني من التعميم الى التخصيص. ونستطيع القول ان اهتمامه بفلسطين من حيث هي قضية، أخذ يتضح ويتبلور في تاريخ يرقى الى العام ١٩٢٧ . ففي مقال بعث به في تلك السنة، الى جريدة "الجامعة العربية" بالقدس، دعا الى مقاومة الصهيونية، الى اتحاد الفلسطينيين ونبذهم الشقاق والتحزّب، وقد أدرك طبيعة الخصم الذي "يحسن فوق كل شيء : المساومة، ويحسن الإنتفاع بما يراه من الضعف والتلكؤ، فهو يرحب بالفرص، ويسلك الى تحقيق أغراضه السبل السياسية والمالية والإجتماعية والدينية كلّها."[٣] راح يحذر من الخطر الصهيوني، ولمّا يزل ذلك الخطر ضعيف الشوكة نسبيا، محاولا تفادي النكبة التي من شأنها تسديد طعنة في صميم الوحدة، فكان في موقفه ذاك، واحدا من الذين "يشكون من سياسة إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، خوفا من أن تمنع تلك السياسة فلسطين من ان تصبح جزءا من دولة مستقلة، سورية أو عربية"[٤] . يتّضح هذا الأمر من خلال ما كتبه في ظروف انعقاد مؤتمر بلودان في سنة ١٩٣٧ بسورية، الذي "عقد للدفاع عن القضية الفلسطينية العربية، ولإثبات اتصالها بالقضية العربية الكبرى"[٥] . ذهب الى أنه لو حلّت قضية فلسطين مساومة، ورضي الفلسطينيون بتلك المساومة دون ان يرضى سائر العرب، فهي باطلة المفعول، وللأمة العربية الحق بإعادة النظر فيها . قال : "إذا قبل

---

(١) راجع، القوميات . ج ١، ص: ١٤٨ .

(٢) م . ن . ص: ١٣١ والتطرّف والإصلاح . ص: ٥٠ .

(٣) القوميات . ج ١، ص: ٢٠٨ .

(٤) الفكر العربي في عصر النهضة . ص: ٣٤٩ .

(٥) القوميات . ج ٢، ص: ١٤٢ .

الفلسطينيون بالتقسيم فالعرب لا يقبلون به ،لأنه يجحف بحقوقهم التاريخية والوطنية والجغرافية، وينقض العهود العربية الانكليزية التي عقدت في أيام الحرب العظمى " (١) . من هنا تخرج القضية بالنسبة إليه عن إطارها الضيّق ،فتفارق محلّيتها لتكتسي طابعا عربيا مصيريا هامّا ،بل لتصبح "القضية الفلسطينية قضية عربية" (٢) . قال : " كلنا في القضية الصهيونية ،عرب . حقوقنا ظاهرة كشمس الضحى ،يؤيدها التاريخ ، ويؤيدها الشرع ،وتؤيدها ،فوق ذلك ،المعاهدات الدولية" (٣) .

وفي عام ١٩٣٦ أرسل كتابا الى ملوك العرب : عبد العزيز آل سعود ، غازي الأول ،الإمام يحيى وفاروق الأول ،يلفت فيه أنظارهم الى المأساة العربية الصهيونية الانكليزية ،ويدعوهم الى العمل من أجل فلسطين . وفي تلك الرسالة ما يثبت ان دفاعه عن الحق العربي في فلسطين كان بالحجج والقرائن بعيدا عن التشنّجات والعواطف المتباكية . نراه يعيد أصول المأساة الى وعد بلفور وما أثمره من ثورات دامية متوالية على أرض فلسطين (٤) ،ثم يجمع الأدلة التي تبرز الحق العربي وتدعمه ،بعد ان تمّ له ان هذا الحق " الوطني القومي التاريخي القانوني ، ظاهر كالشمس في رائعة النهار" (٥) . وهذا الحق تؤيده عهود الحكومة البريطانية للملك حسين في كانون الثاني من عام ١٩١٦ لتأسيس دولة عربية تشمل فلسطين

---

(١) القوميات . ج ٢ ،ص : ١٤٣ .
(٢) م . ن . ص : ١٦٤ .
(٣) م . ن . ص : ١٤٨ .
(٤) راجع ،رسائل أمين الريحاني . ص: ٥٢٦ .
(٥) م . ن .

وسوريا والعراق ،ويؤيده كذلك عهد الحكومتين البريطانية والفرنسية في بلاغهما الرسمي في تشرين الثاني من عام ١٩١٨، الذي يضمن لمن كانوا رازحين تحت حكم الأتراك، حقوقهم في تأسيس حكومة وطنية تستمدّ سيادتها من مشيئة الأهالي الحرّة. وتؤيده أيضا المادة الثانية من صك الانتداب على فلسطين ،التي توصي بعدم الاضرار بحقوق أهل البلاد الدينية والمدنية. أخيرا فإن الحق العربي تدعمه الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من معاهدة فرساي، التي تضمن لأهالي فلسطين وسوريا والعراق ، الحق في تقرير مصيرهم . ولا يكتفي بالعهود الدولية ،بل يرجع الى التاريخ ليظهر عراقة العرب وأصالتهم في فلسطين ،والى الجغرافية ليبرهن ان فلسطين جزء لا يتجزأ من البلاد العربية ،لأنه لا يفصلها عن شبه الجزيرة بحر أو نهر أو جبل . كما أن هنالك عوامل الثقافة واللغة والتقاليد التي هي جميعا واحدة في فلسطين وغيرها من الأقطار العربية الأخرى ،فلايتسرب بعد ذلك كلّه شك الى أن العرب هم أصحاب فلسطين [1] . وفي الرسالة نفسها يستنجد بالملوك العرب كي يتدخّلوا لحل هذه القضية ـ المأساة بالتفاوض مع الحكومة البريطانية كما يرفق رسالته باقتراح لحلّ القضية، يبقي بريطانيا على ولائها لليهود دون أن تعادي العرب. إلّا ان جامع رسائل الريحاني ،شقيقه ألبرت،ذكر انه لم يعثر على ذلك الإقتراح [2] .

أما على الصعيد الأميركي فقد احتلّت هذه القضية مكانا بارزا ضمن جولات الريحاني الخطابية عبر ولايات اميركا . ففي تلك البلاد " أمة أميركية حرّة أبيـــة

---

(١) راجع ،رسائل أمين الريحاني . ص: ٥٢٥ ـ ٥٣٠ .

(٢) راجع ، م . ن . ص : ٥٢٩ .

النفس ،محبة للعدل ،معزّزة للحق "،(١) لا تعرف من القضية غير الوجهة الصهيونية . وقد عدّ الريحاني هذا العمل من أجل إيضاح الحق العربي ودعمه ،فرضا مقدّسا على كل عربي هو حقا من " سلالة أولئك العرب الذين دوّخوا نصف العالم في نصف قرن "(٢) . في شتاء عام ١٩٢٩ ،سافر الى الولايات المتحدة ،فأفرد قسطا من جهوده لشرح ملابسات القضية ،وتلقّى رسائل عديدة(٣) في تلك الفترة ،تثني على جهوده ،وتشير الى دخوله في مناقشات عامة مع الصهاينة . أرسلت إليه جمعية الاتحاد والاخاء الفلسطينية كتابا جاء فيه : " قد اطلعنا على مناقشتك مع المستر موريس ... وخروجك ظافرا فيما بينهم ،مبرهنا بوضوح عن حقوق الأمة الفلسطينية "(٤) . ثم في عام ١٩٣٧ ،سافر الى أميركا ثانية وخصّ القضية الفلسطينية بقسط من جهوده . كتب في ١٤ شباط من ذلك العام يصف إحدى جولاته هناك ،على كثير من الصراحة ،في رسالة الى شقيقه ألبرت . قال : " يممنا قاعة الاجتماع ،وكانت قد غصّت بالناس رجالا ونساء ... نطحنا الزاد — لونا بعد لون وجاءت القهوة — ووقف الرئيس ليقدّمني الى الحضور بكلمة وجيزة — وحدّد لي الوقت بنصف ساعة لعرض قضية فلسطين .. — فعرضناها بما تعهد من البيان واطلقنا المدافع على الدولة البريطانية ووعد بلفور الصهيونيين "(٥). ثم يسترسل فيصف ما جرى من مناقشة ثم ما انجلت عنه من نتيجة " كانت الغلبة فيها للعرب "(٦) . وفي نهاية المناقشة تناول الريحاني أجرته . قال : " ثم قدّم لنا رئيس

---

(١) القوميات . ج ٢ ،ص: ١٤٩ .
(٢) م . ن . ص: ١٤٨ .
(٣) راجع ،الريحاني ومعاصروه . رسائل الأدباء إليه . ص: ٢٦٤ ،٢٦٥ و ٢٧٨ .
(٤) م . ن . ص: ٢٦٨ .
(٥) رسائل أمين الريحاني . ص: ٥١٤ — ٥١٥ .
(٦) م . ن . ص: ٥١٥ .

الجمعية الأجرة شكًا بمائة وخمسة وسبعين دولارا . مائة منها أجرة الخطيب ـ أجرتي ـ وخمسة وسبعون مصاريف الأسفار" (١) . ويكمل الرسالة فيذكر ما يزمع القيام به من سفر الى وست فرجينيا، على بعد ألف ميل من ابتداء جولته الخطابية، يقول : " فنكون قد قطعنا نحو ألف ميل في ثلاثة أيام لندافع عن حقوق العرب في فلسطين . هذا مثال من العمل القائم به فهل تظنه متعبا . الله! الله! هو مهلك وعسى أن ينتهي بخير وسلام" (٢) . في عام ١٩٣٧ ذاته، عاد الى لبنان، وتلقى رسالة من محمد أمين الحسيني يطري فيها الجهود التي بذلها في الولايات المتحدة، "لإسماع صوت العرب بواسطة الخطب والمقالات" (٣) . في ٤ تشرين الأول من عام ١٩٣٨، كتب يحيي " كل من حمل بندقية، وكل من حمل قلما، ... وكل من دفع غرشا ... في سبيل فلسطين، بل في سبيل الحق والعروبة الفلسطينية" (٤) . وفي الرسالة نفسها يعلن عن عزمه العودة الى الولايات المتحدة ليحمل على الصهيونية في عقر دارها . عاد في عام ١٩٣٩ متابعا خطبه ومقالاته في الموضوع . أما كتابه "The Fate Of Palestine" فيحتوي ما استطاع شقيقه ألبرت ان يجمعه من تلك المقالات والخطب التي تعود الى الفترة ما بين ١٩٢٧ و ١٩٣٩، وقد عرض من خلالها للغربيين ملابسات القضية عرضا دعامته المنطق وأركانه الحجج والبراهين . نراه يعيد تسلسل الأحداث التي سبقت اندلاع الحرب الأولى، مشيرا الى اليقظة العربية ورغبة العرب في التفلّت من النير التركي، ثم الى ما أسفرت عنه المفاوضات بين الحلفاء والشريف

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص ٥١٥ .
(٢) م . ن . ص ٥١٥
(٣) الريحاني ومعاصروه . رسائل الأدباء إليه . ص: ٣٣٣ .
(٤) رسائل أمين الريحاني . ص: ٥٤٥ .

حسين في كانون الثاني من عام ١٩١٦، من اتفاق ينصّ على انشاء دولة عربية تشمل ، في ما تشمل ،فلسطين ، وسوريا والعراق [١] ثم تأكد هذا الإتفاق في رسالة بعث بها السر هنري ماكماهون الى الشريف حسين، في العاشر من آذار عام ١٩١٦٠ إلّا أنه في السابع عشر من أيار ١٩١٦ عقدت معاهدة سايس - بيكو بين الانكليز والفرنسيين ،سرّا ،فقسم بموجبها العراق وسوريا الى مناطق نفوذ ذات ألوان حمراء وزرقاء وسمراء٠ أما فلسطين فلم يتوصّل الى قرار حاسم بشأنها في ذلك الحين ،ولم يشر إليها في معاهدة التقسيم كما ذكر الريحاني [٢].
لقد حارب العرب من أجل الإستقلال ، وساعدوا الحلفاء وبذلوا الدماء ، لكنّهم حصدوا الخيبة ، إذ وضعت سوريا والعراق وفلسطين تحت الانتداب ٠ غير أن فلسطين عانت من بليّة مزدوجة : الانتداب من جهة ووعد بلفور من جهة أخرى ٠
ولم يغفل الريحاني ،في مقالة له بتاريخ ١٩٣١ ،الاشارة الى المطامع الصهيونية التي رأت في وعد بلفور ما يمنحها فلسطين كوطن قوميّ، والصحيح انه إنما يجيز لها أن تبني وطنا قوميا لها هناك : والفرق جلي بين العبارتين [٣] ٠وهو لا يعترض على وجود اليهود الأصليين الذين عدّهم عربا سواء بسواء مع عرب اليمن اليهود مثلا ٠ انما اعتراضه قد ارتكز على تدفق اليهود الوافدين من أصقاع الأرض المختلفة ، وفي هجرتهم الى فلسطين ما يجحف بحقوق أصحابها العرب ويقلّص رقعة أرضهم على مرور الأيام ٠ أضف الى هذا ان مطامع هؤلاء الطارئين قد تمتدّ مستقبلا محاولة تحقيق الحلم التاريخي او استرجاع أرض الميعاد ،من الفرات الى النيل ٠

---

(١) راجع ، The Fate Of Palestine. P. 19.

(٢) Ibid. P.20.

(٣) Ibid. P. 23.

ويردّ الريحاني الأحوال القلقة في فلسطين والاضطرابات والثورات والفتن الى وعد بلفور الذي سيشكّل على الدوام حجر العثرة في طريق السلام في الأرض المقدسة . لقد كتب يقول إن السلام في الشرق الأوسط منوط بتحقيق السلام على أرض فلسطين ومتعلق بالحل الدائم والعادل للقضية ، بل إنه عاد ليقول : "إن السلام في العالم بأسره يتوقّف بصورة ما على السلام في الأرض المقدّسة" (١) . أما المزاعم الصهيونية التي تدّعي في أرض فلسطين حقوقا ترتكز الى حجج تاريخية ودينية ، فإنه يفنّدها بالأدلّة ، تماما كما في رسالته الى الملوك العرب ، ويخلص الى القول بأن " الوطن القومي لليهود في فلسطين لا يمكن ان يقوم دون تشرّد السكّان العرب من منازلهم" (٢) ، نراه بالنتيجة يدعو الانكليز الى تمزيق وعد بلفور (٣) ، تماما كما فعلوا بالنسبة الى وعودهم للشريف حسين ، مفسحين المجال أمام العرب واليهود كي يحلّوا خلافاتهم في ما بينهم ، بروح السلم والصداقة ، طبقا لما كان يجري قبل إصدار الوعد . والحق ان الريحاني قد عاد الى هذه النقطة ليؤكدها ، فلم يستبعد إمكان تلاقي آمال العرب واليهود ، من خلال وطنية تجمع بين الفريقين في فلسطين ، يكون فيها تحقيق الخير العام (٤) .

ويمكن القول أخيرا ، ان سائر خطب الريحاني ومقالاته ، عبر جولاته في الولايات المتحدة ، تنهج هذا المنهج المعتدل في دفاعه عن الحق العربي في فلسطين . كما ان حججه لا تخرج في جوهرها عمّا رأيناه في الرسالة التي رفعها الى الملوك العرب .

---

(١) The Fate Of Palestine. P.30.

(٢) Ibid. P. 37.

(٣) Ibid. P. 40.

(٤) Ibid. PP. 41-47, 127.

فهو يعارض بشدّة الروح الصهيونية الطامعة بالتوسّع والسيطرة ، مميّزا بين اليهودية والصهيونية ، مفتّشا عن حلّ يناسب الوضع الراهن ، يحفظ لليهود كيانهم الحاضر ويحدّ تماما من الهجرة التي تزيد الأوضاع تفاقما وخطورة [١]، ويلغي بالتالي فكرة الوطن الصهيوني الذي يشمل فلسطين بأسرها [٢] ويهدّد مصيرها من حيث هي جزء من البلاد العربية [٣] .

أما وقد فرغنا من الحديث على الإطار الفلسطيني ، فإنّنا نثبت ملاحظة واحدة مفادها ان نظرة الريحاني الى اتصال ذلك الإطار وارتباطه بالوطن السوري لم تتصف بالوضوح والدقّة الكافيين . صحيح أنه قد عدّ أهل فلسطين جزءا من السوريين فتحدّث مثلا سنة ١٩٢٥ عن " الأمة السورية اللبنانية الفلسطينية العلوية الدرزية العربية — الممزّقة التاعسة " [٤] ، وأنه دأب على شمل أهل فلسطين في توجّهه الى السوريين عامة ، إلّا ان علاقة الكيان الجغرافي لفلسطين بالوطن السوري الكبير لم تتّخذ شكلا واضحا ، ولعلّ ذلك يرجع الى نشوء المشكلة الفلسطينية ثم تطوّرها واتخاذها شكل "القضية" .

---

(١) راجع ، The Fate Of Palestine . PP. 73-74

(٢) Ibid. PP. 84-85, 104 - 105 .

(٣) Ibid. P. 117 .

(٤) رسائل أمين الريحاني . ص: ٢٥٠ .

الفصل الثالث

أمين الريحاني والخط العربي العام

من الإطار السوري إلى الإطار العربي العام :

لقد كان الريحاني في تحركه داخل الإطار السوري عاملا للوحدة السورية يعتقد ان تلك الوحدة هي ،على صورة ما ،وحدة عربية . كتب في ٢٦ تشرين الثاني من عام ١٩١٨ يقول : "أنا يا أخي ،لبناني عربي ،وماروني بعد ذلك ،وانني ممّن يعتقدون ان الإتحاد سياسيا بين العناصر المختلفة دينا ،هو ممكن ،إن لم يكن اليوم ففي المستقبل القريب"[(١)] . ويكمل بعد ذلك ليقول ان رأيه، الذي قد يحسب حلما من الأحلام ،هو أنه "إذا اتحدت العناصر سياسيا يمهّد السبيل الى اتحاد الولايات العربية التي منها سوريا ولبنان وفلسطين"[(٢)] . ثم في ٥ أيلول من سنة ١٩٢٠ ،كتب الى الأمير فيصل يقول : "إن اعتقادي بالوحدة العربية ثابت على الدوام .. وإن إيماني بالناشئة العربية الجديدة لعظيم .. ولطالما كتبت في الثورة العربية والنهضة العربية .. وأنتم مولاي ،سيف تلك الثورة، وترس تلك النهضة"[(٣)] . ويعلن في الرسالة نفسها أنه لن ينسى فيصلا او ينقلب عليه بعد أن عبثت السياسة الأوروبية بالآمال الوطنية. وجدير بالذكر ان هذه الرسالة تعود الى ما بعد انهيار حكم فيصل في سورية في ٢٨ تموز من عام ١٩٢٠، وبعد ان طويت صفحة المملكة العربية السورية التي شملت سوريا بحدودها الطبيعية ،بما فيها فلسطين ولبنان .

ثم كتب الريحاني في ١٥ تشرين الأول من عام ١٩٢١، وكانت سوريا "الفيصلية" قد تجزّأت على يدي الانتداب، فذكر الوحدة السورية من حيث هي وحدة عربية .

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص: ١٧٩ .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن . ص: ١٨٥ .

قال : "أنا لم أزل ممن يعتقدون الوحدة العربية ويبصرونها . وهل تظنني أعيش سعيدا في لبنان — كبيرا أو صغيرا — إذا كنت كل مرّة أرغب بزيارة اخواني في دمشق أشعر عند اجتيازي ريّاق أنني سائح في بلاد أجنبية"(١) . وإذا كان مفهوم الريحاني للوحدة العربية لم يتضح اتضاحا نهائيا حتى العام ١٩٢٢ على الأقل ، فإن مفهومه للعرب المتواجدين خارج الإطار السوري ، وإحساسه بالإنتماء إليهم عانيا أيضا من الأمر نفسه . في سنة ١٩١٠ كتب المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشتوفسكي يقول عن الريحاني : "هو عربي صميم ، بل هو سوري وابن جبل لبنان . وإن لوطنه هذا المقام الأول في جميع أفكاره وأمياله وأطواره . أما البلاد العربية الأخرى فإذا جاء ذكرها في مقالاته فذلك نادر ، وبعبارة أخرى ، هي غالبا غامضة كأنه يتكلّم عن الهند او الصين"(٢) .

وفي سنة ١٩١٣ كتب الريحاني يقول : "إني في بلاد الغربة لا أرى حسنة من حسنات التمدن ، إلّا وأتمناها لبلادي . واني لأذكر المسلمين فيه كذكري للمسيحيين ... اني أتمثّل دائما أمة عربية ناهضة عاملة مستيقظة ... كسائر أمم الغرب صاحبات الصولة والإقتدار"(٣) . ولعلّ هذا القول ، على ما يكتنفه من إبهام ، يربط بين السوريين ، مسلمين ومسيحيين ، وبين الأمة العربية كلّها . ثم قال بعد ذلك مبديا إعجابه بعرب الحجاز في ثورتهم : "رافقت العرب في خروجهم على الترك أثناء الحرب ... فكنت أقوم في ما أكتب ببعض الواجب الذي يفرضه الحب والإعجاب"(٤) . غير أن الريحاني رأى في تلك الثورة ، تحت قيادة الشريف حسين ، ثورة إسلامية هزّت فيه النشوة لأنها

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص: ١٨٨ .

(٢) الريحانيات . ج ١، ص: ٢٣ .

(٣) رسائل أمين الريحاني . ص: ١٦٣ .

(٤) ملوك العرب . ج ١، ص: ١٠ .

حملت على معاقل بني عثمان ،وليس لأنه رأى فيها تحقيقا لإحدى أمنياته القومية المثالية . والدليل قوله في سنة ١٩١٧ يقصد تلك الثورة : " وتداعت أركان الإسلام في المشرق والمغرب من خمول استولى على شعوبه ... فنهض العرب نهضة الأشاوس، بل نهضة أجدادهم أنصار النبي لينقذوا الإسلام من مطامع الأتراك وجورهم ،ويلبسوه ثانية حلّة العزّ والمجد " (١) . ولعلّ الريحاني كان في العام ١٩١٧ يعتقد أن هؤلاء العرب الثائرين ليسوا هم من سيحرّرون سوريا من يدي الأتراك . والدليل قوله في ذلك العام يخاطب أمه ،سوريا — الأرض،وقد تمثّلها جاثية على صورة امرأة في ثوب حداد ،عند صليب: " لكن بعض ابنائك يا أمي يريدون خلاصك عن يد فرنسا ، ومنهم من يفضّل انكلترا ،ومنهم من يؤثر العرب ،ومنهم من لا يدري مايفعل ويقول .. أما أبناؤك الأحرار فستشاهدينهم غدا شاكين السلاح ،يحاربون في أرضك من أجلك" (٢) .

وينبغي ان ننتظر حتى سنة ١٩٢١ ،لنسمع الريحاني يقول؛ " أنا سوري مسقط رأسي لبنان ،وأحترم مصدر لغتي : العرب .. . أنا سوري لبناني أفتخر ببطولة المردة ،كما اني أفتخر بصدر الإسلام وبمجد بني أمية .. أنا سوري لا ينسى نهضة العرب على الأتراك ومن شارك بها واستبسل في سبيلها من السوريين واللبنانيين"(٣) . وهنا يمدّ جسرا الى العرب كلّهم ،فيرتبط بهم من خلال اللغة الواحدة، ويمتّ إليهم بصلة هي استبسال السوريين واللبنانيين في نهضة العرب على الأتراك ،ويتّحد بتاريخهم مشركا في افتخاره المردة والعرب .

---

(١) القوميات . ج ١ ،ص: ١٢٠ .

(٢) م . ن . ص: ١١٨ .

(٣) م . ن . ص: ١٥٢ .

ثم يروح مفهومه للوحدة العربية ولأبناء العروبة يتّضح ويتبلور ويكتسب أبعادا جديدة منذ العام ١٩٢٢ . لقد شهد ذلك العام حدثا بارزا شكل مؤشرا هاما بالنسبة الى الريحاني : الإنسان والمؤلف ، كما شكل ثابتا من الثوابت التي يعوّل عليها في دراسة نزعته العربية . ففي تلك السنة تجاوز الإطار السوري وخرج الى شبه الجزيرة العربية في رحلة يصحّ ان تعدّ " معمودية " عربية له ، إذا جاز لنا هذا التعبير . جاءت تلك الرحلة لتنقل على شكل مدهش ، وفي فترة وجيزة ، إحساسه بالعرب الى طور الرجولة والرشد . وتميّزت بإعادة اكتشافه لهم وأثمرت نزعة عربية صريحة اللهجة عالية النبرة ، كما أدت الى عثوره على تلك الكيمياء السحرية التي هي العروبة، ومن خصائصها انها تحوّل المعادن المختلفة الى معدن واحد . أصبحت القومية العربية القاسم المشترك للأقطار العربية جميعا ، وصار يلذّ للريحاني ان يردّد في كل مناسبة، أنه عربي الدم ، عربي الحسّ والنزعة ، عربي القلب والروح ، عربي اللسان " (١). كذلك لم تعد الوحدة السورية هدفا منفردا قائما لذاته ، بل تحوّل العمل من أجل التأليف بين السوريين الى خطوة في السبيل القويم للحلف العربي الأكبر الأتمّ " (٢) .

واقــع شبــه الجزيرة العربيـــة بعد الحــرب :

زالت السيادة العثمانية في شبه الجزيرة لتحلّ محلّها سيادة عربية في معظم أجزاء هذه الرقعة من بلاد العرب . والحق ان الجزيرة قد تمتّعت دائما بنوع من الإستقلال الداخلي فرّقته المنازعات الى مقاطعات موزّعة بين سلاطين وملوك وأمراء

---

(١) القوميات . ج ١ ، ص : ١٧٠ ، والقوميات ج ٢ ، ص : ١٦٠ .

(٢) م . ن . ج ٢ ، ص : ١٢٧ .

وزعماء يحكمونها حسب التقاليد العربية الموروثة • وهكذا مثلا تجزأت شبه الجزيرة الى أجزاء هي اليمن والحجاز ونجد وعسير،بالإضافة الى المستعمرات والمحميات البريطانية الواقعة على شواطئ الخليج العربي شرقا وشواطئ المحيط الهندي جنوبا •

أما حكّام هذه الأجزاء ،فواحدهم في عزلة عن الآخر ،لا يتزاورون ولا يتعارفون • قال الريحاني يعرّف بكتاب ملوك العرب : " هذا الكتاب وفيه ترجمة سبعة من أمراء العرب ،غير الحسين بن علي ،وكلّهم ملوك وإن اختلفت الألقاب مستقلّون بنعمة الله بعضهم عن بعض • وجاهلون شخصيّا بعضهم بعضا • وليس في ملوك العرب ،اليوم ،ملك ساح في البلاد العربية كلّها ،وليس فيهم من يستطيع ان يقول : إنني أعرف بلاد العرب وحكّامها وسكّانها وقبائلها ••• "(١) . أما هذه الأجزاء او الدول فقد كانت تبرز بعد الحرب على الشكل التالي : مملكة الحجاز ،يحكمها الملك حسين بن علي — سلطنة نجد ،يحكمها عبد العزيز آل فيصل آل سعود — اليمن ،يحكمه الإمام يحيي بن حميد الدين — عسير أو بلاد السيد ،ويحكمها السيد محمد الادريسي — وإمارة شمر ويحكمها ابن الرشيد • و "تضمّ هذه الدول الخمس بمجموعها كل المناطق الآهلة في الجزيرة ،خلا الإمارات الصغيرة الواقعة على سواحل الخليج الفارسي والمحيط الهندي "(٢) • وقد تجلّى النفوذ البريطاني واضحا في شبه الجزيرة وكان قد ترسّخ باحتلال بريطانيا عدن في العام ١٨٣٩ • ثم راح هذا النفوذ يتغلغل ويمتدّ خاصة على طول شاطئي الخليج والمحيط.

---

(١) ملوك العرب • ج ١ ،ص: ١٣ •

(٢) يقظة العرب• ص: ٣٥٨ •

وتميّزت السياسة الإنكليزية هناك بالتذبذب وتعدّد الخطط وطرق المعاملة للقبائل والبلدان ،فأقامت الحواجز بين الحكّام العرب،وحرّضت القبائل الواحدة على الأخرى مستغلّة التخلّف والقبلية وتنافس الأمراء على السلطة وطمعهم بالمال . كذلك أرادت أن تضمن السيطرة فعقدت المعاهدات الولائية،ودفعت المشاهرات المالية فقيّدت الحكّام ،باسطة حمايتها على أقطار الجنوب العربي كافة،وعلى منطقة الخليج من مسقط وعمان حتى الكويت (١) .

أما الدول الخمس الرئيسية فكان بينها مشاكل تستلزم الحلّ . منها الثأر القديم بين آل سعود وآل الرشيد، والعداء ما بين الإمام يحيى وجاره الأدريسي وقد عدّ وجود الثاني في عسير تطفّلا عليه وتعدّيا على بلاده . كذلك قام خلاف بين الحسين بن علي وعبد العزيز آل سعود حول ملكية منطقة قائمة على الحدود بينهما . وقد حسمت هذه الخلافات في ما بعد، فاستولى ابن سعود على ملك آل الرشيد في ٢ تشرين من ١٩٢١ (٢)، وضمّ بلاد شمر الى نجد فوصلت رقعة حكمه الى حدود العراق.ثم إنه قد جرت الأحداث بعد زيارة أمين الريحاني لشبه الجزيرة العربية في ١٩٢٢ ،على الشكل التالي : هاجم ابن سعود الحجاز فسقط في يديه في ٥ كانون الأول من عام ١٩٢٥ (٣) ،وفي ١٠ كانون الثاني من ١٩٢٦ بويع ملكا على الحجاز محرزا لقب ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ثم في عام ١٩٣٠ " وضع عسير رسميا تحت حماية ابن السعود ،فأصبح من كل الوجوه تابعا لمملكته" (٤)

---

(١) راجع ، الأمة العربية . ص: ٧٧ـ ٨٨ .

(٢) راجع ،تاريخ نجد الحديث . ص: ٢٨٣ـ ٢٨٤ .

(٣) راجع ،م . ن . ص: ٤٢٠ .

(٤) يقظة العرب . ص: ٣٧٣ .

وذلك بعد احتلال الإمام يحيي لجنوب عسير . وقد أورث هذا الاحتلال اختلافات حول الحدود أدّت الى حرب بين ابن سعود والإمام يحيي في سنة ١٩٣٤، استتبّ على أثرها السلام بينهما من جديد .

١ ـ الريحاني وشبه جزيرة العرب

قال الريحاني : "من الأحلام ما يصبح جزءا من حياة الإنسان، فلا تنفك تزعجه ، وإن شاخت ، فتحرّضه وتستحثّه حتى يسعى في تحقيقها".(١) ولم يتسنّ له تحقيق الحلم إلاّ في عام ١٩٢٢. ما أن استهلّت تلك السنة حتى نزل مصر ميمّما وجهه شطر شبه الجزيرة . في مصر "أرخى شاربيه ولبس الطربوش المصري وجعل يتّصل بالأوساط السياسية والأدبية".(٢) . وإذا بالأدباء يتنادون لاستقباله والإحتفاء بـه . وأول من اقترح تكريمه وإقامة حفلات في هذا السبيل هو الأستاذ محمد لطفي جمعة المحامي، ونشر اقتراحه هذا في "مقطم" يوم الأربعاء غرّة فبراير ١٩٢٢، وفيه أن مصر "ترحّب بالشاعر اللبناني الذي غزا الغرب بقلمه وجدّد مجد العرب بشعره وأحيا موات الأرض بخطبه وكتبه في وطنه...".(٣) . ثم تلا هذا الكلام اقتراح على الكتّاب والشعراء والأدباء في مصر أن يرحّبوا "بحضرة الشاعر الناثر، الترحيب الذي يليق بمقامه العظيم في الشرق والغرب".(٤) . وهكذا أقيمت له حفلات كثيرة كان من أبرزها الدعوة التي وجّهها أحمد زكي باشا(٥) الى "ثمانمائة من أفاضل المصريين والسوريين،

---

(١) ملوك العرب . ج ١، ص: ١٠ .

(٢) أمين الريحاني . سيرته وأدبه . ص: ٩٩ .

(٣) أمين الريحاني، ناشر فلسفة الشرق في بلاد الغرب . ص: ٢١ .

(٤) م . ن . ص: ٢٢ .

(٥) أحمد زكي باشا، لغوي ومؤلّف ومترجم ورحّالة وسياسي . راجع بشأنه كتاب : "مصادر الدراسة الأدبية". الجزء الثاني : ص: ٤٢٢ .

يرجو فيها مشاركته في تكريم ثالث الثلاثة بعد الجعدي والذبياني ، نابغة العرب الجديد ، أمين الريحاني"(١) واعترف توفيق الرافعي في كتابه المتضمّن وقائع حفلات حفلات تكريم الريحاني في مصر ، ان الاستقبال الذي أعد له في مصر ، كان ، بحق ، منقطع النظير . قال : "لقد كان الأدباء يقابلون دائما بالحفاوة والإكرام في بلدان المشرق ، ولكنّنا لا نعلم أن أحدا منهم لقي ما لقي الريحاني في زيارته لمصر هذه النوبة"(٢) .

وينبغي التوقّف قليلا عند هذا التكريم الذي نعتقد أنه فاق منزلة الريحاني في ذلك الحين ، من حيث هو كاتب عربي ، وتعدّى حجمه بحيث أننا لا يمكن أن نتصوّره في ذلك العهد مجددا مجد العرب بشعره أو نابغة العرب الجديد ، ثالث الثلاثة بعد الجعدي والذبياني . فهل هي العواطف المتساهلة المتراخية التي تمنح الألقاب وتسمح بالهالات وفضفاض الأثواب ؟ أم هي الدعاوة التي تسلط الضوء على الريحاني فتبرز قيمته ومكانته وتكون له عدة وظهيرا في رحلته العربية ؟

ونستبق الأحداث قليلا ، فنشير ههنا الى حادثة جرت للريحاني وكان يلتمس الإذن بزيارة إمام اليمن ، يحيي بن حميد الدين . ها هو في عدن ، لدى القاضي عبد الله العريشي وكيل الإمام يحيي وسفيره الى الإنكليز . في هذه الجلسة أبرز القاضي عددا من الجرائد المصرية والسورية وفيها جريدة نيويوركية خصّها بقوله : "نعم الغيرة غيرة أبناء العرب في أميركا على الوطن واللغة"(٣) . ثم أشار الى مجلة مصرية وقال للريحاني : "ومن الغريب يا حضرة الفيلسوف أن يوم وصلتنا

---

(١) أمين الريحاني ناشر فلسفة الشرق في بلاد الغرب . ص: ١٢٩ .

(٢) م . ن . ص: ١٧ .

(٣) ملوك العرب . ج ١ ، ص ٨٤ .

برقيتكم من بورت سودان ، وصلت هذه المجلة، وفيها مقال عنكم ، طالعناه والإعجاب بكم يسابق الشوق إليكم .. نحن في خدمتكم وهذا قليل تجاه من وقف نفسه على خدمة العرب"[١] . فهل حدث هذا الأمر صدفة واتفاقا؟ نقف في تساؤلنا عند هذا الحد ، ونمضي متتبعين خطوات الريحاني في رحلته التي ذكر ان غايته القصوى منها ، "تعريف ملوك العرب بعضهم الى بعض .. وتمهيد السبيل الى التفاهم المؤسس على العلم والخبر اليقين"[٢] .

في الحجاز :

في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط ١٩٢٢ وطئت رجلا الريحاني لأول مرّة أرضا في شبه الجزيرة العربية وقد دخل جدّه ، مرفأ الحجاز . قابل الملك حسين بن علي واطلع على حنقه وغمّه لما رآه من نقض الإنكليز لوعودهم المبذولة خلال الحرب[٣] . وسرعان ما أهدى الملك أمينا كسوة عربية وخنجرا مكيّا وقطعة مزركشة بالذهب من ستار الكعبة . لبس الريحاني القميص البدوي ثم عقال الذهب وتمنطق بالخنجر وراح يشكر حسينا على خلعته . فلما رآه الملك على تلك الصورة ضمّه إليه وقبّله فما كان من الريحاني إلا ان بكى لفرط تأثّره . قال : "فأحسست من شدّة التأثر بشيء غشي عينيّ ، فبادرت الى مكان المنديل من ثوبي الجديد ، فما وجدت حتى الجيب فيه ، فمسحت الدمع بردني"[٤] . والحق ان تلك القطعة من ستار الكعبة هي علق من الأعلاق بل أثر نفيس لا يحوزه إلّا

---

(١) ملوك العرب . ج ١، ص ٨٤ .

(٢) م . ن . ص: ١٥ .

(٣) راجعهم . ن . ص: ٣١ .

(٤) م . ن . ص: ٤٣ .

المقرّبون ،ولكن لم يضن بها على الريحاني . و " هذه لم يحزها مسيحي " [١]، كما ذكر مارون عبود . وقد تحدّث الريحاني عن الحجاز مشيرا الى ثرواته الدفينة [٢] وأن الحسين لا يعلم عن منابع تلك الثروات شيئا . وعقد فصلا في الوحدة العربية ناقش فيه اخفاق القضية العربية التي حمل لواءها الشريف حسين خلال الحرب الأولى ،فرأى ان هناك عاملا واحدا يعدّ من أهمّ أسباب الخيبة في تحقيق الوحدة العربية ،يتمثّل في السياسة السرّية بين فرنسا وانكلترا ،التي تمخّضت عنها معاهدة سايكس ـ بيكو. لقد قضت هذه المعاهدة على القضية في الشمال ،في سوريا وفلسطين كما رأى الريحاني . إلّا ان عدم اهتمام الحسين بشبه الجزيرة يومئذ اهتمامه بفلسطين ، وسوريا قد عاد بالضرر على القضية العربية . ذلك انه انصرف عن الأمراء الأعداء والقبائل المتمرّدة والصحاري والقفار ميمّما وجهه شطر سوريا وفلسطين ،راغبا ان تكون هذه البقاع جزءا من الحجاز أو يكون الحجاز جزءا منها ،وفي ذلك الإنضمام تتحقّق الوحدة العربية في رأيه. ويأخذ عليه الريحاني في هذه الخطة ، اهتمام الباني بسقف البيت قبل اهتمامه بتشييد الأساس. وليس الأساس في " سوريا وفلسطين ،بل هو في نجد واليمن وعسير في الأمراء الأعداء والقبائل المتمرّدة " [٣] . فلو تمكّن الحسين من ضمّ كلمتهم الى كلمته لكانت له سيادة تذلّل عندها عقبات الشمال ،ولكنه " وقد فشل في سوريا وفلسطين ، أمسى ولا نفوذ له يذكر في شبه الجزيرة " [٤] . وقد أدرك الحسين قبيل انتهاء الحرب وعورة المسلك الذي سلكه في تأسيس دولة عربية ،" يريدها

---

(١) أمين الريحاني . ص: ١٣٦ .

(٢) راجع ،ملوك العرب. ج ١،ص: ٥٠ .

(٣) م . ن . ص: ٧٠ .

(٤) م . ن .

أولا سورية ،وقد لا يريدها إلّا هاشميّة" [١] فآثر الإعتزال والإنسحاب،كما أكّد للريحاني انه لا يبغي الزعامة العربية وانه يشارك امراء العرب في ما يتّفقون عليه، تابعا كان او متبوعا . قال الريحاني إثر هذا : " وهذا ما وطّد فيّ يومئذ احد المقاصد من رحلتي ،فشجعني في رسالتي الوطنية العربية ، وحبّب إليّ خدمة جلالته في تمهيد السبيل الى التفاهم بينه وبين أمراء العرب" [٢] . خرج من الحجاز يصحبه صديقه قسطنطين ينّي [٣] وهو رجل كان قد دخل في خدمة الشريف حسين بن علي .

في اليمن :

تعرّض الريحاني لعراقيل أقامها الإنكليز في طريقه إذ نزل عدن يبغي الدخول الى اليمن ، منها مصادرة جواز سفره الأميركي . استنجد بالقنصل الأميركي هناك ،وكان يحمل كتاب تعريف [٤] من الوزارة الخارجية بواشنطن ،وسأله ان يطلب من الحاكم الإنكليزي إعادة جوازه . وقد قابل الريحاني ذلك الحاكم في ما بعد ، فأكّد له ان مهمّته ليست سياسية،وان ليست له علاقة بأية حكومة من حكومات العالم [٥]، وان الدوافع لرحلته إنما هي محبة العرب ،وهو أصلا منهم ،ويحب في سياحته ان

---

(١) ملوك العرب . ج ١،ص: ٧٠ .

(٢) م . ن . ص: ٧٢ .

(٣) قسطنطين ينّي ،صديق الريحاني ،دخل في خدمة الشريف حسين وصحب الريحاني في قسم من رحلته وهو يرتدي ثوب ملازم في الجيش الحجازي ويحمل جوازا حجازيا . راجع بشأنه كتاب " رسائل أمين الريحاني " ص: ٥٦٩ .

(٤) راجع ،ملوك العرب . ج ١،ص: ٧٩ .

(٥) م . ن . ص: ٨١ .

يخدمهم ما استطاع. ثم يذكر ما ساور الإنكليز من ظنون بشأنه ،وما أصبح في البلد حديث الناس. وأول الظنون أنه رسول الملك الحسين الى الإمام يحيى يبغي عقد معاهدة بينهما . وثانيها انه قادم من أميركا من قبل الشركات المالية يبغي إمتيازات من حاكم اليمن ،والبرهان على ذلك إهتمام القنصل الأميركي بأمره. قال يقصد الإنكليز : " فكيف يأذنون بالسفر الى صنعاء وهم المنافسون ؟ فإذا كان هناك من امتيازات ،فإنما يبغونها لأنفسهم " (١) . أما ثالث الظنون فهو انه ممثّل حزب النهضة العربية في مصر وقد جاء سائحا ليستثير العرب علـى الإنكليز . واغتنم الريحاني فرصة انتظار الإذن فزار السلطان عبد الكريم فضـل ، سلطان لحج ،مزوّدا بنصيحة القنصل الأميركي أن يحذر جواسيس الإنكليز الذيـن يحصون عليه كلماته . قال : " دفع القنصل الكتاب إليّ وحذّرني من أولئك العـرب الذين يتكلّمون اللّغة الإنكليزية : أكثرهم يزورون المايجر رايلي بعد أن يزوروك" (٢) . وفي لحج علم ان الإنكليز قد بعثوا بكتاب الى سلطانها يطلبون ان لا يؤذن للريحاني بمتابعة السفر الى صنعاء حتى يجيء الإشعار منهم . ويتابع الريحاني ما يبدو استخفافا منه بالأخطار ويردّه الى محبته الفائقة للعرب. قال للسلطان : " وإذا متّ يا مولاي ،أموت والله في حبّكم ،في حبّ العرب " (٣) .

في ٥ نيسان من ١٩٢٢ أجاز له الإنكليز السفر محذّرين أن فيه خطرا عليه كمسيحي . واستخدمت الوكالة البريطانية رجلا عربيا ليتبع الريحاني سرّا فيتجسّس

---

(١) ملوك العرب . ج ١،ص: ٨٢ .

(٢) م . ن . ص: ٨٣ .

(٣) م . ن . ص: ٨٦ .

أخباره ويدوّن أحاديثه وأعطته كتابا مختوما ليفضّه بعد أن يخرج من لحج ويعمل بموجبه . ولا نعلم يقينا ما كانت تقتضي تعليمات الكتاب إلّا انها كانت تهيء لشر. قال الريحاني في ذلك : " لكن الرجل تاب في آخر ساعة الى ربّه وأبى القيام بتلك المهمّة " (١) .

وفي الطريق الى صنعاء عرّج الريحاني على المسيمير فاستضافه السلطان علي بن مانع ،سلطان الحواشب . هناك راح يسفّ البرغل سفّ عريق بالبداوة ،مما جعل السلطان يقول له : " أنت منّا يا أمين ! أنت والله منّا " (٢) . كما راح يتحرّى علاقات السلطان بالانكليز سائلا عن مقدار المشاهرة التي يتقاضاها منهم وإن كان باستطاعته ان يتركهم ويوالي الامام يحيي لو دفع له مشاهرة مماثلة .

في صنعاء قابل الامام يحيي بن حميد الدين وأخبره أنه جاء من وراء البحار عملا بعاطفة لا قوّة للقومية بسواها ، وأنه مهما استرسل في حبّ الإنسانية المطلق ،فلا ينسى حب الوطن الخاص الذي يحمله اليوم على السياحة في البلاد العربية . فهو وإن كان لبنان وطنه الصغير، وسوريا وطنه الكبير ،فإنّما ينتسب الى البلاد العربية ،وطنه الأكبر ،وإن كانت المسيحية دينه، فهو " يدين بدين كل من قال بالوحدة العربية ،وتجديد مجد العرب.. " (٣) إلّا أن مفهوم الامام لهذه الوحدة كان دينيّا إسلاميّا فحاول الريحاني أن يقنعه بأن الجامعة القومية أصحّ أساسا وأسهل تحقيقا من الجامعة الدينية . قال : "إن القومية تجمع الشعوب والدين يفرّقهم . وإننا نحن المسيحيين في سوريا، مثل العرب المسلمين، تجمعنا

---

(١) ملوك العرب . ج ١،ص: ٩٠ .

(٢) م . ن . ص: ٩٤ .

(٣) م . ن . ص: ١٣١ .

القومية ،وهي التي حملتنا على التشرّف بزيارتكم ،ولا يجمعنا الدين" (١) • لكنّ الإمام أنهى المقابلة بجفاء ولم يفه بكلمة سلام واحدة ،ودفع بالريحاني وصديقه قسطنطين ينّي الى ما يشبه الإقامة الجبرية ،ثم راح يجري الإتصالات لاستيضاح حقيقة مقاصده• والحق ان الريبة قد أحاطت بالريحاني في غير مكان من شبه الجزيرة، وكان هو نفسه يحسّ بها في وجوه من يقابلهم فيحاول تبديدها من نفوسهم• زاره الامام يحيي بعد سبعة أيام من الأسر فإذا به يبادره بقوله : " لست بأجنبي يا حضرة الإمام ،بل أنا منكم ،من العرب••• انظروا إليّ• إن قصّتي في وجهي ،فإذا رأيتم ما يريبكم ،أو ظننتم فيّ شيئا من التلبيس،فمروني فأسكت وأعود غدا من حيث أتيت" (٢) • ثم راح يؤكد براءة مهمّته وأنه مندوب نفسه ورسول فكرة هي بنت علمه ووطنيته• ولخّص للإمام غايته في أمرين : أحدهما ان يتّفق الإمام والإنكليز في معاهدة تجارية ودّية ،لا تمسّ استقلال اليمن بشيء والآخر ان يعقد معاهدة مع ملك الحجاز • فمن شأن الأمر الأول ان يفتح البلاد للتجارة والسيّاح فتتصل بالعالم الخارجي اتّصالا حديثا وتتحسّن أوضاعها المتردّية،ومن شأن الثاني أن يوصل الى " اتحاد ملوك العرب وأمرائها اتحادا لا يقدح بسيادة كل منهم" (٣) ،الى السلم والتفاهم والتحالف• على ضوء هذين الأمرين أكمل الريحاني ليقول : " إني رسول سلم لا رسول حرب أو ثورة في البلاد العربية• وقد جئتها مبشّرا بالعلم والتمدين" (٤) • وفي إطار هذه الغاية بذل وساطته في مسألة الحديدة ،سبب العداء بين الإمام يحيي والسيد الادريسي ،

---

(١) ملوك العرب • ج ١ ،ص: ١٣٢ •

(٢) م • ن • ص: ١٦٨ •

(٣) م • ن • ص: ١٧٠ •

(٤) م • ن • ص: ١٧٢ •

غير أن مساعيه آلت الى الإخفاق لتشدّد في موقف الإمام . إلّا أن جهوده بالنسبة الى الوحدة قد أثمرت معاهدة[١] بين اليمن والحجاز ،بعد مفاوضات طويلة وتعديلات أصرّ الإمام يحيى على إدخالها . وأبرز بنودها ما يعد " البلاد العربية أقصاهـا وأدناها ،بلادا اسلامية لا تقبل التفرقة والتجزئة وانفكاك بعضها عن بعض من حيث الجامعة الدينية والقومية والوطنية واتحاد اللسان . وليس المراد من عدم قبولهـا التفرقة تغيير أشكال اماراتها القديمة وتحويل امرائها المشهورين ... انما المطلوب اجتماع الكلمة الدينية وتوحيد السياسة... من غير مداخلة أجنبية.. تخل باستقلال البلاد العربية ووحدتها "[٢] . والجدير بالذكر ان تعديلا قد طرأ على هذا البند فأسقطت منه كلمة " القومية " . فالأصل فيه كما كان الريحاني قد أعدّه ، اجتماع الكلمة القومية والدينية " ،إلّا أن الإمام أصرّ على هذا التعديل الذي نراه في الصيغـة النهائية للبند . أضف الى هذا أن الجملة التي تتّصل بالمداخلة الأجنبية وتقول " تخل باستقلال البلاد العربية ووحدتها " إنّما عمل الريحاني على إضافتها كي لا تنفي المداخلات التجارية والاقتصادية والتهذيبية ،وقد رأى فيها كل الخير للبلاد العربية[٣] . كذلك تعترف المعاهدة بسيادة الإمام والملك في بلديهما وتوصـي بالتعاون والتناصر وتبادل المندوبين وتنشيط المشاريع العمومية بين البلدين ،اليمن والحجاز .

---

(١) راجع ،ملوك العرب ،ج ١ ،ص: ٢١٨ ـ ٢٢٤ .

(٢) م . ن . ص: ٢١٩ .

(٣) م . ن .

في عسير :

سلك الريحاني طريقه من صنعاء الى الحديدة ،ومنها انتقل الى جيزان على ظهر باخرة. وقد قابل في الباخرة رجلا راح يوجّه إليه الأسئلة التي تحمل الريبة،ويردد ما سمعه من ان الريحاني جاسوس للإنكليز أو رسول الملك حسين وفي خدمته (١) . في جيزان قابل السيد محمد بن علي الادريسي فأكد له أنه يقوم برحلته مدفوعا بالواجب العربي . قال : " إني أشعر بأن في عروقي من الدم الذي يجري في عروق العرب. أظن ذلك ،بل أعتقده . نعم ،وإن كثيرين في برّ الشام من قحطان ،من بني غسّان ،مثلي " (٢) . لقد رحب الادريسي بما لاذ به الريحاني من نسب وإذا به يجيب : " ونعم النسب . غسّان ريحانة العرب. ونحن نحترم كل عربي صميم يعرف الواجب عليه ويقوم به ،من قحطان كان أو من عدنان " (٣) . ثم تعدّدت الجلسات بينهما ،وكان قطب دائرتها الملك حسين والوحدة العربية ثم الإمام يحيي والصلح . ورحّب الادريسي بمعاهدة بينه وبين الشريف حسين مؤكدا قدرته على إصلاح الأمر بين الشريف وابن سعود بعد ذلك ،فاغتنم الريحاني الفرصة ليقول : " إذا أصلحتم بين جلالة الملك وسلطان نجد فهو لا شكّ يسعى ليصلح بين سيادتكم والإمام يحيي . فيتمّ إذ ذاك الإتفاق الرباعي ،او المحالفة الرباعية ،وهي كما أظن حجر الزاوية في الوحدة العربية" (٤) . غير ان الادريسي لم يرحّب بالإتفاق مع الإمام يحيي فأبدى نقمته على الامام الذي لا يرعى العهود . ولكن المعاهدة (٥)

---

(١) راجع ،ملوك العرب ،ج ١ ،ص: ٣٣٠ .

(٢) م . ن . ص: ٣٣٩ .

(٣) م . ن .

(٤) م . ن . ص: ٣٤٧ .

(٥) م . ن . ص: ٣٥٣-٣٦١ .

بين الشريف حسين والسيد الادريسي تمّت،وهي مشابهة لتلك التي عقدها لدى الإمام يحيى ،إلّا أنّ الادريسي قبل بالجملة التي تقول " إنما المطلوب اجتماع الكلمة القومية" فلم يعدّل فيها على نحو ما فعل صاحب اليمن ٠

وقبل أن يغادر الحديدة ،أرسل الريحاني خطابا الى الملك حسين وآخر الى وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب٠ أشار في الأول الى المعاهدتين المعقودتين مع اليمن وعسير آملا ان تنالا استحسان الشريف ،ذاكرا انه لا يرى غير هذه الطريقة الى تحقيق الآمال في الوحدة العربية ،وان الخطوة الأولى ينبغي ان تكون خطوة سلم وولاء بين الأقران والأكفاء، يتبعها خطوات فيها ما هو منشود من وحدة سياسية قومية عربية[١] ٠ أما خطابه الى الشيخ الخطيب فيسأله فيه التمّهل في المطالبة بتوحيد العلم والنظام العسكري والسياسة الخارجية والاعتراف بالحسين كملك للعرب لأن " الوحدات هذه درجات في سلم الرقي القومي السياسي "[٢] والاستعجال فيها من شأنه ان يفسد ما هو ألزم في البداءة ٠ كما يشير الريحاني في الخطاب ذاته الى ضرورة انشاء صندوق للإدخار يصرف منه في الانشاءات العمومية لأن في هذا الأمر بداءة الاستقلال الاقتصادي الذي هو مفتاح استقلال العرب السياسي ٠ غير ان الريحاني لا يعتم ان يخبرنا ان الحسين عزف عن المعاهدتين فلم يوقع واحدة منها ولا هو استحسنهما ،رافضا يد الولاء والمؤازرة التي مدّها اليه يحيى والادريسي لأنهما لم يعترفا به ملكا للعرب ٠

---

(١) راجع ملوك العرب ٠ ج ١ ،ص: ٣٨٨ ٠

(٢) م ٠ ن ٠ ص: ٣٩٠ ٠

في لحج والنواحي المحمية :

عاد الريحاني الى عدن فعرض لكيفية استيلاء الانكليزعليها وتكلّم عن سياستهم بوجه عام في النواحي المحمية فاذا هي " سياسة التفريق وسياسة الاستيلاء والاستئثار " (١) . كما أسف لأن الروح العربية تقلّصت في عدن واضمحلّت. ثم أقام في عدن ينتظر الإذن بالسفر الى نجد .

من العراق الى نجد :

الواقع ان الريحاني كان قد كتب قبيل سفره الى صنعاء، الى السلطان عبد العزيز، يطلعه على الغرض من رحلته ويستأذنه بزيارته والسياحة في بلاده . ولما عاد بعد ثلاثة أشهر من صنعاء الى عدن أقام فيها ستة أسابيع ينتظر من الانكليز الاذن بالسفر الى نجد . غير أنهم لم يجيزوا له السفر الّا الى العراق ،فانتقل من عدن الى بمباي قاصدا البصرة . في بمباي استدعي الى دائرة الشرطة وقد أظهر مديرها " الرغبة في التعرّف الى هذا السائح العربي الأميركي الذي تفتح له أبواب قفلت مرارا دون سواه " (٢) . انتقل الى العراق فزار الملك فيصلا ،ثم راح يقابل كاتبة المندوب السامي ، "جرترود بل "، وأيقن من خلالها ان الشكوك ما تزال تساور الانكليز حول حقيقة مقاصده في شبه الجزيرة . قال يستعرض تلك الشكوك : "أجئت مبشّرا بالوحدة العربية ،أم جئت أضرم نار الثورة على الانكليز ؟ أجئت أنصر الحزب الوطني أو الحزب الحر أو أصحاب الانتداب ،أم جئت من أميركا رسولا سريّا لشركة من شركات النفط؟ " (٣) تلك بعض الإشاعات التي انتشرت في بغداد كما ذكر الريحاني .

---

(١) ملوك العرب . ج ١ ،ص : ٣٩٩ .

(٢) م . ن . ج ٢ ،ص : ٩ .

(٣) م . ن . ص : ١٤ .

وقبل أن ينصرم الشهر الثاني من الانتظار أجيز له ان يدخل بلاد ابن سعود فسافر الى البحرين وكتب الى صاحب نجد فصدر الجواب مرحبا به. من البحرين أبحر الشراع به الى ميناء العقير . هناك ركب الذلول يبغي ملاقاة ابن سعود في منتصف الطريق بين العقير والحسا . ولشدّ ما يدهشنا ان نرى ابن سعود نفسه وقد جاء ليلا يلاقيه ، فينهض الريحاني مسرعا ويستقبل الملك في خيمته. وسرعان ما يذكر ابن سعود ما سمعه من إشاعات أحاقت بمقاصد الريحاني بقوله: "قالوا لنا إنك أميركي وجئت تبشّر بالدين المسيحي في البلاد العربية . وقالوا إنك تمثّل بعض الشركات وجئت تبغي الإمتيازات ، وقالوا إنك قادم من الحجاز وإنك شريفي تسعى لتحقيق دعوة الشريف ، وقالوا غير ذلك.."[1] ويبدو ان ابن سعود قد أحسن الظن بالريحاني واستمع الى مقاصده الثلاثة من رحلته وهي : مشاهدة ابن سعود ، وتدوين مشاهداته في شبه الجزيرة، والعمل لتحقيق الوحدة العربية . وقد ذكر لابن سعود "أن الوحدة العربية لا تتحقق إلا باجتماع امراء العرب كلهم للتعارف أولًا والتفاهم ، فهم اليوم في معزل بعضهم عن بعض، إذا لم نقل في احتراب دائم ، ولا يعرف الواحد منهم الآخر معرفة حقيقية"[2] .

عند الفجر انضمّ الريحاني الى موكب السلطان السائر الى العقير لمقابلة السر "برسي كوكس" المندوب السامي الانكليزي في العراق ، بشأن معاهدة بين الطرفين . وقد تسنّى له ان يلاحظ اثناء الطريق سخط السلطان وأسفه لأن الانكليز أحاطوه بالأعداء ونصبوا أعداءه ملوكا من مثل الشريف حسين في الحجاز وابنه عبد الله في شرق الأردن وابنه فيصل في العراق . وقد دفع ابن سعود الى الريحاني بكتاب أرسله

---

(١) ملوك العرب . ج ٢، ص : ٣٨ .

(٢) م . ن . ص : ٣٩ .

إليه الحسين يدعوه فيه الى الصلح والاتفاق ضمن شروط خاصة[١]، فسأله رأيه فيه وأضاف يقول: "لا تقل لي ان لا دخل لك بالسياسة، وان سياحتك في بلادنا سياحة علمية فقط. "حنّا" نفهم .. لا تخدعنا يا أستاذ . لا تغزل عندنا في المقاصد والكلام"[٢] . لكن الريحاني وجد انه لا يمكن ان تخطى خطوة بين امراء العرب دون التعثر بشيء للانكليز او من الانكليز في كل مكان . فهم راحوا يحتكرون الخليج وينشرون سيادتهم على ضفتيه الشرقية والغربية حيث لهم من الامتيازات ما لهم في عدن، وهم "يأبون ان يكون لسواهم من الأوروبيين او الأميركيين يد أو رجل او شراع في تلك البقعة من الأرض"[٣] . كما أيقن الريحاني، من جهة أخرى، ان ابن سعود هو حامي بريطانيا في الخليج لأنه "يستطيع إذا شاء ان يخرج وكلاءها من الأساكل ويقضي على سياستها في السواحل العربية الشرقية فيستولي عليها"[٤]. من هذا المنطلق أوحى الريحاني الى ابن سعود انه يمكنه ان يضع الانكليز أمام أمرين: إما ان يساعدوا أمراء العرب مساعدة حقيقية فيحملوهم على عقد اجتماع عربي للنظر في الوحدة العربية، أو في تأسيس حلف عربي، وإما ان يرفعوا يدهم من التدخلات فينهض العرب بأنفسهم . وقد تمكّن الريحاني، أثناء مؤتمر العقير، من معاينة طالبي امتيازات النفط[٥]، كما علم ان السر "آرنولد ولسون" رئيس شركة الزيت الانكليزية الفارسية في عبّادان، قد كتب الى صديق له في المؤتمر يسأله مفاوضة ابن سعود بخصوص امتياز للنفط في منطقة الحسا . ورأى أيضا المدعو "فرنك هولمس" "Frank Holmes"

---

(١) راجع، ملوك العرب. ج ٢، ص: ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) م . ن . ص: ٦٠ .

(٣) م . ن . ص: ٦٠ـ٦١ .

(٤) م . ن . ص: ٦١ .

(٥) م . ن . ص: ٦٩ .

وكيل النقابة العمومية الشرقية بلندن ،وقد جاء ينشد الامتيازات مثل شركة عبّادان . غير ان الحكومة البريطانية كانت تعضد الشركة الأخيرة لأنها تملك سبعين بالمائة من أسهمها وتقاوم كل شركة سواها تبغي امتيازا في الشطر الشرقي من البلاد العربية . إلّا أن "فرنك هولمس" استطاع الفوز بامتياز الحسا كما سنرى لاحقا .

ويسترسل الريحاني في حديثه عن بلاد ابن سعود فيصف العدل والأمن المستتبين والطمأنينة التي يشعر بها المسافرون عبر أراضيه . وعلى الرغم من هذه الأسباب فقد كان هو "يسافر بطريقة ممتازة مصحوبا بعشرة الى خمسة عشر رجلا من رجال السلطان".[1] وقد أقام في الرياض ستة أسابيع كان السلطان "يزوره في منزله كل ليلة"[2] فخصّصا للوحدة العربية جلسات عديدة كما ذكر . أما رأي السلطان فيها فقد دوّنه الريحاني ذاكرا أنه يبغيها ويساعد من سعى بإخلاص في تحقيقها، ويحضر اجتماعا لهذه الغاية ،ويقبل الزعامة والبيعة ملكا على البلاد العربية كلها . كما انه يقبل بمبايعة غيره ويستمرّ في خدمة القضية العربية بما يستطيع.أما اذا لم تتحقّق الوحدة فاستعيض عنها بائتلاف او حلف بين امراء العرب فهو ينضم اليه . وإذا لم يتمّ أي شكل من اشكال التقارب فإنه يبقى على سياسته محالفا الدولة التي تشترك مصالحها مع مصالحه . ثم إن ابن سعود اطّلع على ما دوّنه الريحاني فضرب بالقلم على الفقرة المتعلّقة بمبايعة غيره، ذاكرا انه قد أسيء فهمه وأنه يعرف نفسه ولا يقبل الرئاسة في غيره .

في الكويـــت :

خرج الريحاني من الرياض في موكب من اثني عشر راكبا ترافقه الحمى ولا تنفك

---

(١) ملوك العرب . ج ٢، ص: ٧٤ .

(٢) م . ن . ص : ١٠١ .

تثقل عليه . سار الموكب باتجاه القصيم شمالا بغرب إلى بريدة ومنها شرقا إلى الكويت عبر النفود فالدهناء . وفي مدينة الكويت خرج الشيخ أحمد الجابر آل صباح بحاشيته وبعض أسرته كي يستقبله . وقد دهش لما قطعه الريحاني من سفر طويل فقال : "العرب أنفسهم يكبرون هذه الطريق ويخافونها ، ومنهم من لا يقوى على تحمّل مشقّاتها . وكيف تحمّلتم ركوب الذلول كل هذه الأيام؟"(١) ثم أنزله في قصره . وقد غادر الريحاني بعد ذلك الكويت إلى البحرين .

في البحريـــــن :

قابل الريحاني هناك الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وذكر له أمراء العــرب وحاجتهم إلى التعارف والتفاهم . وقد أنكر الشيخ امكان اتحاد العرب لكنه وافق على تلبية دعوة الشريف حسين الى اجتماع يعقد في مكة من أجل البحث فـــي شؤون العرب والإسلام ، شرط ان يلبيها سلطان نجد . وقد وقف الريحاني عند هذا الحدّ من السياسة مع حاكم البحرين . ثم استرسل يتحدّث عن أهل البحرين كما عرض لتاريخ بلدهم والأسرة الحاكمة وذكر ما أفضت إليه سياسة الإنكليز المراوغة هناك من سطوة ونفوذ . وتلك في رأيه نتيجة حتمية تصيب الأمة الصغيرة الضعيفة يسوقها إليها الجهل والضعف والجبن والمصلحة الخاصة والطاعة العمياء . وقد وقف عند الطاعة العميـاء فرأى انها قد تفيد في سبيل وطنية عامة كبيرة، كما لو أطاع العرب كلهم ابن سعود مثلا او الملك حسينا او الإمام يحيى وامتثلوا لأوامره ، فهم عندئذ يعزون وعندئذ يصلح الأوروبيون سياستهم في الشرق . وغادر البحرين الى العراق فلبنان، موصيا باقتباس العلوم ونشر المدارس وتربية الروح القومية الشاملة ، وتشجيع وجود الشركات الأجنبية المجرّدة من كل صبغة سياسية لأنها تعلم الاقتصاد والنظام والادارة والعرب في حاجـــــة

---

(١) ملوك العرب . ج ٢ ، ص: ١٠٢ .

شديدة الى هذه الأسباب كلها[١] .

إلا أن الريحاني وإن خرج من شبه الجزيرة العربية وقد أخفق سعيه لجمع الشمل بين الأجزاء المختلفة من خلل المعاهدات كما تبيّن لنا ،فإنه أثبت في نهاية كتابه "ملوك العرب" فصلا في الوحدة العربية ،توجّه فيه الى ملوك العرب في شبه الجزيرة يدعوهم الى شكل معيّن من أشكال الوحدة .

في وحــدة شبه الجزيــرة العربيــة :

لقد تصوّر الريحاني امكان قيام وحدة تنتظم السياسات المتباينة ضمن اطار شبه جزيرة العرب. ورأى في تلك البلاد وحدة طبيعية فرضتها الجغرافية[٢] ،هي أساس الوحدة العربية،لو كان للجغرافية السيادة على السياسة ولو كان للدين او للقوميــة العربية سطوة تلطف مطامع الأمراء وتسوقها الى محجّة واحدة. وأشار الى أسباب شكّلت موانع في وجه تحقيق الوحدة العربية هناك ،منها المذهبية الدينية ،كالوهابية في نجد والزيدية في اليمن ،والعصبية القبلية التي لا تزال تسود وتتغلب على الروح القومية[٣] ،وتتمثّل في العداء بين قحطان وعدنان عموما وبين عدنان وربيعة بنوع خاص.

ورأى فوق ذلك ،ان نجاح القضية العربية لا يتوقف على التغلّب على هاتين العصبيتين فحسب بل يتعداهما الى عوامل وشروط أخرى . فالوحدة الجغرافية التي توجدها العوامل الطبيعية وتسبّب تشابه القوميات والطباع والعادات والتقاليد فيها،لا تدوم إلا بثلاث هي الحكومة المنظّمة العادلة ،والمدارس الوطنية العامة ،وطرق المواصلات

---

(١) راجع ،ملوك العرب . ج ٢،ص: ٢٩١ _ ٢٩٣ .
(٢) م . ن . ص: ٤٣٣ .
(٣) م . ن . ص: ٤٣٣ _ ٤٣٤ .

الحديثة • وهذه الأسباب تفتقدها اكثر بلدان شبه الجزيرة • أما إذا تحقّقت العوامل الثلاثة فإنه ليمكن في رأيه التوصّل الى الغاية الكبرى بعد خمس وعشرين سنة على الأقل من بداءة توطيدها ،حين تزول " العصبيات القديمة لتحلّ محلّها روح القومية العربية الكبرى ،وتنبذ السيادات المذهبية من الأحكام المدنية فتقوم مقامها ••• سيادة العقلية العربية الجديدة" (١) .

أما الخطوة العملية التي يمكن ان تتمّ ،وقد أيقن الريحاني أن لا أمل للعرب في تحقيق الوحدة العربية الكلّيّة اليوم ،فهي أن يصار الى تأليف وحدتين أوليتين تقسمان شبه الجزيرة شطرين في الحكم : غربي وشرقي ،كما قسمتها الطبيعة • ثم تفصل الزعامة الدينية عن الزعامة المدنية ويبايع الحسين بن علي خليفة مقرّه مكّة • أما ابن سعود فيحكم شطر البلاد الشرقي والشطر الغربي يحكمه ابن حميد الدين •

ويعترض تحقيق هذا الأمر عقبتان : الأولى أمراء العرب الحاكمون والثانية بريطانيا ،وبين الإثنتين صلة لا تنقطع • ولا يقترح الريحاني قطع هذه الصلة بل انتقالها من الفروع الى الأصل مع التعهّد لبريطانيا بأن مصالحها في البحر الأحمر والبحر العربي وخليج فارس لا تمّس بضرّ بتاتا • وهكذا تتألف من الصلات المتعدّدة صلتان فقط تربطان بين عرب الجزيرة وبريطانيا • قال الريحاني يقصد بريطانيا : " فما ضرّها اذا كان (ابن سعود) هو الموقّع للمعاهدات والإتّفاقات التي بينها وبين البحرين والكويت وقطر وعمان ؟" (٢) .

---

(١) ملوك العرب • ج ٢،ص: ٤٣٥ •

(٢) م • ن • ص: ٤٣٨ •

أما أمراء العرب الحاكمون فيبقى الحكم في بيوتهم ولا يتغيّر في استقلالهم سوى اعترافهم بالسلطان الأكبر واشتراكهم وإيّاه في الدفاع عن البلاد وفي عقد المعاهدات وفي نظام واحد يتناول المصالح العامة ٠

أخيرا ،فالخطوة الأولى في تحقيق هذه الخطة،أن يعقد مؤتمر عربي عام ، في مكة مثلا ،يحضره أمراء العرب وتجري خلاله مبايعة الحسين بالخلافة وصاحبي اليمن ونجد على شطري البلاد الغربي والشرقي ،ويكون بينهما معاهدة ولائية اقتصادية من جهة ،واتفاق بأن يكون بينهما وبين بريطانيا مثلها أو ما يقترن بها مبدئيا ٠

٢ـ الريحاني والعراق

إن العراق أو بلاد ما بين النهرين هو الإطار الثالث الذي جال فيه الريحاني في نطاق تحرّكه على صعيد الوطن العربي ٠ وقد أفرد لهذا القطر جزءا هاما من كتابه " ملوك العرب " المتضمّن أخبار رحلته في شبه الجزيرة العربية٠ على ان العراق، وإن بدا متّصلا بشبه الجزيرة اتصال فلسطين بسوريا،فإنه شكّل في نظر الريحاني كيانا قائما بذاته ودائرة مستقلّة خضعت لظروف معيّنة خاصة ٠ لقد زاره الريحاني أثناء رحلته في شبه الجزيرة إلّا أن تلك الزيارة فرضها الى حدّ كبير رفض الإنكليز السماح بزيارة ابن سعود ٠ قال الريحاني مشيرا الى هذا الأمر : " قلت : نجد ،فقالوا : العراق٠ قلت : ابن سعود ،فابتسموا ثم رفضوا " (١) ٠ ثم إنه أقام في

---

(١) ملوك العرب ٠ ج ٢ ،ص : ٩ ٠

العراق قرابة الشهرين ،فسئم الإقامة وشبع منها ، وحدّثته نفسه مرارا بالعودة الى لبنان لولا رغبته الشديدة في زيارة ابن سعود [١] . ثم إن الريحاني في كتابه " ملوك العرب " أخرج مادته المتّصلة بالعراق ليضعها في القسم الأخير من الجزء الثاني بعد البحرين ،نهاية المطاف في الرحلة ،فلم يراع بذلك استمرار الخط الزماني والمكاني للرحلة . وصحيح ان الريحاني عدّ الملك فيصلا واحدا من ملوك شبه الجزيرة الكبار [٢] إلّا أنه لم يذكره أو يشر الى بلاده أو يدخل القطـــر العراقي ضمن اقتراحه الهادف الى تحقيق الوحدة في إطار شبه الجزيرة .

وأغلب الظنّ انه كانت للظروف السياسية اليد الطولى في " عزل " العراق عن شبه الجزيرة ،اذا صحّ التعبير . تلك الظروف التي سببها دخول القوات البريطانية أجزاءا كبيرة منه بعد إعلان الهدنة في ١٩١٨ ثم إخضاعه الى حكمهم المباشر عن طريق الإنتداب البريطاني عملا بمؤتمر الحلفاء في سان ريمو سنة ١٩٢٠ . غير ان الثورة نشبت بعد مضي وقت قليل على إعلان مقرّرات سان ريمو فأخمدها الإنكليز بعد قتال ضار . وقد أفضت هذه الثورة الى إنشاء حكومة عربية وطنية وإعلان ملكية فيصل على العراق .

وقد تسنّى للريحاني ان يقابل فيصلا للمرّة الأولى ،في صيف عام ١٩٢٢ ، أثناء رحلته في شبه الجزيرة . وقد أبدى الملك إعجابه بالرحلة قائلا : " انها رحلة عجيبة يا أمين وسيكون فيها ولا شكّ فوائد كثيرة للعرب . كنّا مرافقين لك معجبين بكل ما وصلنا من أخبارك وبما طالعناه في الجرائد عنك " [٣] . وخلال إقامته في

---

(١) راجع ،ملوك العرب . ج ٢ ،ص : ١٨ .

(٢) م . ن . ص : ٤٣٩ .

(٣) م . ن . ص : ٣١٤ .

العراق اطّلع الريحاني على الغليان السياسي الذي كان يسود ذلك القطر إذ قام الزعماء يطلبون رفض الإنتداب وانتخاب المجلس النيابي وإعلان الإستقلال العام وتأييد العرش ،كما اطلع على سياسة فيصل المرنة ،الذكية،التي لم تكن لتتهاون بالنسبة الى شرطين أساسيين هما استقلال العراق وإلغاء الإنتداب . وتمكّن الريحاني ان يقيم صداقات مع غير واحد من سياسيي العراق وأدبائه ،فأعجب بوعيهم وكفاياتهم لكنّه خلص الى القول أن " ليس بالشعراء والأدباء يستدلّ على ترقّي الأمة ،ولا بالسياسيين والصحفيين تسير العقلية المدنية فيها " [1] . ذلك انه قد تمتاز أمة بتعدد شعرائها وأدبائها ولا تمتاز بوطنيتها ،كما قد يدير المحنّكون من السياسيين شؤونها ولا يعزّزونها ،أو يقود الصحفيون الرأي العام فيها وقد خلا من روح مدنية ترفع البلاد المفككة الأوصال الى أمة صحيحة موّحدة المقاصد .

وقد عاد الريحاني ههنا ليربط بين النهضة الوطنية والتقدّم الحضاري عن طريق ركيزة أساسية هي المدارس العامة التي من شأنها " تحسين عقلية البلاد المدنية وتوليد روح وطنية جامعة راقية عاملة " [2] . وتحتّل المدارس أهمية واسعة خاصة بالنسبة الى العراق الذي تعدّدت شعوبه ومذاهبه الدينية ولغاته ،فتصبح وسيلة جمع وتأليف وتكوين ينشأ عنها وطن عزيز الجانب. ويشترط الريحاني أن تكون هذه المدارس " مجانية عامة ،لا مذهبية ،تتمشّى كلّها على برنامج واحد ويكون التعليم فيها بلغة واحدة هي لغة البلاد الأصلية " [3] . وهو من جهة أخرى ينتقد

---

(١) ملوك العرب . ج ٢ ،ص: ٤١٩ .

(٢) م . ن . ص: ٤٢٠ .

(٣) م . ن .

أغلاط الإنكليز الذين تمشّوا على طريقة الأتراك فأجازوا استمرار المدارس الأجنبية الطائفية حيث يتلقّى التلاميذ دينهم ولغتهم أولاء ثم ما لا يضرّ بالروح الطائفية العنصرية من العلوم، كأنهم أرادوا ان يثبتوا الأمة في طائفياتها وتقسيمها ٠

وقد حيّا الريحاني ،من جهة أخرى ،جهود الجمعية الثقافية الإصلاحية التي قامت في بغداد تحت اسم " المعهد العلمي " تبثّ الدعوة الى طلب العلم وتلصق الإعلانات في هذا السبيل على الجدران ٠ قال مبتهجا بذلك : " أيها الغرب ! تعال انظر ما في الشرق من جديد مفيد ! أيها الغرب ! هوذا إعلان يستحيل وجوده في بلادك ،ليس لأنه غير لازم بل لأنه لا يستثمر مباشرة وليس من يقوم بنفقاته " (١) ٠ ونلاحظ في كلامه هذا معنى من معاني مواجهة الغرب ،ليست المواجهة السياسية فحسب ،بل المواجهة الحضارية حيث تتداخل قضايا السياسة وقضايا البناء الاجتماعي الأخرى ٠

ويسعد الريحاني برؤية مدارس مكافحة الأمّية التي أنشأها " المعهد العلمي " تغصّ بالأولاد والشباب والكهول ،يلقّنون العلم مقرونا بالفضائل الوطنية التي تدعو الى حبّ الوطن وطلب العلم وإيثار الخير والحضّ عليه ،فيعدّها حجر الزاوية في الرقّي الحقيقي الثابت والأساس الأمتن في بناء الوطنية الصادقة المنيرة سبيل الإستقلال التام ٠ قال يمتدح مشروع المدارس تلك : " إنه وأيم الله لأجمل وأحبّ ما شاهدت من مظاهر نهضة العرب في الأقطار العربية كلّها " (٢) ٠

---

(١) ملوك العرب، ج ٢،ص: ٤٢٥ ٠

(٢) م ٠ ن ٠ ص: ٤٣١ ٠

ولم يقتصر اهتمام الريحاني بالقطر العراقي على هذه الزيارة الأولى ضمن رحلته العربية . عاد إليه ثانية في عام ١٩٣٢ ثم في عام ١٩٣٣ بعد أن نفاه الفرنسيون من لبنان . وقد خرج من العراق ليدفع الى الطبع بكتابين هما " فيصل الأول " عام ١٩٣٤ و " قلب العراق" عام ١٩٣٥ .

والواقع انه كان قد باشر تأليف " فيصل الأول" قبل ذلك التاريخ كما نستدلّ من رسالتين له غير منشورتين بعد . تعود الأولى (١) إلى ٢٨ شباط من عام ١٩٣٢ وفيها يعلن عزمه على السفر الى بغداد للحصول على مواد جديدة من أجل كتابه العتيد عن العراق والملك فيصل . ثم يسافر الى بغداد (٢) فيقابل فيصلا مرّات عدّة وكانت المقابلة الواحدة تدوم ساعتين أو ثلاث ساعات (٣) . وهناك تلقّى دعوات من رجال السياسة العراقيين والانكليز . كتب الى أخته سعدى عن إحدى تلك الدعوات قال : " كان المدعوون عشرين ،وفيهم الوزراء ومحافظ بغداد ... وكلّهم يا حبيبتي بكوات وباشوات !! لكنّي في حرز حريز من العدوى ، فلا يخامرك شكّ في أني سأعود إليكم كما فارقتكم بدون لقب ونياشين" (٤) . أما الرسالة الثانية (٥) غير المنشورة فتعود الى ١٩ تموز ١٩٣٢ وتظهر اشتغاله في تأليف كتاب عن العراق وفيصل ،وأنه يتطلّب ستّة أو سبعة أشهر حتى يتمّ .

---

(١) رسالة وجّهها من بيروت بتاريخ ٢٨ شباط عام ١٩٣٢ الى البروفسور "سبرنغلنغ" (   ) .

(٢) راجع ،فيصل الأول . ص: ٢٨٨ .

(٣) راجع ،رسائل أمين الريحاني . ص: ٣٨٣ .

(٤) م . ن .

(٥) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ١٩ تموز عام ١٩٣٢ الى شقيقه يوسف .

وفي ٨ أيلول من ١٩٣٣ توفي فيصل فجأة في مدينة برن بسويسرا ،وفي ١٥ أيلول جرى دفنه في بغداد . وقد آلم المصاب الريحاني ،لا سيّما وكتابه فيصل الأول لم يتمّ بعد . قال: " نكب العراقيون بوفاة فيصل ،بل نكب العرب... وإني لمن الأولين المحزونين المتألمين " (١) لكنه سارع الى مبايعة "الغازي" خلفا لأبيه مناشدا العراقيين " باسم الوطن العربي ،وباسم القومية العربية الكبرى أن يتّحدوا ... منادين بوليّ العهد .. خلفا لأبيه العظيم " (٢).

نكبت آمال الريحاني بوفاة فيصل وأخرجت خططه عن نظامها المرسوم . كتب الى الجامعة الأميركية في القاهرة، ويبدو انه كان قد تعاقد معها لإلقاء سلسلة من المحاضرات ، يعتذر عن السفر والمحاضرة وهذه ترجمة لبعض ما جاء في رسالته (٣) إليها . " آسف لإبلاغكم ان وفاة الملك فيصل والضرورة الملحّة لإنهاء مؤلّف بين يديّ مداره على فيصل والعراق ... قد غيّرتا خططي جميعا " . ثم يبدي اعتذاره عن السفر ويضيف : " وقد أكون ،فوق ذلك ،موجودا في العراق خلال شهري كانون الأول والثاني ،كما إني متأكد ان سوف لن يكون لدي الوقت الكافي لإعداد هذه المحاضرات" . وهذه الرسالة تعود الى ٢٥ أيلول من عام ١٩٣٣ . وبعد مدة قصيرة تمّت نبوءة الريحاني فنفي من لبنان وآثر الذهاب الى العراق في كانون الثاني من عام ١٩٣٣ كما سنرى في الحال .

---

(١) القوميات . ج ٢، ص: ٧٧ .

(٢) م . ن . ص: ٧٨ .

(٣) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢٥ أيلول عام ١٩٣٣ الى " وندل كليلاند " بالجامعة الأميركية في القاهرة .

ثمّ كتاب " فيصل الأول " في "أوّل تشرين الأول سنة ١٩٣٣" (١) . وبعد مدّة قصيرة ألقى الريحاني خطبة في الجامعة الوطنية بعاليه ،حمل فيها على الأدب الباكي (٢) . وذكر مارون عبّود في كتابه عن الريحاني أنه في تلك الخطبة " غمز من قناة الانتداب على سمع الكونت دي سالان الذي كان يمثّل المندوب السامي فيها . وظنّ الناس بعد سماع تلك الخطبة النارية ان سيكون خظ أمين النفي" (٣) . لكنّه لم ينف . أعاد الكرّة على الانتداب الفرنسي في أعنف خطبة ألقاها وهي "بين عهدين" (٤) فحمل عليه حملة شعواء . وقد أدت هذه الخطبة الى نفيه ،كما ذكر شقيقه ألبرت انه تلّقى في ذلك الحين دعوات من مختلف البلاد العربية والمهجر فاختار العراق (٥) . ذهب إليه يحمل مسوّدة كتابه " فيصل الأول " و " حلّ ضيفا على الملك غازي في بغداد " (٦) . ثم عاد الى لبنان بعد إلغاء قرار النفي يحمل معه في الطائرة خروفا ،رمز السلام والمحبة و " قطع عهدا لأمه بالإنصراف عن السياسة فلزم صومعته ودام على السكوت" (٧) . قال في ذلك : " ولكنت أذبح لكم الخروف المسمّن ، الخروف الذي رافقني في الطائرة من بغداد .. لولا أنه ،في نظر أم أمين ،رمز السلام والمحبة" (٨) .

---

(١) فيصل الأول . ص: ٢٨٩ .

(٢) راجع ،أنتم الشعراء . ص: ٢١ .

(٣) أمين الريحاني . ص: ٣٧ .

(٤) راجع ،القوميات . ج ٢ ،ص: ٦٧ _ ٧٦ .

(٥) م . ن . ص: ٧٦ .

(٦) أمين الريحاني ،سيرته وأدبه . ص: ١٢٧ .

(٧) م . ن . ص : ١٢٨ .

(٨) القوميات . ج ٢ ،ص: ٨٣ .

والواقع ان الريحاني قد أفاد على الصعيد المعنوي ، في الأقل ، من تلك الحادثة التي اصطدم فيها بالفرنسيين . وفي إحدى رسائله غير المنشورة صدّى لهذا الأمر إذ كتب الى شقيقه يوسف يشكر للفرنسيين صنيعهم في ما حسبوه سيكون نفيا له ، وهذه الرسالة تعود الى الخامس والعشرين من نيسان عام ١٩٣٤ . لقد ذكر فيها أنه عاد من بغداد منذ شهر بعد أن أمضى شهرين هناك في ما حسبه الفرنسيون نفيا له . وأضاف انه كان قد أجهد نفسه طوال الشهور القليلة الماضية وهو يشتغل في إعداد كتابه عن الملك فيصل ، فاحتاج الراحة واستحقها ثم نالها بفضل الفرنسيين "البعيدي النظر". وقد شكرهم أيضا على تدبير النفي الذي عمّم خبر حملته عليهم ونشرها على الملأ ، فلولا ذلك الإجراء الذي اتخذه الفرنسيون لكانت خطبته تسقط في النسيان بعد قليل من إلقائها . ونثبت ههنا ذلك المقطع من الرسالة[١] باللغة الانكليزية .

" A month ago to-day I returned from Baghdad, after two months there of what the french authorities might have thought would be an exile. The fact is that I had overworked myself during the few previous months, getting ready my book on King Faisal, and I needed - I deserved - a vacation. I got it, thanks to these sapient and far - sighted gentlemen. I should thank them too for something more important -- impersonal-- national, if you please. Yes, I should thank them for giving my words against them official wings,-- of spreading broadcast, by their official act, my attack upon them. For had it not been for this extraordinary measure of theirs, my speech would have been forgotten soon after it was heard."

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢٥ نيسان عام ١٩٣٤ الى شقيقه يوسف.

وبعد تلك الضجّة نشر الريحاني كتاب " فيصل الأول " في عام ١٩٣٤.
وهو يتضمن سيرة العاهل العراقي ،وأهم مصادره ،بعد أحاديث الملك نفسه ،
الوثائق الرسمية التي اطّلع عليها في بغداد . والكتاب ينطق بإعجاب الريحاني
بالملك ويكيل له المدح ويصوّر جهاده الطويل ،مفردا صفحات في أخلاقه وشمائله
ومناقبه وحديثه وزيّه . منها مثلا انه " كان مشيق القدّ رشيقه ،فأى ثوب لبسه لبق
به " (١) وانه كان رجلا من رجال العالم الكبار ومسلما يندر مثله بين حكام المسلمين
وانه كان مثال الحكمة العالية ومثال الحب والإخلاص (٢) . كما ذكر أن ممّا لا
ريب فيه " ان فيصل كان من أعظم السياسيين في الشرق الأدنى ،ومن أكبر العاملين
من أجل السلم في العالم " (٣) . ولم ينس أن يشير الى محبة فيصل للّبنانيين
فكان أقرب أنجال الملك حسين إليهم ، " وأكثرهم اعجابا بهم ،وأشدّهم رغبة في
استخدامهم والإنتفاع بعلومهم ومواهبهم " (٤) . وختم كتابه برسالة ناجى فيها روح
فيصل الصافية العلوية وتمنّى لو يرى الكتاب بين يديه يقرأه في دار البقاء ،كما
عاد يشير الى جهاده في سبيل العرب قائلا فيه ما كان قد قاله في " إبن سعود "
في كتابه " تاريخ نجد الحديث " . قال يناجي فيصلا : " ينبغي ان نعود سبعمائة
سنة لنجد ملكا آخر توّحدت في حبّه وإجلاله قلوب العرب في كل الأقطار .. فمنذ
أيام صلاح الدين الى اليوم ما رفع العرب ،ما رفع الإسلام ،علما واحدا فوق الأعلام ،
وما مّجدوا ملكا كما مّجدوك " (٥) . ونستطرد ههنا قليلا فنشير الى ان كتابي

---

(١) فيصل الأول . ص : ٢٠٠ .

(٢) م . ن . ص : ٢١٤ .

(٣) م . ن . ص : ٢١٩ .

(٤) م . ن . ص : ٢٠٤ .

(٥) م . ن . ص : ٢٦٢ .

الريحاني ، " فيصل الأول " و " تاريخ نجد الحديث " يستويان من حيث هما تكريس لاهتمامه بهذين العاهلين العربيين وتعبير عن إعجابه الشديد بمآثرهما ، وقد حرص على استمداد مادتيهما من الملكين نفسيهما بالدرجة الأولى (١). ولعلّ الكتابين جاءا ليمتّنا صلة المؤلف بهما ويوثّقا العلاقة التي أرادها راسخة وحرص على ذلك أيما حرص. كتب في ١٢ حزيران من عام ١٩٢٣ الى فيصل يقول :
"إني يا مولاي محبّ لبيتكم الشريف،... فإذا قلت إني صديق لفيصل .. لا أكون أعلنت أو كتمت العداء لسواه. وإني كذلك صديق لابن سعود السلطان عبد العزيز ، وأودّ من صميم قلبي ان تتمكّن عرى الولاء والوفاق بين الاثنين" (٢).
وكتب إليه أيضا في ٣١ كانون الثاني من عام ١٩٣٣ يقول : " أرسلت إليكم في الشهر الماضي بواسطة القنصلية ببيروت مجلّتين إنكليزيتين فيهما مقالان لي ،وفي المقالين من ذكر جلالتكم ما يشرّف الصحف ويعطّر صفحاتها .. ومهما كان من أمري أنا ،فإني أكون سعيدا إذا كنتم راضين عمّا كتبت ،وقلبي يحدّثني بالرضى الشريف ،كيف لا وقد كنتم أمامي ،وموضوع كلامي ،ومصدر إلهامي على الدوام" (٣).
كذلك خاطب ابن سعود بلهجة مماثلة من المديح وخطب الودّ (٤).

ولم يستأثر أحد من ملوك العرب باهتمام الريحاني وإعجابه مثلما استأثر الملك فيصل وابن سعود. وهذه الصلة بهما قد رابت بعض الناس كما حار آخرون ، على ما ذكر هو نفسه في نهاية كتابه " فيصل الأول " ،في هويته الحقيقية. الى هذا الأمر أشار فقال : " فهل أنا أميركي أم لبناني أم عربي ،أم هل أنا الكل في

---

(١) راجع ،فيصل الأول . ص: ٢٨٩ ،وتاريخ نجد الحديث . ص: ١١ .
(٢) رسائل أمين الريحاني . ص: ٢٠٧ .
(٣) م . ن . ص: ٤١٤ ـ ٤١٥ ، وراجع ،القوميات . ج ٢ ،ص: ٥٤ ـ ٥٥ .
(٤) رسائل أمين الريحاني . ص: ٣٦٠ ـ ٣٦١ والقوميات ج ١ ،ص: ١٩٥ ـ ١٩٦ .

واحد ؟ وهل أنا ملكي أم ديمقراطي أم إشتراكي ،أم هل أنا الثلاثة اليوم وأمس وغدا "(١) ولوحظ ظهور التناقض بين موقفه الملكي وبين تربيته الأميركية الديمقراطية، غير أنه أجاب على التساؤلات معلنا أن ديمقراطيته لم تثنه عن حبّ العرب ، على ما يكتنفهم من الجهل وما يزال فيهم من مساوىء الماضي ،ومبيّنا رغبته في خدمة ملوكهم وأمرائهم على ما لأكثرهم من النعرات الإقليمية الذميمة والنزعات القديمة التي لا تلتئم وروح الزمان ٠

ويقرّر ان محبة الأمة العربية والغيرة على مصالحها والعمل الجاهد في سبيل وحدتها القومية،أسباب تحول دون السعي لقلب حكوماتها وإعلان الجمهورية فيها بدل الملكية ٠ ومن جهة أخرى فقد ذكر ان الحكم الجمهوري ليس بالضرورة الحكم الأمثل الذي يصلح لكل شعب من شعوب الأرض،ذلك ان الحكم لا يصلح او يستقيم "إلا اذا كان له ما يبرّره ويعزّزه من عقلية الشعب ونفسيته ،ومن تقاليد الأمة وثقافتها "(٢) ٠ على ضوء هذا المفهوم نراه يقرّر ان عقلية هذه الأمة العربية ملكية وأن حكامها يجمعون بين العقليات القديمة والآمال الحديثة ،إلّا أن "أكثرهم متشرّبون حبّ الرعيّة الأبوي وعاملون بالقاعدة الذهبية : العدل أساس الملك٠ فهم من هذا القبيل عصريّون أكثر من بعض زملائهم الغربيين "(٣) ٠ ثم ينطلق ليذكّر بمآثر هؤلاء الحكّام من مثل الملك حسين وابن سعود والإمام يحيي والسيد الإدريسي والملك

---

(١) فيصل الأول ٠ ص : ٢٧٥ ٠

(٢) م ٠ ن ٠ ص : ٢٧٧ ٠

(٣) م ٠ ن ٠ ص : ٢٧٩ ٠

فيصل [١] ،كما يضيف ان القائمين بأعباء الأمة العربية اليوم ،يستحقون الحب والبذل من أبناء الأمة • ولا ينفي هذا الأمر إطلاقا حبّ الوطن الخاص ،لذلك ذكر الريحاني للمرتابين من حبّه للعرب وملوكهم ان ذلك الحبّ لم يفقده ذرّة من حبّه للبنان •

٣ـ الريحـــاني والــوطـــن الأكبــــــــر

إلّا أن الريحاني في تحرّكه داخل الأطر المختلفة التي اّطلعنا عليها إنّما هدف إلى غاية أخيرة هي صهر هذه الأجزاء من الوطن في بوتقة عربية واحدة او وطن جامع شامل ،كما أعلن سنة ١٩٣٦ ،تعود فيه البلاد الى وحدتها الطبيعية التاريخية القومية فينضمّ " اللبناني والسوري والفلسطيني والعراقي والنجدي والحجازي واليمني ،تحت اللّواء العربي الواحد " [٢] ،فيعتزّون بأوطانهم الصغيرة كما بوطنهم العربي الأكبر• وقد أضاف الريحاني ان هذه الحقيقة اليقينية هيعنده في منزلة حقائق الوجود الأولى •

والمتتبع لتفكير الريحاني الوحدوي يمكنه ان يلاحظ خلفية من عاطفة الحبّ ظاهرت تفكيره في الوحدة ،زادتها العلاقات والتجارب والأيام نماء • ولسنا الآن في معرض تأكيد أصالة هذا الحب او تحليله او ردّه الى الأصول والدوافع التي تنشأ

---

(١) راجع ،فيصل الأول • ص: ٢٧٩ ــ ٢٨١ •

(٢) م • ن • ص: ٢٨٥ •

(٣) القوميات • ج ٢ ، ص : ١١٢ •

عنها كل عاطفة مكتسبة . بل شأننا ان نستلّه من تضاعيف المؤلفات ثم نعود الى تلك المهمّة في فصل أخير .

وفي سنة ١٩٢٣ كتب الريحاني فذكر انه يحب كل قطر من الأقطار العربية حبّا كثيرا وانه لو عاش مائتي سنة لقضاها كلّها ساعيا في سبيل هذه الأمة (١) . وفي سنة ١٩٢٨ كتب يقول : " أجل ،إني أحبّ لبنان ،وأحبّ سوريا ،وأحبّ فلسطين والعراق ،بل أحبّ البلاد العربية جمعاء من حلب الى عدن ،ومن القدس الى بغداد " (٢) . من هنا نلحظ ذلك التدرّج العاطفي عنده في انطلاقه من الجزء الأصغر لكي يعانق الكل الواحد . وكما ان حبّه للفريكة هو ما تصغّر من حبّه للبنان فإن حبّه للبنان هو ما تصغّر من حبّه لجارات لبنان وشقيقاته . قال : " فحبّي للفريكة هو أساس حبّي للبنان وحبّي للبنان هو أساس حبّي لسوريا ،وحبّي لسوريا هو أساس حبّي للأقطار العربية الشمالية كلّها ... وحبّي لهذه الأقطار هو شطر من حبّي للبلاد العربية جمعاء هو ذا الحبّ الوطني الأكبر" (٣) . ثم في سنة ١٩٣٤ عاد ليؤكد هذا الحب مجددا وليعلن في الوقت نفسه أن ما يتمنّاه لعشيرته الصغيرة هو إيّاه ما يريده للعرب أجمعين (٤) .

وهذا الحب إنّما كان في أساس دعوته الى الوحدة الكبرى التي تنقشع معها " غيوم السياسة الحاضرة ... فتشرق إذ ذاك شمس الوطن الأكبر" (٥) وتزول

---

(١) راجع ،رسائل أمين الريحاني . ص ٢٠٤ .

(٢) القوميات . ج ١ ،ص : ٢١١ .

(٣) م . ن . ص : ٢١٢ .

(٤) م . ن . ج ٢ ،ص : ٨٥ .

(٥) م . ن . ص : ١٢٦ .

الحدود التي اكتشفها واخترعها الأعداء الأجانب ثم فرضوها على أبناء البلاد .

وفي سنة ١٩٢٧ كتب الريحاني يسم الفترة التي انصرمت من حياته بميسم الجهاد ،لا " في سبيل الوطن الصغير العزيز وحده ... بل في سبيل الوطن الأكبر الذي يشمل الأوطان كلّها جميعا " (١) . لقد أعلن وحدة الوطن القديم وأكّد إيمانه بتلك الوحدة التي جزأتها عوامل مصطنعة تمثّلت بالأطماع السياسية الدولية ،كأن جهاده في سبيلها ضرب من ضروب إعادة الشرعية الطبيعية المفقودة أو نفث نسمة الحياة في الجسد الخائر حتى ينتصب سويّا معافى . أما عصب الوحدة في الوطن الأكبر فقد ذكر الريحاني انها اللّغة الواحدة ،لغة مضر وربيعة ،لغة العرب . وهي الآداب والتقاليد والعادات والنفسية الواحدة التي تجمع بين اللبنانيين والسوريين والعراقيين كما تجمع بينهم وبين النجديين واليمنيين (٢) . ثم في سنة ١٩٣٧ ،كتب يشير الى فترة من حياته ،ناهزت الخمس والثلاثين السنة ،طبعها الجهاد في سبيل الأمة العربية ،كما قال ،حتى يراها " مجددة ثقافتها ،موحّدة كلمتها ، معزّزة عروبتها ،مستعيدة مجدها ... أمة عربية حرّة مستقلّة متّحدة ... كريمة بين الأمم " (٣). ويكمل فيجدّد التزامه بالعمل من أجل الوحدة التامة الشاملة للأمة العربية ،ومن أجل الدفاع عن حقوقها ومصالحها وكرامتها ،في أقطارها الشمالية والجنوبية والشرقية .

---

(١) القوميات . ج ١ ،ص: ١٩٧ .

(٢) م . ن .

(٣) رسائل أمين الريحاني . ص: ٥٢٢ .

من هذا المنطلق تصبح الوحدة العربية سبيلا الى عودة الروح وطريقا الى إزالة إجحاف تاريخي ألحقته بالأمة الأطماع الإستعمارية ،بل إن الوحدة تضحى السبيل الأمثل للأوطان العربية حتى تتخلّص من الإستعمار . قال في سنة ١٩٣٠ : " إن الأوطان العربية الصغيرة كلّها لا تتخلّص من الحكم الإنتدابي إسما ،الإستعماري عملا ،إلا بالوحدة العربية" (١) . أما هذه الوحدة العربية الكبرى فقد حثّ الريحاني العرب على إدراكها وتحقيقها على مستويات ثلاثة : سياسي وقومي وحضاري .

أ — في تحقيـق الوحـدة السياسيـة :

إن رحلة الريحاني الى شبه جزيرة العرب ،كانت في أهدافها المعلنة الخطوة العملية الأولى والأخيرة في سبيل تحقيق الوحدة السياسية في تلك الرقعة من بلاد العرب. كتب في العام ١٩٢٧ يشير الى تلك الرحلة ،قال : " سافرت من نيويورك ، منذ أربع سنوات وقبلتي العرب... ولم يتغيّر المبدأ الذي من أجله سحت في البلاد العربية . فإنني لا أزال أنشد الوحدة" (٢) . بعد تلك الرحلة انحسر الجهاد العملي لتحقيق الوحدة السياسية المرجوّة واتّخذ الكفاح شكل آراء متفرّقة نلملمها من شتيت من المقالات والخطب والرسائل ،أكثرها ممّا أملته المناسبات فغلب عليها طابع الإرتجال . قال في سنة ١٩٣٤ : " إن الوحدة العربية ممكنة ،بل هي محققة ،إن لم يكن اليوم فغدا ،بعد سنة ،أو بعد خمسين سنة" (٣) . ورأى ان هذه الوحدة لا يمكن ان

---

(١) القوميات . ج ٢ ،ص : ١٩ .

(٢) م . ن . ج ١ ،ص : ١٩٥ .

(٣) م . ن . ج ٢ ،ص : ٨٦ .

تتمّ دفعة واحدة او تتجسّد كاملة ناجزة لا سيّما وقد خبر أثناء رحلته وبعدها ان " الحكومات الحاضرة العربية ،المستقلّة وشبه المستقلّة ،لا تتنازل ولا يمكنها أن تتنازل عن حقوق السيادة الإقليمية كلّها "[١] . أضف الى هذا أن عقبات خارجية وداخلية تعترض قيام الوحدة العربية الشاملة . وتتمثّل العقبات الخارجية بالدول الأجنبية الباسطة سيادتها أو نفوذها او شيئا منهما في الشمال والجنوب، هذه الدول التي لا تزال ترى ان الحق للقوّة وتبني سياستها على هذا الأساس . أما العقبات الداخلية فهي ناشئة عن الحكّام الحريصين على سيادتهم القومية الإقليمية والخاضعين في سياستهم الخارجية للنفوذ الأجنبي .

من هنا أعلن سنة ١٩٣٤ أن ما يمكن تحقيقه في البداءة هو الإتحاد الجزئي اللامركزي ،الذي " لا يتم ويعمّ .. إلّا تدريجيّا "[٢] ،حتى ينتظم بعد ذلك " الوطن الشامل .. العراقي اليوم ، العراقي السوري غدا ،العراقي السوري الفلسطيني تدريجيا ، العراقي السوري الفلسطيني الحجازي النجدي اليماني بعد ذلك "[٣] . ويبدو ان الريحاني لم يتخلّ عن تفاؤله أمام صعوبة بلوغ ذلك الهدف، إذ أيقن أن " الأمة التي سادت الشطر الأكبر من العالم في الماضي .. لا تعجز في هذا الزمان ... أن توّحد السيادات القومية في أرضها "[٤] .

---

(١) القوميات . ج ٢ ،ص : ٨٦ .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن . ص : ٥٣ .

(٤) م . ن .

ثم رأى بعد ذلك بحين ان الأقطار الجنوبية قد تسبق الأقطار الشمالية إلى الإتحاد ،لأن السيادة الأجنبية أخف وطأة فيها مما هي عليه في الأقطار الشمالية.

ونرى الريحاني في نظرته الى الوحدة السياسية يقسم البلاد العربية الى شطرين : جنوبي وشمالي . وهو تارة يضع حجر الزاوية للوحدة العربية في الشطر الجنوبي ثم يعود لينقله الى الشطر الشمالي . وفي سنة ١٩٢٣ كتب يقول : "وفي الإتّفاق والسلم بين نجد والحجاز ،حجر الزاوية للوحدة العربية ،ضالتنا المنشودة" (١) . وسنة ١٩٢٥ تتجسّد له طلائع الوحدة خارجة من الشطر الجنوبي في رؤيا يصفها بقوله : "حبّذا الوفاق في الجزيرة أولا ومنها بعد ذلك تخرج قوة قاهرة ،قوة صالحة ،قوة فاتحة ،قوة واحدة موّحدة . فتنضمّ اليها القوى الصغيرة كلها فيعزّ يومئذ العرب ،ويسطع نورهم مرّة ثانية في العالم" (٢) . وفي سنة ١٩٣٦ رحّب بقيام الحلف العراقي السعودي "حجر الزاوية للحلف الأتمّ الذي سيعيد الى الأمة العربية سالف مجدها" (٣) . وفي السنة نفسها دعا الى توطيد الصلات الأخوية بين أهل البلدين السوري واللبناني ،قال : "هو ذا أساس الوحدة الثابت المتين . هونا السبيل القويم للوحدة السياسية في شمال البلاد العربية . هو ذا السبيل القويم للحلف العربي الأكبر الأتمّ" (٤) .

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص: ٢٠٨ .

(٢) م . ن . ص : ٢٦٦ .

(٣) م . ن . ص: ٤٨٧ .

(٤) القوميات . ج ٢ ،ص: ١٢٧ .

وفي سنة ١٩٣٧ كتب يدعو الملوك والأمراء العرب الى نبذ الأثـــرة والشقاق ويسترعي نظرهم الى الوحدة العربية التي " أصبحت الضالة المنشودة ... فإذا هم حالوا دونها او مشوا إليها بخطوات بطيئة متردّدين ... فإن الأمة لتدركهم .. وقد لا تقف في نهضتها وجهادها عند حد الحيطة والمجاملة" (١) . وفي سنة ١٩٣٧ نفسها وبعد أن دعا للوحدة السياسية ملء فيه ،ورحب بقيام الأحلاف طليعتها (٢) ،وعدّها سبيل الخلاص من المستعمرين وبعد أن هدّد الملوك والأمراء بالويل إن هم تقاعسوا في طلبها أو حالوا دونها ،كتب يقول : " وليس من الواجب ،والبلاد مقسمة اليوم بالرغم منّا ،أن تكون الوحدة سياسية . يكفي ان تكون اليوم فكرية أدبية . يكفي في البدء ،ان يتوحّد شعورنا ،فيشعر اللبناني بمصاب أخيه الفلسطيني .." (٣) ويكمل ليستعيض عن الوحدة السياسية بما أسماه الشعور العربي القومي الواحد .

ومهما يكن من أمر فإن مفهومه لتلك الوحدة السياسية لم يتجاوز في صورته الأخيرة لدى الريحاني شكل الحلف الذي لا تندمج معه الكيانات السياسية اندماجا كلّيا، فتحافظ بذلك على استقلالها ضمن المجموعة العربية الكبرى. كتب في سنـــة ١٩٣٦ يردّ على سؤال يتعلّق بمستقبل لبنان فقال : " ينبغي ان يكون لبنان في مستقبله ،مثل سائر الأقطار العربية ،حرّا مستقلّا في سياسته الداخلية وشؤونه الاقتصادية والإدارية ومتّحدا وسوريا في سياسته القومية ومنضمّا الى الحلف العربي ،او بالحري ، متعاهدا متحالفا كقطر عربي مستقلّ والأقطار العربية الأخرى المستقلّة" (٤) .

---

(١) القوميات .ج ٢،ص: ١٤٥ — ١٤٦ .

(٢) م .ن .ص: ١١٣ .

(٣) م .ن .ص: ١٤٨ .

(٤) م .ن .ص: ١٠٨ .

ب ـ في تحقيق الوحدة القومية :

لعلّ الظروف السياسية لم تساعد أمين الريحاني مساعدة فعّالة في بلورة مفهومه للوحدة السياسية ،فكانت في تعسّفها عقبة كؤودا استحال معها التركيز الجدّيّ . من جهة أخرى ،راح يطلب الاعتصام بالروح القومية فيعدّها طريق الخلاص. قال : " لا خلاص لنا ممّا نحن فيه اليوم ،إن كان في فلسطين او في سوريا او في لبنان او في شبه الجزيرة ،إلّا بالتضامن والتعاون المرتكزين على الروح والمبدأ القوميين " (١) . تحوّل العمل بالنسبة إليه من إزالة لحدود مصطنعة الى عمل من الداخل ،الى ما يشبه البعث ضمن الكيانات المتعدّدة التي هي في الحقيقة ذات جذور واحدة . ورأى ان الأمة المقسمة التي هي في طور التكوين والتوحيد تحتاج أول ما تحتاج الى " الروح القومية تتغذّى بها فيشتدّ ساعدها ويشتدّ إيمانها " (٢) . وهذه الروح القومية المنبثقة من الحقيقة التاريخية الكبرى قد شكّلت بالنسبة إليه الدعامة الأولى من دعائم النهضة العربية. من هنا فإن اليقظات القومية والنهضات الوطنية التي تولد داخل إطار الوطن الكبير ينبغي أن تنفخ فيها ،على رأيه ،روح العروبة. ومن خصائص هذه الروح انها تجمع شتات القوميات المقسّمة و " توحّدها كلّها في أمة واحدة منظّمة متضامنة " (٣) . قال في سنة ١٩٣٨ : "العروبة تجمعنا ،العروبة توحّدنا . العروبة تظهر القوى الكامنة فينا وتستنهضها " (٤) .

---

(١) القوميات ، ج ٢ ،ص : ١٦٠ .

(٢) م . ن . ص : ١٥٩ .

(٣) م . ن . ص : ٥٢ .

(٤) م . ن . ص : ١٦١ .

وشأننا الآن أن نلقي الضوء على مفهومه لهذه الطاقة الروحية التي هي العروبة والتي تملك أن تخرج كوامن الأمة من حيّز القوة الى حيّز الفعل .

في سنة ١٩٢٦ كتب الريحاني يصرّح بأن " القومية العربية العدنانية القحطانية " (١) هي السبيل الوحيد ، في اعتقاده ، من أجل توحيد الكلمة . ثم إن مفهومه للعروبة لم يخرج عن هذا التحديد العدناني القحطاني بعد ذلك. يدلّنا على هذا الأمر إشارتان منه تعودان الى فترتين متباعدتين في الزمان يصحّ عدّهما مؤشّرين واضحيّ الدلالة . نرجع الى عام ١٩٢٢ ، الى تاريخ مقابلته الإدريسي حين قال : "إني أشعر بأن في عروقي من الدم الذي يجري في عروق العرب . أظنّ ذلك بل أعتقده . نعم ، وإن كثيرين في برّ الشام من قحطان ، من بني غسّان ، مثلي " (٢) . نتجاوز ظنّ الريحاني او اعتقاده في مسألة وجودية خطيرة هي قضية الهويّة الى الإشارة الثانية . وهي تعود الى أواخر حياته ، الى عام ١٩٣٩ وبالتحديد الى رحلته في المغرب الأقصى حيث أعلن ان هذه الرحلة فرضها عليه الجهاد في سبيل قضية وطنية قومية . قال : " هي قضيتي — وأنا من سلالة قحطان — كما هي قضية ابن صنعاء او العارض او الرافدين " (٣) .

إن هذه النظرة الى العروبة ، او الإنتساب الى القحطانية — العدنانية ترفع بها فوق المذاهب والطوائف والشيع فتصبح الوحدة القومية ، ساعتئذ ، قادرة أن "تجمع العرب جميعا من مسلمين ومسيحيين ومن سائر الأديان " (٤) . قال سنة

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص: ٢٨٨ .

(٢) ملوك العرب . ج ١ ، ص: ٣٣٩ .

(٣) المغرب الأقصى . ص: ٨ .

(٤) القوميات . ج ٢ ، ص: ١٥٩ .

١٩٣٨ : " كانت العرب قبل الإسلام وقبل المسيحية . وستبقى العرب بعد الإسلام والمسيحية . ليدرك ذلك المسيحيون وليدركه المسلمون . العروبة قبل كل شيء " (١) . وتلك فكرة ألحّ عليها مرارا معتقدا بوجود أمة عربية تضمّ الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم .

ورأى فوق ذلك ان " القومية تجمع الشعوب والدين يفرّقهم " (٢) ، وان المسيحيين في سوريا تجمعهم القومية العربية بالعرب المسلمين ، ولا يجمعهم الدين . أمام هذه الحقيقة خاطب أبناء سوريا ولبنان سنة ١٩٣٤ بقوله : " أنتم يا رجالات سوريا ، أنتم يا رجالات لبنان .. إنا وإيّاكم عرب .. فقد كان العرب قبل الإسلام وقبل المسيحية ، وسيبقى العرب بعد المسيحية وبعد الإسلام " (٣) .

من هنا تباينت دعوته ، في الأساس والمنهج ، مع الدعوة الدينية الى الوحدة العربية . قال : في سنة ١٩٣٨ : " إن في شبه الجزيرة ملوكا وأمراء يدعون في توحيد كلمة العرب دعوة دينية ونحن ندعو في هذا السبيل دعوة قومية " (٤) .

والريحاني لم يجد في القومية العربية حكرا لفئة دون أخرى ، فأعلن أنها " واحدة يتساوى فيها المسيحي والمسلم والدرزي والعلوي ، ولا تقبل في مظهرها

---

(١) القوميات . ج ٢ ، ص : ١٦٠ .

(٢) ملوك العرب . ج ١ ، ص : ١٣٢ .

(٣) أدب وفن . ص : ١٢٥ .

(٤) القوميات . ج ٢ ، ص : ١٥٩ .

الحديث التجزئة الى أكثريات وأقلّيات"[١] . وضرب لذلك مثلا فأورد ما قاله ابن سعود عندما أوصاه السر برسي كوكس بالريحاني . قال: "الأستاذ الريحاني هو منّا وكل مسيحي عربي هو منّا"[٢] . وإذا كانت القومية تحتوي المذاهب فلكي تضيع المشاعر الطائفية في عبابها فتسود بذلك الروح القومية على سواها سيادة تامة. لقد رأى ان الرقي الحقيقي لا يبدأ في الأمة المقسمة إلا بإحلال الشعور القومي قبل الشعور الطائفي ، بل بقتل فكرة الطائفة ـ الوطن التي تجسّدت لدى "السنّة والشيعة في العراق والمارونية وأخواتها في لبنان والوهّابية في نجد والزيدية في اليمن"[٣] . لذلك "فلا الماروني ولا الدرزي ولا الشيعي ولا السنّي ، هو حقا عربي ، إلا عندما ينسى في سبيل وطنه القومي الأكبر ، انه ماروني او درزي او شيعي أو سنّي"[٤] .

ويشابه الشعور القومي عند الريحاني ، في أوجهه جميعا ، ذلك الشعور الوطني الذي طالما دعا إليه ونادى برفعه فوق المذاهب والأحزاب أثناء دعوته الى الوحدة السورية . بل إن الغاية الأخيرة لهذه الوطنية إيّاها ، هي أن تصبّ جدولا عربيا صافيا في بحر عربي كبير فتصبح إذ ذاك "الوطنية الإقليمية ذات قلب عربي نابض وصوت عربي صادق وروح عربية شاملة".[٥] ونخلص الى القول بأن العروبة في مضمونيها الإقليمي والقومي الشامل شكّلت بالنسبة الى الريحاني بديلا للولاءات العنصرية والطائفية التي تنازعت أبناء الوطن العربي الكبير.

---

(١) القوميات . ج ٢ ، ص: ١٤٤ .

(٢) م . ن . ص: ١٠٥ .

(٣) م . ن . ص: ١٦١ .

(٤) م . ن .

(٥) م . ن . ص: ٨٧ .

أما إذا رحنا نحدّد ماهيّة العروبة كما تمثّلت للريحاني ألفيناها روحا بسيطة يستدلّ عليها بالشعور إذا جاز التعبير . فهي في بساطتها وصفائها القحطاني ـ العدناني روح تحمل صاحبها على التعاون مع اخوانه ضمن القومية الواحدة الكبرى . قال الريحاني في سنة ١٩٣٩ : "ليست العروبة فكرة ثقافية أو عقيدة سياسية . ولا هي من المبادئ والنزعات التي تتعدّد في السياسة وتتنوّع في الأمة . العروبة روح قومية عالية شاملة تحمل صاحبها على التعاون مع إخوانه ليكون لهم جميعا وطن قوي عزيز مستقلّ ... هذه هي العروبة في أسمى معانيها وفي أقصى أهدافها . إنها إحلال القومية الواحدة الكبرى محل القوميات الصغيرة الضائعة"(١) . بل هي الرابطة الأصيلة الوحيدة وكل ما عداها نسج باطل او اختراع استعمار . من هنا نفهم تنديده بما برز من نزعات قومية مستجدّة كالفرعونية والفينيقية والبربرية وإشارته الى أصابع الإستعمار من ورائها(٢) .

والعروبة لديه شيء يتغنّى به ، فيسكر ويطرب ، شيء يستشعر ويحسّ بل يستوطن مواضع الاحساس من نفسه . فلطالما ردّد أنه عربي الدم ، عربي الحسّ والنزعة ، عربي القلب والروح ، عربيّ اللسان(٣) .

والحق أن الريحاني في توقه الى تحقيق تلك الوحدة القومية كان يعتصم بالخيال إذ يعجزه الواقع فيطير بالخيال المجنّح ، تارة الى الماضي فيستعيد المجد

---

(١) القوميات . ج ٢ ، ص: ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢) راجع ، المغرب الأقصى . ص: ٤٥٣ ـ ٤٥٤ .

(٣) القوميات . ج ١ ، ص: ١٧٠ والقوميات ج ٢ ، ص: ١٤٧ و ١٦٠ .

السالف ويتغنّى به كأن يقول : "حيا الله العرب... الممدّنين للشعوب في الماضي ... حاملين مصابيح الثقافة العربية والعلم والتهذيب.. الى أوروبا يوم كانت أوروبا تعمه في ظلمات الجهل"(١) . وطورا يسابق المستقبل بالجناح ذاته ليرسم بريشة طوباوية أمة العرب الجديدة ويقول : "إن الأمة العربية الجديدة ، ستكون جديدة في معناها وشكلها ... أمة تنشد الإخاء الدولي، مسالمة موالية مسلحة بالعلم والثقافة"(٢) . ويتمثّلها في غدها ، في وحدتها الشاملة ، وقد طردت النفوذ الأجنبي من بلدانها الساحلية في الشمال على البحر المتوسط او في الجنوب على البحر العربي او في الشرق على خليج العجم او في الغرب على شواطئ البحر الأحمر، وسعت لإزالة الأوضاع المجحفة بحقوقها وتخليص عروبتها مما أدخل عليها في اسكندرونة أو شأنها في لبنان او هدّدها في فلسطين، ومدّت صلاتها الدولية شرقا وغربا ودعمتها بالمعاهدات(٣) . كذلك رافق الحلم تصوره لتحقيق الوحدتين السياسية والقومية مرارا ، فكتب عام ١٩١٨ يصف رأيه في الوحدة السياسية بما قد يحسب "حلما من الأحلام"(٤). ثم كتب بعد ذلك "ان الوحدة القومية ـ وإن بدت اليوم حلما من الأحلام ـ كائنة لا محال . هي حلم ستحققّه الأيام"(٥) . ثم عاد في سنة ١٩٣٣ ليقول : "حلمت مرّة حلما سياسيا جميلا . حلمت اني حضرت اجتماعا وطنيا حول التفاهم بين سوريا ولبنان"(٦) .

---

(١) القوميات . ج ٢، ص: ٨٤ .

(٢) م . ن . ص: ٥٢ .

(٣) م . ن . ص: ١٤٣ .

(٤) رسائل أمين الريحاني . ص: ١٧٩ .

(٥) القوميات . ج ١، ص: ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٦) فيصل الأول . ص: ٢٨٤ .

لربّما تكون هذه الأحلام ضربا من ضروب الدون - كيشوتيـة الصادقة في تطلّعها ونزوعها والتي وسم بها في العام ١٩٣٩ مجمل جهوده الماضية على الصعيد العربي ،قد ينكسر فيها رمح دون كيشوت ولا تتكسر روحه • قال :
"وضون كيخوته لا يزال ممتطيا جواده ،حاملا رمحه ،رائحا جايئا من الفريكـة الى نيويورك ،ومن نيويورك الى الفريكة"[(١)] •

ج - فـي تحقيـق الوحـدة الثقافيـة الحضاريـة :

سنة ١٩٣٧ حدّد الريحاني النهضة العربية بكلمات ثلاث هي "الوحدة والسلم والتعليم"[(٢)] ورأى في تلازم هذه الأسباب الثلاثة تلازما حتميّا بحيث لو سقط منها واحد تداعى الكل وانهار • فالسلم لا يتمّ بغير الوحدة ،والتعليم لا يستقيم فـي الأقطار كلّها وبالشكل الواحد ما دام الجهاد قائما لإدراك الوحدة والسلم • وبعـد أن شدّد في رحلاته جميعا على ضرورة ايفاء التعليم حقّه من حيث هو شرط أساسي لقيام الوحدة والنهضة العربيتين ،عاد ليؤكده مرّة ثانية على الصعيد القومي الشامل • ومما أعاد إليه التفاؤل على الرغم من ضآلة الأهمية الممنوحة للتعليم في شبه الجزيرة خاصة ،ما رآه من أن "العقل العربي لا يزال صالحا طيّبا والذهن العربي لا يزال حادا متوقّدا"[(٣)] • غير أنه رأى في هذه الطاقة المهدورة ما يشبه الجواهـر الدفينة واللآلىء الضائعة في قعر البحار وألقى على العرب ابناء هذا الزمان التبعة في ضياعها • وقد أشار الى فوائد ثلاث للتعليم ،أولها انه غاية في نفسها يصقـل

---

(١) المغرب الأقصى • ص: ١١ •

(٢) القوميات • ج ٢،ص: ١٤٤ •

(٣) م • ن • ج ١،ص: ١٦٨ •

الجواهر في العقول ويستخرج اللآلىء من مدافنها • ثم إنه وسيلة لتجديد مجد الأمة "ولا يجدد مجدها بغير العلم ،وقد كان في الماضي أساس مجدها"[١] . وثالثة الفوائد انه يسير بالأمة في السبيل الى الوحدة العربية الشاملة•

على ضوء هذه الحقائق توجّه في العام ١٩٢٢ الى العرب جميعا ،الى هذا الشعب الذكي الباسل الذي أقفلت في بلاده معاهد العلم منذ ألف سنة، يناشدهم "أينما كانوا - في مسقط،في نجد ،في الكويت،في العراق"[٢] ،أن يؤسسوا المدارس لأن خلاصهم فيها • قال : "إفتحوا المدارس اليوم تفوزوا غدا بالوحدة القومية وبالاستقلال الوطني التام"[٣] .

ولم يقتصر في ندائه على هذا التعميم ،بل توجّه بخاصة الى ابن سعود، صاحب نجد والحجاز مرة تلو أخرى يستحثه على ايفاء المدارس حقّها • والحق أنه لم يغفل الاشارة الى إصلاحات هذا العاهل العربي، وأخصها تحضير البدو أو تهجيرهم، فكال له الثناء وعدّ هذا العمل فريدا في "شبه الجزيرة العربية منذ أيام النبي"[٤]. إلّا أنه طالبه بأن يخطو الخطوة الثانية في تمدينهم فيؤسس لهم المدارس التي يهاجرون عبرها من الأمية الى الألفباء ،المدارس التي "تمهّد السبيل الى الوحدة العربية الثابتة ،الوحدة الشاملة ، الوحدة العزيزة الوثيقة العرى"[٥] .

---

(١) رسائل أمين الريحاني • ص: ٣٦١ •

(٢) القوميات،ج ١،ص: ١٧٢ •

(٣) م • ن •

(٤) تاريخ نجد الحديث • ص: ٢٦٦ •

(٥) م • ن • ص: ٩ •

وقد اشترط الريحاني في المدارس المؤسسة في البلاد العربية ان تكون وطنية عمومية إجبارية لا طائفية،وان تعمّ كل قطر من الأقطار العربية،وأن يكون برنامج التعليم فيها واحدا كلها[١] ٠كذلك لم يغفل أثر التربية القومية المرافقة للتعليم بل عدّ التربية القومية العربية قوام التعليم القومي العربي ودعا الى "تعميم التعليم والتربية وتوحيد نزعاتهما بقدر الامكان"[٢] ٠

ويكتسي التعليم أهمية خاصة بالنسبة الى الرقعة السورية من بلاد العرب، هذه الرقعة التي نفخت فيها السياسة الأجنبية من روحها محاولة،كما قال : "ان توسع الثلمة بيننا وبين العرب وبلادهم"[٣] ٠ فمن شأن مدارسها الوطنية الحرّة ان تبثّ من "هذا الروح المقدس،روح الاخاء ٠٠٠ الذي سيجمع بين اللبناني والسوري والعراقي والفلسطيني"[٤] ٠ ومن شأن معاهدها ان تقتل الجهل والتعصّب وتقضي بالتربية الصحيحة على النزعات الطائفية والعصبيات السامة٠ ومتى "اضمحلّت هذه النزعات والنعرات بشر الأمة العربية بالوحدة التي تنشدها"[٥] إذ تتألف قومية جديدة من الكتلات المتعدّدة المتشتتة او طائفة كبرى جديدة هي "طائفة الوطن الشامل التي ينبغي ان ترفع فوق الطوائف والأحزاب والملل كلّها"[٦] ٠

---

(١) راجع ،القوميات ٠ج ٢،ص: ١٦١ ٠

(٢) م ٠ ن ٠ ص: ٨٧ ٠

(٣) ملوك العرب٠ ج ١،ص: ١٩ ٠

(٤) التطرّف والإصلاح ٠ ص: ٥٧ ٠

(٥) القوميات ٠ ج ١،ص: ١٦٩ ٠

(٦) م ٠ ن ٠ج ٢،ص: ٥٣ ٠

وعلى صعيد النهضة الحضارية أيضا ألقى الريحاني على السوريين مهمّة مساعدة العرب "مساعدة فنّية ، علمية ، اقتصادية ، صحيّة ، إدارية فيخرجونهم رويدا رويدا ممّا هم فيه من الجهل والفقر وما يلازمهما من آفات الحياة"(١) . لذلك حيّا جهود المعلّمين اللبنانيين الذين صادفهم في المغرب الأقصى و "هم من أزاهر الأدب ، من قلب لبنان وروحه ، بل هم من المصابيح التي تحرق أنوارها أصحابها وهي تنير الأصقاع القصية من البلاد العربية"(٢) .

ورأى اللبناني وجباله مصدر الوحي والنور والجمال ، يتقن من العلم "ما يجود به على الأمة العربية"(٣) . لذلك جاد بدوره على ابن سعود ، سنة ١٩٢٣ ، بمذكرة أثبت فيها ما تحتاجه بلاده من أسباب المدينة والعمران التي لا يقوم ملك بدونها في الزمان الحديث . ومن هذه الأسباب تأسيس مدارس ابتدائية يعلم فيها القراءة والكتابة واللغة والدين وغيرها ، واستحضار أطباء عرب من سوريا او مصر ، وفتح صيدليات ومستشفيات صغيرة ، وبناء أحواض على المياة بإدارة مهندسين عرب يستخدمون أيضا في التنقيب عن النفط . ومن هذه الأسباب أيضا إرسال بعض الطلّاب الأذكياء من نجد ليتلقّوا العلوم في الكلية الأميركية في بيروت . ومنها انشاء ميناء في القطيف وأخيرا سنّ قانون وراثة لملك ابن سعود كي لا يتنازعه في المستقبل أصحاب المطامع أو الضغائن والحسد (٤) .

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص: ٢٥٣ .

(٢) المغرب الأقصى . ص: ١٨٨ .

(٣) رسائل أمين الريحاني . ص: ٢٥٣ .

(٤) م . ن . ص: ٢٠١ – ٢٠٣ .

ثم في عام ١٩٣٣ جاد على الملوك والأمراء والرؤساء العرب بكتاب دعاهم فيه كي تشارك الصناعة العربية في معرض شيكاغو[١] الذي "يتمثل فيه رقي أميركا وتقدّمها"[٢] .

والواقع ان الريحاني كان قد دعا قبل ذلك الحين ، أثناء رحلته العربية وبعدها ، الى ضرورة الإهتمام بالإقتصاد لأنه أدرك أن "الإستقلال الحقيقي لا يتحقّق بغير الإستقلال الإقتصادي"[٣] . وقد لفت الى ضرورة الإقبال على المصنوعات الوطنية التي تعلّم حب الوطن والتضحية في سبيله، والتي هي طريق الخلاص من العبودية الإقتصادية، والواسطة التي تمكن من كسر القيود الذهبية التي يصوغها الأوروبيون وتقطيع حبال الحرير التي يخنقون بها الأمة[٤] . دعا الى التشبه بأهل اليمن وخاطب سامعيه في حفلة أقيمت في بيروت تشجيعا للصناعة الوطنية فقال : "قد تحتقرون العرب وتجهلون البلاد العربية . ولكن هناك شعوبا أصدق منّا في حب الوطن . هناك في اليمن لا يلبس العرب غير المنسوجات الوطنية اليمانية"[٥] . ثم في سنة ١٩٣٢ أشاد بالمعرض الزراعي الصناعي الذي أقيم في بغداد ووجد فيه الأوليات المحركة المعززة لأسباب المدنية والعمران في ذلك القطر العربي . وقد تمنّى أن تستمرّ تلك الأوليات في نموّها "فتنتشر في الأقطار العربية جمعاء حتى تستطيع القومية العربية ان تشارك في النهضة الإقتصادية العالمية بعد أن تجمع شتاتها وتوحّد كلمتها في أمة واحدة منظمة متضامنة[٦] .

---

(١) راجع الريحاني ومعاصروه . رسائل الأدباء إليه . ص: ٢٩٠ .

(٢) رسائل أمين الريحاني . ص: ٤١٩ .

(٣) القوميات . ج ١، ص: ١٨٩ .

(٤) م . ن . ص: ١٩١ .

(٥) م . ن . ص: ١٨٩ـ١٩٠ .

(٦) م . ن . ج ٢، ص: ٥٠ ـ ٥٢ .

الفصل الرابع

أمين الريحاني وصفاء نزعته العربية

إن ما نبغيه في هذا الفصل الأخير هو تلمس مدى الصفاء في نزعة أمين الريحاني العربية ، بل هو غربلة الغث من السمين على ضوء من البحث العلمي المجرد • وإن ما يسوقنا الى البحث في هذا الأمر هو تعدّد الولاءات التي توزّعت الريحاني ، الانسان والمؤلف، وراحت تتجاذبه في اتجاهات مختلفة • بل ان قضية الريحاني كانت في إحساسه بتعدّد الإنتماءات ومحاولة التوفيق بينها • كتب يقول سنة ١٩٣٣ : " فهل أنا أميركي أم لبناني أم عربي ، أم هل أنا الكل في واحد؟ "(١) ثم عاد يشير الى هذا الأمر ثانية في عام ١٩٣٩ ويقول : " ويلي من التقسيم في بلادي وفي نفسي • فقد قسم بلادي الفرنسيون والإنجليز وكادت الهجرات تقسم نفسي • كيف لا وقد ولدت في لبنان ، ونشأت في أميركا ، ثم في البلاد العربية • ويصحّ أن أقول اني ولدت ثلاث مرّات ، فتجاذبت نفسي الثلاثة الأوطان "(٢) • بل ان الهجرات قد قسمت نفسه وكانت مشكلته انه حاول التوفيق بين الانتماءات الثلاثة فلبس لكل حال لبوسها ، ولكل أرض زيّها ، فأمسى في عيني نفسه ، قبل أعين الآخرين ، لبنانيا متأمركا مستعربا • ولكن هل صفت نزعة الريحاني العربية في تقلّبه في المواطن المختلفة أم كدّر تعدد الولاءات صفوها ؟ هذا ما سنحاول معرفته الآن •

١ ـ أمين الريحاني وأميركا

كان في الثانية عشرة من العمر عندما سافر للمرّة الأولى الى الولايات المتحدة الأميركية • هناك نشأ وترعرع وتلقّى ثقافته الأولى ففتحت له تلك البلاد مجالا للعيش كان قد ضاق في وجه ذويه في لبنان • ولا ريب ان هذا المهاجر قد أحسّ بنوع من العرفان تجاه تلك الأرض التي احتضنته وتلك التربة التي غرس فيها جذوره الجديدة •

---

(١) فيصل الأول • ص: ٢٧٥ •

(٢) المغرب الأقصى • ص: ٦٧٧ •

وقد وجد الريحاني في اندلاع الحرب العالمية الأولى ،بل في دخول الولايات المتحدة غمار تلك الحرب في ٢ نيسان من عام ١٩١٧،فرصة سانحة يعبّر فيها عن امتنانه وولائه لوطنه الثاني • وهلّل لهذا الحدث في الثامن عشر من نيسان من ذلك العام فقال : "دخلت أعظم جمهورية الحرب،تنصر الحرية والانسانية على أكبر عدو لهما في العالم ـ على ألمانيا • ولا ريب عندي ان الشعوب الصغيرة المظلومة ستتحرّر وستحيا حياة جديدة ،بعد هذه الحرب،كيف لا وأميركا أكبر نصيرة لها اليوم•••"(١) وقد تضاعفت جهوده وحماسته لنصرة الأحلاف بعد دخول أميركا الحرب وإذا به يسارع لوضع طاقاته في خدمة الأميركيين كما سنرى في الحال •

وإن أول الدلائل بين يدينا مما يشير الى اتصاله بالمؤسسات الحكومية الأميركية يرجع الى الثامن والعشرين من شهر آب من عام ١٩١٧• ففي رسالة(٢) له عائدة الى ذلك التاريخ وجّهها الى السناتور "جورج شامبرلين" " George E. Chamberlain " في واشنطن ،يشير الى سوريي أميركا وتعطّشهم لإبداء عاطفة الإمتنان نحو وطنهم الثاني أميركا ،كما يشير الى وضعه إمكاناته في تصرّف الحكومة• كتب يقول :

" There are three hundred thousand Syrians in this country, many of whom are American citizens, eager to show their gratitude as beneficiaries of the democratic institutions

---

(١) رسائل أمين الريحاني • ص: ١٦٨ •

(٢) رسالة وجّهها بتاريخ ٢٨ آب عام ١٩١٧ الى "جورج شامبرلين" (George E. Chamberlain) •

of this great republic. I am but one of them, and I was in spain last April, I offered my services to my adopted country through the president.."

والحقّ ان الريحاني لم ينتظر إذنا رسميا إذ كان شرع خلال زيارته لباريس وإسبانيا والمكسيك[١] يحثّ السوريين على التطوّع في الجيش الأميركي · واتّخذ نشاطه محورا له على صعيد الجاليات السورية فراح يدعو السوريين الى دعم الجيش الأميركي وإلى تأليف فرقة سورية أميركية تساعد في تحرير سوريا · وفي تاريخ ١٨ نيسان من سنة ١٩١٧ كتب في إشبيليا يبرز فضل أميركا على السوريين قال : "ألوف من إخواننا عاشوا في ظل العلم الأميركي المجيد · فشربوا مبادئ الديمقراطية·· تاجروا واغتنوا ·· ففتحت لهم أميركا ذراعيها ،آوتهم من ظلم الأتراك·· فضلها علينا عظيم · فهلّا برهنّا اليوم عن صدق وطنيتنا وأمتناننا··"[٢]

بعد أن دخلت أميركا الحرب انتقل القلق على مصير سوريا ،بل الرغبة الجامحة في إنقاذها وتحريرها إلى المرتبة الثانية· كأن الإنتماء الأميركي قد ترسّخ لدى الريحاني إلى درجة أضحت معها الإنتماءات او الإحساسات الأخرى في مرتبة ثانية من الأهمية · يدلّ على هذا الأمر ما قاله حين كتب يذكّر المهاجرين بواجبهم نحو أميركا · قال: "ذكّرهم بواجبهم نحو أميركا وواجبهم نحو سوريا · فإذا قاموا بواجبهم الأول يفوزون بما فيه بواجبهم الثاني · نعم واجبنا الأول هو نحو أميركا ،أمّنا الجديدة "[٣] .

(١) راجع رسائل أمين الريحاني · ص١٦٨ ــ ١٧١ ·
(٢) م · ن · ص: ١٦٩ ·
(٣) م · ن · ص: ١٦٩ ــ ١٧٠ ·

ولعلّ المراجع الأميركية قد قبلت خدمات الريحاني رسميا • ففي الثالث عشر من أيلول عام ١٩١٧ وجّه الريحاني رسالة[1] الى "جورج شامبرلين" نفسه ، رئيس لجنة الشؤون العسكرية في واشنطن ، شاكرا للمراجع ردّها اللطيف على رسالته السابقة ، موردا نصائح يفيد منها الجيش الأميركي ، متحدّثا بلسان الوطني الأميركي الأصيل ولهجته • قال في أحد المقاطع من الرسالة : "إني أتكلم بصفتي مواطنا أميركيا مخلصا لبلاده ، فخورا بإرثها وقوتها راغبا في رؤيتها تساعد في كسب الحرب بأقل ما يمكنها ان تتعرّض له من الخسارة والتضحية ليس على صعيد المال بل الرجال ••" وها المقطع بالإنكليزية:

" I speak as an American citizen who is loyal to his country and proud of her heritage and power and who is desirous of seeing her help to win the war with the least possible loss and sacrifice, not of money, but of men"..

بعد ذلك التاريخ انصبت نشاطاته ، في المكسيك خاصة ، على تشكيل جمعيات سورية موالية للحلفاء • ورأى في قيامها وانتشارها ما يخدم المصلحة الأميركية خدمات متعدّدة تمتدّ آثارها وفوائدها حتى الى ما بعد انتهاء الحرب •

بين يدينا رسائل ثلاث وجهها الريحاني في تاريخ واحد ، هو الرابع والعشرون من حزيران عام ١٩١٨ ، الى ثلاث جهات مختلفة من الحكومة الأميركية • ومن شأن هذه الرسائل ان تلقي ضوءا كافيا على حقيقة تلك الجمعيات وما رمى إليه من وراء انشائها •

---

(١) رسالة وجّهها بتاريخ ١٣ أيلول عام ١٩١٧ الى "جورج شامبرلين" رئيس لجنة الشؤون العسكرية في واشنطن •

في الرسالة[١] الأولى التي وجّهها الى وزير الخارجية الأميركية آنذاك نستدلّ على ان الهدف الذي ارتكزت عليه الجمعيات في تأسيسها ، وهو هدف اجتذب السوريين إليها ، إنما كان التوصّل الى تحرير سوريا عن طريق فرنسا وحلفائها بالإضافة الى الترويج لقضية الحلفاء في أوساط المهاجرين السوريين . إلا ان الريحاني في تنظيمه تلك الجمعيات عمد الى اتخاذ الصفة السورية، بالرغم من أنه كان مواطنا أميركيا يضع مصالح بلاده فوق المصالح كلّها ، فلولا انه قام يروّج للحلفاء من حيث هو أميركي لما استطاع ان يحقق شيئا يذكر في بلاد موالية للألمان بصورة رسمية . قال في الرسالة نفسها :

" In organizing these societies I did so as a Syrian, although I am an American citizen - an American patriot - with America's interests, now that we are at war, uppermost in my mind. But I acted as a Syrian among Syrians principally because I would not have accomplished much or anything if I acted as an American in a country that is officially and nationally pro-German"..

وتشير الرسالة نفسها ايضا الى ما كان للريحاني من نشاطات موالية للأحلاف أدّت بالنتيجة الى طرده من المكسيك . لذلك طلب من وزارة الخارجية الأميركية ان تعمل على إلغاء قرار حكومة المكسيك حتى تتاح له العودة الى هناك واستئناف العمل الذي ينتظره على صعيد الجمعيات السورية ، وفيه من الخير للحلفاء ولأميركا بصورة خاصة الشيء الكثير . قال :

---

(١) رسالة وجّهها من نيويورك بتاريخ ٢٤ حزيران عام ١٩١٨ الى وزير الخارجية الأميركية .

" Now I would not trouble the Department about my own case, if I did not think that there is more work for me to do in Mexico. To go back to the pro-Ally Societies whose benefit to the Allied cause and particularly to us, I wish to emphasize..."

ولعلّ الباحث يشعر حيال ما يبسطه الريحاني في هذه الرسالة وفي غيرها مما سنراه، بأن تلك الجوالي في المكسيك شكّلت طاقة، عمل هو على توظيفها في خدمة الصالح الأميركي بصورة خاصة . ونحن لنشعر بنوع من الفتور يباعد بين الريحاني والقضية السورية فتتحوّل الى شيء شبه ضائع، ثانوي الأهمية في قائمة الأوليات التي كرّس لها نشاطه . واذا ارتبط بالسوريين فعلى صلة نفعية تغلب المصلحة الأميركية على المصالح الباقية. لقد رأى في سوريي المكسيك مثلا وعددهم يقارب الثلاثين ألفا ،قوة تجارية ودعائية ينبغي جذبها الى الكفة الأميركية. قال يقصد المهاجرين السوريين في الرسالة نفسها :

" They are very important factors, therefore, in trade and can become also effective channels of propaganda."

والحق ان هذه النظرة النفعية الى الطاقة السورية لم تكن مستجدّة . لقد وعى قدرة الجوالي السورية وانطلق على أساسها ،واضعا نصب عينيه هدف تكريسها للمصلحة الأميركية أثناء تنظيمه لتلك الجمعيات. دليلنا على هذا الأمر قوله في الرسالة نفسها مبيّنا وجوه الانتفاع بالطاقة السورية على صعيد التجارة والدعاوة :

" While we apparently have nothing to do with these pro-Ally Societies, their benefits to us- and these I had in mind when I organized them -- are manifold. They are, or can be made to be, most reliable

" sources of information for the proper enforcement of our Trading with the Enemy Act as well as important factors for the promoting of American trade and American propaganda in Mexico".

ويكمّل رسالته مشيرا الى ضرورة مضاعفة عدد تلك الجمعيات وجعلها تشمل كل مدينة رئيسية من مدن المكسيك،خاصة في الشمال وعلى طول الحدود ،حيث تنشط الدعاوة للألمان وحيث الدروز والمسلمون من السوريين يستغلّهم الألمان . ويلفت نظر الأميركيين أيضا الى الطاقات الكامنة لدى سوريي أميركا الوسطى والجنوبية الذين تحوّلت علاقاتهم التجارية اثناء الحرب الى الولايات المتحدة قسرا . هؤلاء يطالب بجذبهم الى الجانب الأميركي حتى يستمرّوا مختارين في تعاملهم التجاري مع الولايات المتحدة بعد ان تضع الحرب أوزارها . أما خير وسيلة تكفل تحقيق هذا الأمر فهي انضواؤهم في جمعيات على غرار ما أنشيء في المكسيك .

أما الرسالة [1] الثانية فقد وجّهها الريحاني الى "جوليوس لاي" ، (Julius Lay) المستشار التجاري في وزارة الخارجية الأميركية. فيها نلمح سروره وقد لاقى عطفا لدى هذا المسؤول على فكرة الإهتمام بسوريي أميركا الوسطى والجنوبية بهدف دعم التجارة وبث الدعاوة الأميركيتين . وفي الرسالة اشارة الى الجمعيات التي ينبغي ان تنشأ ،كما فيها ذكر لجهوده الشخصية السابقة على هذا الصعيد وردّ هذا الجهد الى وطنيته الأميركية وشعوره بالعرفان تجاه الديمقراطية الأميركية. وقد ذكر ان هذين العاملين ينبغي ان يشعر بهما كل مواطن ممن هاجروا الى أميركا . وعلى صعيد الجمعيات السورية ذكر الريحاني ايضا ان جهوده كانت موضع ثناء قنصلي أميركا في مدينتي مكسيكو ويوكاتان اللذين كتبا عنها الى وزارة الخارجية وهما يأملان ان تستمرّ جهوده في شمال المكسيك وعلى طول الحدود . قال :

---

(١) رسالة وجّهها من نيويورك بتاريخ ٢٤ حزيران عام ١٩١٨ الى "جوليوس لاي" (Julius Lay) المستشار التجاري بوزارة الخارجية الأميركية .

" And Our Consuls in Mexico City and Yucatan have commended my work in reporting it to the Department and wished it were continued in the north and along the border.."

أخيرا فإن الرسالة (١) الثالثة أرسلها الى الليوتانت ـ كولونل تشرتشل ، رئيس فرع الإستخبارات العسكرية في وزارة الحربية الأميركية • هي تحمل اشارة الى تقرير كان الريحاني رفعه الى هذا المسؤول العسكري حول السوريين في مدينتي مكسيكو ويوكاتان ،إلا انها لا تخرج في مضمونها عن الرسالتين السابقتين بل تؤكد ايضا على ضرورة استخراج طاقة المهاجرين السوريين من خلال ضمهم في جمعيات متعدّدة المنافع تفيد منها السلطات العسكرية الأميركية • قال :

" I am absolutely convinced that these societies can be of great service to us in many ways, especially as reliable source of information to the Military authorities and the War Trade Board.." (1)

أما على الصعيد الداخلي في الولايات المتحدة فقد تميّز نشاطه بدعوة السوريين الى الإنخراط في الجيش الأميركي • وبين أيدينا النص الإنكليزي لنداء الحرب (٣) الذي وجّهه الى السوريين المهاجرين في الحادي والثلاثين من آب

---

(١) رسالة وجّهها من نيويورك بتاريخ ٢٤ حزيران عام ١٩١٨ الى الليوتاننت ـ كولونيل "تشرشل" (M. Churchill) رئيس فرع الاستخبارات العسكرية في وزارة الحربية الأميركية

(٢) على أنه ليس ثمة ما يستدل منه ،في آثار الريحاني المطبوعة او رسائله غير المنشورة ،مما يدلّ على ان تلك الجمعيات قد وجدت بالفعل او بقيت مجرّد اقتراحات•

(٣) مرفق برسالتين وجّههما في ١ أيلول عام ١٩١٨ الى الكولونيل " هاي " (Hay) والليوتاننت هورغان (Horgan) •

عام ١٩١٨،وهو إياه النص الذي أثبته شقيقه ألبرت في كتاب " القوميات" فردّه خطأ الى العام ١٩١٤ (١) . وفي النداء فرح وغبطة بأولئك المتطوعين السوريين وتحيةلهم باسم العلم الأميركي — علم المجد والحرّية . قال : " قد شاهدت أفرادا منكم لبسوا ثوب الجندية مختارين فاهتزّت نفسي فخرا وسرورا ... فألفيتهم أميركيين مبدأ ،أميركيين أخلاقا ،أميركيين عزما وإقداما . فدخلوا الجندية راضين فرحين ليقضوا واجبا وطنيا تفرضه عليهم الجنسية الأميركية" (٢) . أما المتخلّفون فقد استحلفهم ألّا يسوّدوا الإسم السوري ،إلّا انه استثنى نفسه نتيجة لمرض العصبي . قال : " وددت ،والله ،لو كان بإمكاني ان أسير وإياكم ،إخواني ، جنبا الى جنب، . الى خطوط النار .. ولكن الأقدار — وأنا اليوم أشكوها — تحول دون رغبتي . فقد رمتني بالعصبي وآلامه . فما والله اشتهيت الصحة مرّة كما أشتهيها الآن (٣) .

خلاصة القول ان هذه الجهود التي بذلها الريحاني في خدمة الأميركيين ربّما عادت عليه بمركز مرموق كما وثقت صلاته ببعض المسؤولين على صعيد الإدارة الحكومية الادارية . الدليل انه أصبح في مكانة تخوّله التوسط من أجل ترفيع جندي الى رتبة ضابط . كتب إليه الطبيب المجنّد أنيس جريج في ١٩ تشرين الأول عام ١٩١٨ يقول : " لقد اوقفني الصديق اسكندر عقل على مركزكم في نظارة الحربية وأطلعني على استعدادكم لمساعدتي ... فالسلطة العرفية بالرغم عن افصاحي وبراهيني العديدة على إخلاصي لم تقبل تعييني ضابطا مع استحقاقي الترقية والتعيين . فإذا

---

(١) راجع ،القوميات . ج ١،ص ؛ ٨٨ .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن . ص : ٩٠ .

كنتم قادرين أن تحملوا بعض موظفي الادارة الحربية على السعي وراء تعييني رأسا من واشنطن ٠٠ فإذ ذاك يحتمل تعييني ضابطا قبل انتهاء الحرب٠٠٠ فلو انتهت الحرب وأنا لم أزل جنديا بسيطا ورجعت الى التطبيب فإنك لا تجهل سوء المنطقة التي تضطرم في صدور المعارف وسواهم٠٠" (١)

وبالفعل قام الريحاني بتوجيه رسالة (٢) في الثلاثين من تشرين الأول عام ١٩١٨ إلى (عزيزه) ليوتاننت "هورغان" (H.A. Horgan) في فرع الإستخبارات العسكرية في وزارة الحربية الأميركية متوسطا في هذا السبيل٠

ولعلّ الريحاني حاول مساعدة هذا الرجل نفسه في قضية صغيرة تتصل بالإدارة الحربية في تاريخ سابق٠ لقد كتب أنيس جريج الى الريحاني في ٦ تشرين الثاني من عام ١٩١٧ يقول : " وصلني اليوم جواب إدارة الحربية واندهشت من الإسهاب فيه والتلبية السريعة نظرا لكوني معتقدا بأن الإدارة المشار إليها منشغلة عن توافه كهذه انشغالا عظيما ٠ بيد ان المسألة مستحيلة على كل حال كما سبقت ونوّهت بها في كتابك لي" (٣) ٠

---

(١) الريحاني ومعاصروه٠ رسائل الأدباء إليه٠ ص: ١٧٢ـ ١٧٤ ٠

(٢) رسالة وجّهها بتاريخ ٣٠ تشرين الأول عام ١٩١٨ إلى الليوتاننت " هورغان" في فرع الأستخبارات العسكرية في وزارة الحربية الأميركية٠

(٣) الريحاني ومعاصروه ٠ رسائل الأدباء إليه ٠ ص: ١٦٩ـ١٧٠ ٠

ولربّما بلغت صلات الريحاني بالادارة الحكومية الأميركية مبلغا آهله أن يصبح مرجعا يستفتى في ما يتعلّق بمستقبل البلاد السورية بعد انتهاء الحرب. لقد تلقّى من فرع الاستخبارات العسكرية في وزارة الحربية الأميركية أسئلة بهذا الشأن ردّ عليها في رسالة[١] وجّهها الى الكولونل "جون دن" (John M. Dunn) رئيس ذلك الفرع، في السابع من كانون الثاني من عام ١٩١٩. وفي الرسالة يردّ الريحاني على السؤال المتعلّق بأية وصاية يفضل السوريون ان تشرف على البلاد ريثما يتمّ التوصّل الى الحكم الذاتي في سوريا. نراه يشير الى وجود أربع جمعيات لبنانية سورية في نيويورك، اثنتان منها تحبّذان الوصاية الفرنسية والثالثة تحبّذ الوصاية الأميركية، أما الأخيرة فهي تطلب حماية أميركية فرنسية انكليزية مشتركة. لكنّه رأى أن هذا الواقع المؤيد للفرنسيين على الأغلب لا يمكن ان يسدّ الباب في وجه أميركا بالكلّيّة. ذلك ان المهاجرين السوريين وإن مالت أغلبيتهم الى فرنسا، فإن أكثرهم ليفضّلون أن تمنح أميركا الوصاية على سوريا. بل إنهم ليجاهرون بذلك لو تأكّدوا من استعداد أميركا للقيام بتلك المهمة أو لو أنهم تلقّوا تشجيعا رسميا او شبه رسمي للمجاهرة بموقفهم. قال في الرسالة ذاتها :

" It can safely be said that although the majority of Syrians in this country are in favor of France, most of them would prefer to see America as Trustee and would openly declare for it, if they were assured that America would be willing to undertake such a task, or if they were encouraged in a way, official or semi-official, to take such a stand."

---

(١) رسالة وجّهها بتاريخ ٧ كانون الثاني عام ١٩١٩ الى الكولونل "جون دن" (John M. Dunn) رئيس فرع الاستخبارات العسكرية في وزارة الحربية الأميركية.

إلا انه من التجنّي بمكان ان نفترض أنّ الريحاني قد مال الى وصاية أميركية في البلاد السورية بأية وسيلة وبأي ثمن • صحيح انه كتب(١) الى شقيقه يوسف في العشرين من شباط لعام ١٩١٩ فذكر ان تسمية أميركا كقوة انتدابية في سوريا أمر غير مستبعد وانه يحتمل ان تقبل أميركا بتلك المهمة ،فقال :

" .. And it is not unlikely that America might be named as the Mandatory Power to Syria ... And it is probable that America will accept the charge.."

إلّا أنه رأى ان الحكمة تقضي على السوري بالاعتصام بالهدوء والترقّب الصامت وذلك لتلبّد الأجواء السياسية وتشابكها وغموضها بالنسبة الى مستقبل الأوضاع في سوريا • وذكر في الرسالة نفسها ان لا كبير فرق لديه إذا أوكلت أميركا او فرنسا او بريطانيا بالانتداب• فالقوى الثلاث تتساوى في ما لها من فضل على سوريا • قال :

" The wise Syrian to-day will sit tight and wait .. It makes little difference, in my opinion, whether France or America or England is named ... We owe much historically to France; we owe much to America; --- and we are also indebted to England.."

أمام هذا الواقع آثر الانتظار الصامت المقرون بعاطفتي الشكر والامتنان لأية جهة سيقع الإختيار عليها كسلطة مشارفة • قال :

---

(١) رسالة وجّهها بتاريخ ٢٠ شباط عام ١٩١٩ الى شقيقه يوسف•

"..Let them agree among themselves as to who of them shall have the supervision over Syria, and we should be satisfied and thankful.."

وأخيرا ،فإن ما شاهدناه من مواقف اتّخذها الريحاني اثناء الحرب وقبيل انتهائها ليثبت الى حد ذلك الولاء الذي ربطه بوطنه الثاني ولاء لعلّه نقل جهاده من أجل سوريا الى المرتبة الثانية من الأهمية •

يجوز لنا إذن وقد انتقلنا من ذلك التاريخ الى زمن مباشرته رحلته العربية أن ننطلق من هذا الموقف فنسعى لجلاء أهدافه من خلالها ما وسعنا ذلك • ولسنا في هذا الأمر لنبدأ من فراغ او نخبط عشوائيا في مسالك الافتراضات بل إن هنالك من الأسباب ما يحملنا على القول بأن مشارب الريحاني في تلك الرحلة لم تكن لتصفو بالكلية •

من الأدلة على ذلك ان مرضه المزمن الذي راح يثقل عليه مع الأيام والذي لازمه طوال حياته،وكان من قبل قد اقعده عن التماس شرف القتال من أجل سوريا (١)، لم يثنه عن الارتحال في أصعب الظروف وأقساها،مما لا يخفى من أحوال شبه الجزيرة العربية• بل ان تلك الرحلة قد استكبرها العرب أنفسهم ممن تمرّسوا طويلا بالحر والقرّ • والدليل ما قاله الشيخ أحمد الجابر آل صباح في الكويت مخاطبا الريحاني : " العرب أنفسهم يكبرون هذه الطريق ويخافونها ،ومنهم من لا يقوى على تحمّل مشقاتها • وكيف تحمّلتم ركوب الذلول كل هذه الأيام ؟" (٢).

---

(١) راجع ،القوميات • ج ١،ص : ٩٠ •

(٢) ملوك العرب • ج ٢،ص : ١٦٨ •

ثم هناك ما شاع من أقوال على أثر سفر الريحاني يقصد شبه الجزيرة • كتب إليه نجيب دياب[(١)] يستوضحه الحقيقة في الخامس من شباط سنة ١٩٢٢ قال : " على أثر سفرك صدرت الصحافة المكرزلية[(٢)] وفيها ان أمين الريحاني سافر الى العراق الى خدمة الملك فيصل إلى •••• إلى • إلى • إلى ما هنالك من السهام المكرزلية • إلى ذكر الفرنكات المعهودة • فهل حقيقة أنت مسافر الى العراق يا أمين • أكتب لنا لنعرف ماذا نقول وكيف ندفع هذه الدعوى • سمعت كثيرين يرددون قول المكرزل ، فهات كلمتك والحقيقة فيها "[(٣)] .

ثم هنالك من الأدلة الضمنية ما لعلّه يؤكد عدم اقتصار أهداف الرحلة على السعي لإحلال الألفة والتفاهم بين ملوك العرب • ولسنا بحاجة الى تكرار ما أبداه الانكليز من ريبة وحذر حيال الريحاني او وضعوه من عراقيل وحواجز في وجهه ولربما ذهبوا الى حدود التصفية الجسدية[(٤)] .

---

(١) نجيب موسى دياب • صديق الريحاني وأحد أعضاء جمعية الشباب الماروني في نيويورك على ما ذكر جميل جبر في كتابه " أمين الريحاني • الانسان والأديب " ص : ٢٢ • وهو صاحب جريدة " مرآة الغرب " أسسها في نيويورك عام ١٨٩٩ ودافع فيها عن قضايا وطنه ضدّ مظالم الأتراك على ما جاء في كتاب " تاريخ الصحافة السورية " الجزء الأول ، ص : ٦١ • راجع بشأنه أيضا كتاب " رسائل أمين الريحاني " • ص : ٢٥٥ـ٢٥٦ •

(٢) المقصود نعوم مكرزل ، صاحب جريدة الهدى النيويوركية ، وزوج أخت الريحاني • •

(٣) الريحاني ومعاصروه • رسائل الأدباء إليه • ص : ١٩٦ •

(٤) راجع ، ملوك العرب • ج ١ ، ص : ٨٩ـ ٩٠ •

أضف الى هذا ما أبداه بعض ملوك العرب أنفسهم من الحذر تجاهه، كما بالنسبة الى الامام يحيي صاحب اليمن الذي دفع بالريحاني وصديقه قسطنطين ينّي الى نوع من أنواع الأسر دام سبعة أيام (١) . ثم هناك ما قاله له ابـــن سعود ،" لا تقل لي أن لا دخل لك بالسياسة ،وان سياحتك في بلادنا سياحــة علمية فقط. حنّا نفهم ... لا تخدعنا يا أستاذ . لا تغزل عندنا في المقاصــد والكلام " (٢) .

إلّا ان أبرز الأدلّة على الإطلاق رسالة (٣) وجّهها أمين الريحاني فــي الثامن عشر من تشرين الأول لعام ١٩٢١ ،أي قبل أشهر قلائل من بدء رحلته الى هنري فلتشر (Henry P. Fletcher) مساعد وزير الخارجية الأميركيـــة. فيها يعلن عن نيّته السفر الى شبه الجزيرة العربية ،لا للترفيه او للسياحة ،بل لغرض على أهمّية كبرى. ويضمّن رسالته هذه تسعة وعشرين سؤالا يرتهن الرّد عليها الى ما بعد رحلته ذاكرا ان هذه الأسئلة ستعطي الأميركيين فكرة عمّا يزمع القيام به هناك . قال :

" I am now planning a trip to Arabia, not for "recreation" or as a "tourist", but on a business of high importance. The enclosed list of questions, which are of vital interest to the whole world to-day and which I shall not answer until I have gone over the ground thoroughly, will give you an idea of what I propose to do.."

---

(١) راجع ،ملوك العرب،ج ١ ،ص: ١٣٦ ـ ١٣٩ .

(٢) ملوك العرب . ج ٢ ،ص: ٦٠ .

(٣) رسالة وجّهها بتاريخ ١٨ تشرين الأول عام ١٩٢١ الى " هنري فلتشر" مساعد وزير الخارجية الأميركية .

ثم يذكر وسيلته في التغلغل الى داخل شبه الجزيرة وهي اصطحاب صديقه قسطنطين ينّي الموظف الرسمي في حكومة الحجاز ،وانه ربما استطاع التوصل الى مصادر للمعلومات دون التعرّض لأي خطر ،مما قد يعزّ على كاتب أوروبي أو أميركي الوقوف عليها . قال في الرسالة نفسها :

" I have many friends among the Arabs ; and one of them, who is an Official of the Government of Hadjaz , is going to accompany me through the Peninsula. I shall probably get at sources of information, without running any danger, that are hardly accessible to a European or an American writer".

ويكمل ليقول انه مسوق في ذلك بدافع حضاري وان السياسات المحلية لن تعينه ،كما انه سيدخل تلك البلاد بصفة المراقب محترسا أشد الإحتراس، وهو المواطن الأميركي ،حتى لا يقوم بما يحرج موقف حكومته . ثم يبسط سببين يبرّران كتابته الى وزارة الخارجية ،أولهما ما يعتقده من اهتمام الحكومة الأميركية بتطور الأوضاع في الشرق الأدنى وخاصة في العراق وشبه الجزيرة . ويضيف انه سيكون سعيدا بتوفير المعلومات حول تلك الشؤون مسوقا في ذلك بدافع وطني مجرّد ،فيرفع الى الحكومة الأميركية تقريرا حول الموضوع . قال :

" Now, I write you about this matter for two reasons: First our Government is no doubt interested in the development of conditions in the Near East, particularly in Mesopotamia and Arabia; and I shall be pleased to furnish it, from no other than a purely patriotic motive, a report on the subject"..

ويضيف انه سيصدر كتابا في الموضوع أيضا وأن اهتمامه بالاسلام أو بالأحرى بشبه الجزيرة هو اهتمام صديق يتمنّى ان يرى تلك البلاد مواكبة الحضارة الأوروبية وانه سيسعى لمعرفة ما إذا كان هذا الأمر ممكنا .

ونراه مرة أخرى يضع نفسه في تصرّف الحكومة مرحّبا بما قد يضيفه المسؤولون الى قائمة الأسئلة التي أثبتها ،إنما كانت اهتمامات الحكومة تتجاوز تلك الأسئلة أيضا ،مبديا استعداده للذهاب الى واشنطن من أجل هذا الغرض. قال :

" If our Government's interest goes even beyond this, and there are other questions which you or whoever is in charge of Near East Department would add to the list, I shall thank you for so doing. I will come to Washington for the purpose, if it is preferred."

أما السبب الثاني في كتابته الى ذلك المرجع الحكومي فكان من أجل تسهيل أمره في الحصول على جواز سفر .

ثم نصل الى ما ألحقه الريحاني برسالته هذه من أسئلة تنتظر الإجابة ، ذكر الريحاني ان من شأنها إلقاء الضوء على ما سيفعله هناك . تندرج الأسئلة تحت أربعة عناوين هي التالية : العائلة الحاكمة في الحجاز - مكة ثم عنوان في التربية ثم عنوان باسم الباب المفتوح وأخيرا عنوان حول الوطنية والتقدّم العالمي .

أما أسئلة العنوان الأول فتدور في قسم منها على العائلة الهاشمية المتمثّلة بالشريف حسين ونجليه فيصل وعبد الله في طموحهم الى وحدة إسلامية او وحدة عربية ،كما في موقفهم من الأفكار الأوروبية الحديثة. ونجد أيضا تساؤلات تتناول النتائج المحتملة لانتقال الخلافة من اسطنبول الى مكة ،مع محاولة لتشوف الدولة العربية الموحّدة وأثرها السلبي او الإيجابي بالنسبة الى الحضارة الأوروبية .

وتتناول أسئلة العنوان الثاني الأوضاع التعليمية العربية بصورة عامة كما تتطرّق الى المستوى العقلي عند الإنسان العربي العادي اليوم ،متناولة موقف

ذلك الإنسان من المرأة ،وطبيعة حياته بدويا وحضريا • ولا ينسى الريحاني ان يثبت سؤالا يتضمن رغبته في تحسس مشاعر الانسان العربي هناك حيال الأوروبيين والأميركيين • وندهش اذ نراه يدرج تحت العنوان نفسه أسئلة لا تمتّ الى التربية بصلة• ومنها مثلا ما يتعلّق بالقوة القتالية لدى العرب ونوعية الأسلحة المتوافرة لديهم واستعدادات رؤسائهم وملوكهم العسكرية ونواياهم • ويثبت أيضا سؤالا يتناول المصادر التي تمدّ العرب بالأسلحة والمال بالإضافة الى إنكلترا •

ثم هنالك أسئلة يدرجها تحت العنوان نفسه وتدور على جوانب زراعية وتجارية يتخلّلها سؤال يدور على معرفة استعداد الملك فيصل للإستعانة بخبراء غير الانكليز من أجل تطوير العراق •

ونصل الى العنوان الثالث وفيه تتضح رغبة الريحاني في الوقوف على حقيقة العلاقات بين الانكليز وفيصل ،وإن كان يوجد أي اتفاق سرّي بين الجهتين بشأن آبار النفط في العراق • كذلك يثبت سؤالا مداره على امكانات استثمار الرأس المال الأميركي في العراق او في أي مكان من شبه الجزيرة العربية •

أما أسئلة العنوان الأخير فتعكس رغبته في الوقوف على المدى الذي بلغته الروح الوطنية عند العرب ،كما تبرز عزمه على تحرّي حقيقة نوايا الإنكليز في ما يقومون به في شبه الجزيرة وما يبطّنون من غايات• كذلك يتساءل أخيرا إن كان في وسع أميركا وانكلترا ان تعملا معا في العراق •

على هذه الصورة ألفينا الريحاني وقد وطّد العزم على القيام برحلته يسارع الى وضع إمكاناته في تصرّف الحكومة الأميركية ،بل انه أعلن استعداده للذهاب

إلى واشنطن سعيدا بما قد يضيفه المسؤولون الى قائمته من الأسئلة. ولعلّه من أخطر ما يمكن الإشارة إليه ان الريحاني لم يدخل شبه الجزيرة مجرّدا عن الغايات الخاصة، خالي الوفاض، صافي الذهن، عفوي المبادرة، بل دخل وفي جعبته قائمة من الأسئلة تنتظر التحرّي والإجابة. بل إن هذه الأسئلة في تشعّبها وتعدّد اهتماماتها واتّساع نطاق شمولها ناهيك بما لعلّه خفي من أسئلة أضافها المسؤولون في الحكومة، أوجبت على الريحاني ان يشترك بغايته الأساسية المعلنة التي توخت إحلال التعارف والتفاهم بين ملوك العرب، مهمات خاصة أخرى. وها نحن نورد صورة لرسالة الريحاني بأكملها حتى يصار الى الإطلاع عليها بدقة.

(436)

XXXXXXXXXXXXXXXXXX

325 East 68th St. Ref N: 14

October 15m 1921

Hon. Henry P. Fletcher,
Under-Secretary of State,
Washington, D. C.

Dear Sir;

I did not have the pleasure of seeing you in Mexico City when I was there in the winter of 1918 doing some work for our Government and the Allies. [illegible]

I am now planning a trip to Arabia, not for "recreation" or as "a tourist", but on a business of high importance. The enclosed list of questions, which are of vital interest to the whole world to-day and which I shall not answer until I have gone over the ground thoroughly, will give you an idea of what I propose to do. I have many friends among the Arabs; and one of them, who is an official of the Government of Hedjaz, is going to accompany me through the Penisula. I shall probably get at sources of information, without running any danger, that are hardly accessible to a European or an American writer. And I have no axe to grind--except the axe of Civilization. Local politics will not concern me--I shall go through the country as an observer only--and I shall be very careful, as an ~~[illegible]~~ American subject, not to do anything that might embarass the Government.

Now, I write you about this matter for two reasons: First, our Government is no doubt interested in the development of conditions in the Near East, particularly in Mesopotamia and Arabia; and I shall be pleased to furnish it, from no other than a purely patriotic motive, a report on the subject. There will be a book, of course, which I shall publish later. My interest in Islam, in Arabia rather, is that of a friend who desires to see her go forward hand in hand with European Civilization. Is this possibel? That's what I want to find out.

If our Government's interest goes even beyond this, and there are other questions which you or whoever is in charge of Near East Department would add to the list, I shall thank you for so doing. I will come to Washington for the purpose, if it is preferred.

Secondly, I am now writing to ask you to facilitate the matter of obtaining a passport. I want to go to Djedah first, where my friend is, and thence, either through the Peninsula or around it, up to Basra and Baghdad. I shall return from Baghdad to Damascus and Beirut, to be able to visit my mother and sisters who are still in the old country--in Mt. Lebanon.

I shall not make an application for the passport until I hear from you. I want to leave next month. With the hope that you will be so kind as to let me have an early reply, I am, Sir,

Very truly yours,

(4136)

XXXXXXXXXXXXXXXXX

325 East 68th St. Ref No: 14

October 18, 1921

Hon. Henry P. Fletcher,
Under-Secretary of State,
Washington, D. C.

Dear Sir;

I did not have the pleasure of seeing you in Mexico City when I was there in the winter of 1918 doing some work for our Government and the Allies. [illegible]

I am now planning a trip to Arabia, not for "recreation" or as "a tourist", but on a business of high importance. The enclosed list of questions, which are of vital interest to the whole world to-day and which I shall not answer until I have gone over the ground thoroughly, will give you an idea of what I propose to do. I have many friends among the Arabs; and one of them, who is an official of the Government of Hedjaz, is going to accompany me through the Peninsula. I shall probably get at sources of information, without running any danger, that are hardly accessible to a European or an American writer. And I have no axe to grind--except the axe of Civilization. Local politics will not concern me--I shall go through the country as an observer only--and I shall be very careful, as an American subject, not to do anything that might embarass the Government.

Now, I write you about this matter for two reasons: First, our Government is no doubt interested in the development of conditions in the Near East, particularly in Mesopotamia and Arabia; and I shall be pleased to furnish it, from no other than a purely patriotic motive, a report on the subject. There will be a book, of course, which I shall publish later. My interest in Islam, in Arabia rather, is that of a friend who desires to see her go forward hand in hand with European Civilization. Is this possibel? That's what I want to find out.

If our Government's interest goes even beyond this, and there are other questions which you or whoever is in charge of Near East Department would add to the list, I shall thank you for so doing. I will come to Washington for the purpose, if it is preferred.

Secondly, I am now writing to ask you to facilitate the matter of obtaining a passport. I want to go to Djeddah first, where my friend is, and thence, either through the Peninsula or around it, up to Basra and Baghdad. I shall return from Baghdad to Damascus and Beirut, to be able to visit my mother and sisters who are still in the old country--in Mt. Lebanon.

I shall not make an application for the passport until I hear from you. I want to leave next month. With the hope that you will be so kind as to let me have an early reply, I am, Sir,

Very truly yours,

From Ameen Rihani.
New York.

A LIST OF QUESTIONS RELATING TO ARABIA
AND THE ARABS OF TO-DAY.
******

THE RULING FAMILY OF HEDJAZ----MECCA.

I. Is their ambition at bottom Pan-Islamic or only Pan-Arabian. Do they, in other words, want to rule spiritually the whole Mohammedan world as well all the Arabs of the Peninsula?

2. Is it true that the King of Hedjaz is very old fashioned, even inimical to modern civilization, and that of his four sons only Feisal, now King of Irak at Baghdad, is a progressive, hospitable to modern European ideas?

3. Is the heir to the throne at Mecca, now King of Beyond-Jordan, like his father or like his brother Feisal? Is he dreaming of the welfare of Arabia foremost, [illegible] ?

4. Can they realize their ambition for a united Arabia and a new Arab kingdom, with its capital, say, in Baghdad?

5. Will the independent Kings and Chiefs join the standard of Feisal for a united Arabia or the standar of the King of Mecca for a united Islam, or will they continue recalcitrant and hostile?

6. If a united Arabia is possible, will it be a menace to European civilization or a friendly [illegible] of it? [illegible]

7. Will the Khalifate be transferred from Constantinople to Mecca? And if it is, will it not split Islam, or spax seperate the Mohammedans of India from the Mohammedans of the Peninsula?

8. Is England, in favoring a Khalifate at Mecca, looking to such an outcome, leading to a wider breach between the Mohammedans of India and their brethren of Arabia?

9. Is King Feisal radical enough to demand a seperation between the religious and the political ;sword of Islam--to have the Khalif at Mecca like the Pope in Rome, and he an Baghdad a modern constitutional King? Is such a reform movement in Islam,or at least in Arabia, possible today?

EDUCATION

10. What is the extent of the average Arab of today? Is their public as well as high schoolsmin the towns? How are the nomads reached? Are they all illiterate

II. Has the King of Hidjaz introduced, as it is reported, new methods--modern--in education?

I2. What is the mentality of the avergae Arab of today? Is there many among them who have been educated in Europe?

I3. Is their attitude toward woman changing? Their life in town and tent. Their sentiment towards the European, towards the America, towards their own rulers.

From Ameen Rihani.
New York.

A LIST OF QUESTIONS RELATING TO ARABIA
AND THE ARABS OF TO-DAY.
******

THE RULING FAMILY OF HEDJAZ----MECCA.

I. Is their ambition at bottom Pan-Islamic or only Pan-Arabian. Do they, in other words, want to rule spiritually the whole Mohammedan world as well all the Arabs of the Peninsula?

2. Is it true that the King of Hedjaz is very old fashioned, even inimical to modern civilization, and that of his four sons only Feisal, now King of Irak at Baghdad, is a progressive, hospitable to modern European ideas?

3. Is the heir to the throne at Mecca, now King of Beyond-Jordan, like his father or like his brother Feisal? Is he dreaming of the welfare of Arabia foremost [illegible] ?

4. Can they realize their ambition for a united Arabia and a new Arab kingdom, with its capital, say, in Baghdad?

5. Will the independent Kings and Chiefs join the standard of Feisal for a united Arabia or the standar of the King of Mecca for a united Islam, or will they continue [illegible]?

6. If a united Arabia is possible, will it be a menace to European civilization or a friendly [illegible] of it? [illegible]

7. Will the Khalifate be transferred from Constantinople to Mecca? And if it is, will it not split Islam, or seperate the Mohammedans of India from the Mohammedans of the Peninsula?

8. Is England, in favoring a Khalifate at Mecca, looking to such an outcome, leading to a wider breach between the Mohammedans of India and their brethren of Arabia?

9. Is King Feisal radical enough to demand a seperation between the religious and the political powers of Islam--to have the Khalif at Mecca like the Pope in Rome, and he in Baghdad a modern constitutional King? Is such a reform movement in Islam, or at least in Arabia, possible today?

EDUCATION

IO. What is the extent of the average Arab of today? Is their public as well as high schools in the towns? How are the nomads reached? Are they all illiterate

II. Has the King of Hidjaz introduced, as it is reported, new methods--modern--in education?

I2. What is the mentality of the avergae Arab of today? Is there many among them who have been educated in Europe?

I3. Is their attitude toward woman changing? Their life in town and tent. Their sentiment towards the European, towards the America, towards their own rulers.

14. What is their fighting power? Are arms accessible to them? Modern arms? Any preparation, secret or otherwise, among the chiefs or the kings any of against each other.

15. Who sells them arms beside England? Any other beside England helping the rulers financially?

16. Can they ever develop their country agricuturally and commercially as to become in the end independent financially of any European power?

17. Will King Feisal seek the aid of any other than English specialist in developing ~~his~~ Mesopotamia?

THE OPEN DOOR

18. Is it possible with England dominating the commercial as well as the political situation?

19. Is there any secret understanding between England and Feisal about the oil wells of Mesopotamia?

20. Is there any opportunities in his Kingdom or any where else in the Peninsula for American Capital?

21. Whatabout the irrigation scheme which English engineering had started in Mesopptamia before the war?

NATIONALISM AND WORLD PROGRESS

22. How far is the spirit of nationalism and self-determination consistent with the spirit of human progress?

23. If the Arabs, to unite politically, sink back into Islamism, that is fanaticism, would their self-detrmination be a curse or a blessing to the world?

24. How far is the practical working of the Mandate system consistent with the spirit of nationalism and independence?

25. How much does Europe depend upon this nation, Arabia, which is at the gate of the Orient, and how much does Arabia depend upon Europe?

[redacted]

26. Would Arabia, armed and united, take the place, in other words, of the Ottoman Empire and thus resucitate [redacted] many of the pernicious features of Ottoman rule, among them the Eastern Question?

27. Is England, by setting up kings in different parts of Arabia, making for herself future enemies or friends? Or is she planning in Arabia today for future emergencies in India? Is she making ready to move? Or is she preparing a new base of operation?

28. Is she in the even of losing her power in the Middle East, working for dominion in the Near East? --a British Empire to replace India, which shall extend from the Dardenelles to Suis, and from the Caspian Sea to the Persian Gulf?

29. Is it possible for America and England to work together in Mesopotamia?

14. What is their fighting power? Are arms accessible to them? Modern arms? Any preparation, secret or otherwise, among the chiefs or the kings any of against each other.

15. Who sells them arms beside England? Any other beside England helping the rulers financially?

16. Can they ever develop their country agricualturally and commercially as to become in the end independent financially of any European power?

17. Will King Feisal seek the aid of any other than English specialist in developing ~~xxx~~ Mesopotamia?

THE OPEN DOOR

18. Is it possible with England dominating the commercial as well as the political situation?

19. Is there any secret understanding between England and Feisal about the oil wells of Mesopotamia?

20. Is there any opportunities in his kingdom or any where else in the Peninsula for American Capital?

21. Whatabout the irrigation scheme which English engineering had started in Mesopptamia before the war?

NATIONALISM AND WORLD PROGRESS

22. How far is the spirit of nationalism and self-determination consistent with the spirit of human progress?

23. If the Arabs, to unite politically, sink back into Islamism, that is fanaticism, would their self-detrmination be a curse or a blessing to the world?

24. How far is the practical working of the Mandate system consistent with the spirit of nationalism and independence?

25. How much does Europe depend upon this nation, Arabia, which is at the gate of the Orient, and how much does Arabia depend upon Europe?

26. [redacted]

26. Would Arabia, armed and united, take the place, in other words, of the Ottoman Empire and thus resucitate [redacted] many of the pernicious features of Ottoman rule, among them the Eastern Question?

27. Is England, by setting up kings in different parts of Arabia, making for herself future enemies or friends? Or is she planning in Arabia today for future emergencies in India? Is she making ready to move? Or is she preparing a new base of operation?

28. Is she in the even of losing her power in the Middle East, working for dominion in the Near East? --a British Empire to replace India, which shall extend from the Dardenelles to Suis, and from the Caspian Sea to the Persian Gulf?

29. Is it possible for America and England to work together in Mesopotamia?

ولعلّ الريحاني قد شخص بالفعل الى واشنطن أو زوّد بأسئلة اضافية معيّنة. ذلك انه بعد سنتين من تاريخ توجيهه هذه الرسالة التي أثبتناها ،أرسل[١] أخرى الى رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية ،" وارن روبنز " (Warren D. Robbins) في العشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٣ ،نستدلّ منها انه أمّ مكتب هذا المسؤول قبل المشروع في رحلته. وقد استهلّ رسالته بقوله : مضت سنتان على التاريخ الذي سعدت فيه بمقابلتك ومقابلة المستر دوايت في مكتبك. ومنذ ذلك الوقت وأنا في التجوال. لقد حققت الرحلة نجاحا عظيما ولكنها لم تنته بعد. قال بالإنكليزية :

" It's two years since I had the pleasure of seeing you and Mr. Dwight at your office, and I have been since then on the go. The trip was a great success, and it's not yet finished"..

ومهما يكن من أمر فقد ثبت لدينا ان الريحاني قد رفع تقارير الى وزارة الخارجية الأميركية تضمّنت معلومات كان قد استقاها خلال رحلته. ولعلّ قضية النفط قد احتلت مكانا بارزا ضمن ما رغب الأميركيون في الإطلاع عليه، مستخدمين الريحاني كمصدر للمعلومات، على الأقل. نستدلّ على هذا الأمر من خلال رسالة[٢] وجّهها الى شقيقه يوسف في التاسع من تموز عام ١٩٢٣. وفي الرسالة إشارة إلى امتياز الحسا الذي أصبح حديث الأوساط المالية في لندن، هذا الإمتياز الذي كتبت وزارة الخارجية الأميركية تستوضح قنصلها العام في بيروت عنه. ويذكر الريحاني أنه

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢٣ الى " وارن روبنز" رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية.

(٢) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٩ تموز عام ١٩٢٣ الى شقيقه يوسف.

وفّر للقنصل المعلومات التي طلبها . ثم يتجاوز هذه القضية ليشير الى التقرير الذي يعتزم رفعه الى الجهات الأميركية المعنية حتى يفي بالوعد الذي قطعه يوم منحه الأميركيون جواز السفر. ولعلّهم استبطأوا التقرير فسألوا القنصل عن الريحاني . قال :

" The Hasa Concession is now the talk of London financial circles, and the State Department has written to the Consul General in Beirut asking him about it. He showed me the letter, and I gave him the information they wanted . I had promised the State Department, when I applied for my passport, a report on Arabia, and I suppose have to make good my promise. They asked the Consul at Beirut about me. It's going to take a week's work, and I'm so busy.."

ونتجاوز الآن قضية النفط لكي نتابع ما تمّ بشأن ذلك التقرير. نعثر على إشارة إليه في رسالة(١) وجّهها الريحاني الى شقيقه يوسف ايضا بتاريخ الثاني والعشرين من آب لعام ١٩٢٣ . لقد ذكر فيها أنه لم يتسنّ له الوقت الكافي لكتابة التقرير المشار إليه سابقا وأنه سيباشر بذلك في الشهر المقبل ،وأضاف أيضا أنه سيذكر قضية أخيه يوسف لوزير الخارجية يوم يبعث بالتقرير. قال :

" I wrote in my last letter that I have a report to make to the State Department. I haven't had time to start work on it, but I shall do so next month, and in sending it, I shall mention you and your case to the secretary".."

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢٢آب عام ١٩٢٣ الى شقيقه يوسف.

وفي تاريخ العشرين من تشرين الأول لعام ١٩٢٣ كان الريحاني قد أتمّ كتابة تقريره وأعدّه للإرسال . ففي رسالة[١] عائدة الى هذا التاريخ وجّهها الى شقيقه يوسف ذكر هذا الأمر وأشار الى قضية أخيه التي وعد برفعها الى واشنطن، كما أشار الى أن الرسائل الى وزير الخارجية الأميركية ورئيس قسم شؤون الشرق الأدنى أصبحت جاهزة لإرسالها في الغد . قال :

" In my last, dated Aug. 22, I promised to write to Washington about your case against the Reguladora. I couldn't do so before I had my report on Arabia ready for the Department. It was finished yesterday, and the letters to the Secretary of State and the Chief of the Near-Eastern Division are written. They go tomorrow.."

وفي التاريخ نفسه ،أي في العشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٣ ،وجّه الريحاني رسالة[٢] الى رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى " وارن روبنز (Warren D. Robbins) وطيّها التقرير المنتظر حول شبه الجزيرة ،وقد تمنّى ان يكون مفيدا ومثيرا للإهتمام،وذكر في الرسالة أيضا أن المعلومات حول العراق وشرق الأردن لا ريب تصل ذلك المسؤول عبر قنصلي أميركا في بغداد والقدس .

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢٣ الى شقيقه يوسف .

(٢) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢٣ الى " وارن روبنز " رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية .

كذلك قال انه شاهد خريطة لشبه الجزيرة في إحدى القنصليات الأميركية في مكان ما ،وأضاف انه لو تلقّى خريطة مماثلة من ذلك المسؤول،لقام بكل سرور بتعيين خطوط الحدود المعروفة قديمها وحديثها، أو تلك التي حدّدت بعد الحرب • وختم الرسالة مبديا ترحيبه بإعطاء وزارة الخارجية اية معلومات يعرفها بالنسبة الى الموضوع او يمكنه الحصول عليها • قال :

" The enclosed report is in the way of fulfilling a promise, I hope it will prove interesting and useful. Information about Iraq and Trans-Jordania you are no doubt receiving through the Consuls at Baghdad and Jerusalem..

I saw a skeleton map of Arabia, sent out by the Department, at one of our Consulates somewhere. If you will send me a copy, I shall be pleased to note on it the boundaries old and new that are known, or that have been settled after the war and defined. And any further information desired on the subject will be gladly furnished to the Department, if it is within my knowledge, or, if possible, obtained."

إن في هذه الرسالة ما يجدر التوقّف عنده • فهي تبرز وبما لا يقبل الشك دور الريحاني في توفير المعلومات للأميركيين ووضعه نفسه في خدمتهم مختارا سعيدا • ومما يستوقفنا بصورة خاصة عبارة وردت في الرسالة نفسها فوصفت الرحلة بأنها قد "سجّلت نجاحا عظيما " • قال :

" The trip was a great success."(1)

ولا نعلم على أى صعيد سجّل ذلك النجاح • إلّا انه من الواضح أن النجاح لم يتمّ على صعيد الوحدة العربية التي كانت هدف الرحلة الأساسي المعلن • لقد رأينا كيف أخفقت مساعيه العملية من أجل الوحدة فلم يوقّع الحسين مثلا واحدة من معاهدتيه مع الإمام يحيي والسيد الإدريسي ولا هو استحسنهما رافضا يد الولاء والمؤازرة التي مدّاها إليه (٢) • كذلك كان من أمر ابن سعود إذ رفض ان يبايع العرب غيره قائلا : " نحن نعرف أنفسنا ولا نقبل السيادة في غيرنا " (٣) •

أما مشروعه النظري بالنسبة الى الوحدة العربية الذي ساقه في ختام كتابه " ملوك العرب " (٤) فقد بناه على الإفتراض وسلّم هو نفسه من خلاله بأن " لا أمل للعرب في تحقيق الوحدة العربية الكلّية اليوم " (٥) • ثم انه ذكر انه لو تهيأت أسباب الوحدة جميعا فإنه ليمكن الفوز بالضالة المنشودة " بعد خمس وعشرين سنة في الأمل من بداءة هذه المؤسسات " (٦) • ورأى أن ما يمكن في

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢٣ الى " وارن روبنز " رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية •
(٢) ملوك العرب • ج ١، ص : ٣٩١ - ٣٩٢ •
(٣) م • ن • ج ٢، ص : ١٠٢ •
(٤) م • ن • ص : ٤٣٣ •
(٥) م • ن • ص : ٤٣٥ •
(٦) م • ن •

الحاضر هو التآلف والتفاهم ،فلا تمّ التآلف ولا تحقّق التفاهم وبقيت آراء الريحاني في الوحدة العربية ضربا من الخيال المجنّح • أضف الى هذا كلّه أن نظرته الى الوحدة العربية قد اختلفت عن نظرة ملوك العرب إليها وبقي هذا الإختلاف قائما راسخا حتى العام ١٩٣٨ على الأقل • كتب في ذلك العام ،قال : "إن في شبه الجزيرة ملوكا وأمراء يدعون في توحيد كلمة العرب دعوة دينية• ونحن ندعو في هذا السبيل دعوة قومية••" (١) ناهيك بما كان قد ذكره في عسير إذ قال يقصد العرب : " والدين عندهم أساس الملك في الدنيا ،والسبب الأول في خرابه ،لو أنهم يفطنون" (٢) •

نتجاوز هذا الاستطراد الضروري لنذكر ان الريحاني ربّما عنى بذلك النجاح العظيم لرحلته ،تلك المجموعة من العلاقات الشخصية والصداقات التي حصدها، أو لعلّه ذلك النصر الذي ربّما سجّله في افساحه موطىء القدم أمام الرأس المال الأميركي ممّا سنراه بعد حين •

وإذ عدنا نلاحق الآن ذلك التقرير الذي رفعه الى وزارة الخارجية وقعنا على ذكر له في رسالة (٣) بعث بها الى وزير الخارجية الأميركية في الرابع والعشرين من كانون الثاني لعام ١٩٢٤،استهلّها بشكر الوزير على المعلومات التي قدّمها بشأن قضية شقيقه يوسف ،كما ذكر ان شقيقه سيتّصل مباشرة بوزارة الخارجية إذا وجد ذلك ضروريا • قال :

---

(١) القوميات ـ ج ٢،ص: ١٥٩ •

(٢) ملوك العرب • ج ١،ص : ٣١١ •

(٣) رسالة وجّهها الى واشنطن بتاريخ ٢٤ كانون الثاني عام ١٩٢٤ الى وزير الخارجية الأميركية •

" I beg to acknowledge receipt of your letter of Nov. 28, 1923, and to thank you for the information given therein. I have transmitted same to my brother, and he will communicate if necessary with the Department direct."

ولا نعلم ما كانت قضية أخيه يوسف تلك ، إلا أنه راح يستخدم صلاته بذوي النفوذ في وزارة الخارجية من أجل المساعدة في حلّها . ونحن نلاحظ اقتران ذكر هذه القضية بذكر التقرير حول شبه الجزيرة، كأن الريحاني يلوّح مذكرا بخدماته حتى يقابل النافذون تلك الخدمات بمبادرة من عندهم . ويستمرّ في الرسالة نفسها فيشرح للوزير ، وكان هذا الأخير قد نفى استلامه التقرير الموعود ، أنه قد أرسله في كتاب مستقلّ عبر القنصل في بيروت وانه ربّما يكون قد وصل الى رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية . ثم يسأل وزير الخارجية ان يتلطّف بإعلامه ما اذا كان التقرير قد بلغ ذلك القسم . قال متابعا :

" You say that the report referred to in my letter was not enclosed therein. No; it was sent in a separate envelope through the Consul at Beirut, and it may have gone to the Near East Division of the Department without your having seen it. Will you be so good as to let me know if it has been received at the Near East Division."

ولا ينسى أن يشير الى قيمة ذلك التقرير واحتوائه ما تفيد منه وزارة الخارجية من معلومات ،وهو لذلك يكره أن يراه قد ضاع. قال :

" It is a good piece of work and of benefit to the Department. I'd hate to have it go to waste."

ولعلّه من المثير ان نؤكد ان صلات الريحاني بالمراجع الحكومية الأميركية لم تنقطع بعد فراغه من رحلته. ذلك انه راح يوافيهم بالمعلومات المستجدّة ويرفع لهم التقارير كما سيتّضح لاحقا .

وفي الخامس من تشرين الثاني من عام ١٩٢٤ [١] وصل الريحاني الى جدّة ساعيا في سبيل السلام بين البلدين المتحاربين ،نجد والحجاز. وقد ردّ عزمه ذاك الى رغبة في "حقن دماء المتحاربين من أهل وطنه" [٢]. على أن مساعيه في التهدئة آلت إلى الإخفاق [٣] واستمرّ القتال بين الفريقين على أكثر ما يكون من الضراوة ،وجرت معارك استخدمت فيها الطائرات والمصفّحات والمدفعية والرشّاشات . وبلغت هذه المعارك ذروة احتدامها في ١٤ آذار من عام ١٩٢٥، في موقعة دعيت بوقعة المصفّحات [٤] .

---

(١) راجع ،تاريخ نجد الحديث. ص: ٣٥٦ .

(٢) م . ن . ص: ٣٩٦ .

(٣) م . ن . ص: ٣٩٣—٣٩٥ .

(٤) م . ن . ص: ٤١٠ .

ونستطرد ههنا قليلا لنشير الى أن الريحاني أرسل كتابا (١) في الثاني من آذار عام ١٩٢٥ الى مصنع جونستون للأسلحة في يوتيكا ،نيويورك،جاء فيه قوله : لقد كان للكاتب الفرصة السعيدة في أن يقابل السيد جونستون منذ أربع سنوات خلت ،أي قبل رحلته العربية ،في فندق لاثام بنيويورك ،وان يتباحث معه امكان استخدام مدفع جونستون الرشّاش في شبه الجزيرة العربية• إنّي ما زلت مهتمّا بذلك وآمل أن تفيدوني ما إذا كان ذلك السلاح لم يزل معروضا للبيع• الرجاء ان ترسلوا المواصفات والثمن والخصائص في أقرب وقت ممكن • قال بالانكليزية :

" The writer had the pleasure of meeting your Mr. Johnston about four years ago at the Hotel Latham New York, and discussing with him the possible use in Arabia of the Johnston Machine Gun.

I am still interested, and would like to hear from you if the gun is on the market for sale. Please send catalogue and price and particulars at your earliest convenience and oblige."

وها نحن نثبت صورة لتلك الرسالة :

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢ آذار عام ١٩٢٥ الى مصانع جونستون للأسلحة في نيويورك (The J. S. Johnston MFg.Co..) •

495

Freike, Mt Lebanon, March 2nd, 1925.

Reb No. 20

The J. S. Johnston Mfg. Co.,

Utica, N. Y.

Gentlemen;

The writer had the pleasure of meeting your Mr. Johnston about four years ago at the Hotel Latham New York, and discussing with him the possible use in Arabia of the Johnston Machine Gun.

I am still interested, and would like to hear from you if the gun is on the market for sale. Please send price and catalogue and particulars at your earliest convenience and oblige.

Yours truly,

Address:

c/o Joseph Sajer,

Imprimerie Scientifique,

Beyrout, Syria.

إلّا أن ما بين أيدينا من رسائل لا يلقي أيّة أضواء جديدة على ما أسفرت عنه رسالة السلاح تلك من نتيجة او ما هدفت إليه في الحقيقة• لكنّنا نملك مـا يثبت ان الريحاني قد أدّى حسابا ،مرّة أخرى ،للأميركيين فرفع تقريرا الى وزارة الخارجية الأميركية تناول مهمّته السلمية في الحجاز• كتب الى شقيقه يوسف فـي التاسع والعشرين من آب لعام ١٩٢٥ فأخبره ان ما ينوي عمله هو كتابة تقريـر (١) وعد بإرساله الى وزارة الخارجية حول مهمّته السلمية في الحجاز وأضاف ان العمل على التقرير سيستغرق اسبوعا، وانه لا يظنّ ان التقرير سيصل مكتب شؤون الشرق الأدنى قبل نهاية شهر أيلول • قال :

" The next piece of work I have to do, --- is a report I promised to send to the Department on my peace mission in Al-Hijaz last Winter. This will take a week, and I don't think it will reach the Near East Bureau of the State Department before the end of September."

كما رأى في هذا التقرير سانحة من شأنها تحريك قضية أخيه يوسف التي يبدو انها كانت ما تزال عالقة حتى ذلك الحين• وقد استمرّ في رسالته الى يوسف فأشار عليه بالإتّصال بوزارة الخارجية إذا كان سيبقى في واشنطن حتى نهاية أيلول، موعد وصول تقريره الى الجهات الحكومية المعنية• وأضاف انه لا يعرف من هو رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى حاليّا ،غير ان المسؤولين هناك يعرفونه ويعرفون أيضا انه أسدى إليهم خدمة جيّدة• من هنا طلب من أخيه ان ينتفع بهذا الأمر لجهـة قضيّته فيمرّ على الدائرة الحكومية المذكورة معرّفا بنفسه • قال يخاطب أخاه :

---

(١) رسالة وجّهها بتاريخ ٢٩ آب عام ١٩٢٥ الى شقيقه يوسف•

" You will perhaps have left Washington by that time. Or you may be still there. I don't know who is the head of the Near East bureau now. But they know me, and they know too that I have done them good service. If that means anything in your case, then utilize it. It would be a good idea any how to drop in there and introduce yourself."

وما كان هذا التقرير بالأخير. تلاه آخر مداره على شبه الجزيرة ضمّنه الريحاني أيضا اشارة الى قضية أخيه. كتب(١) الى شقيقه يوسف في الثامن والعشرين من أيلول من عام ١٩٢٥ فذكر أنه أرسل الى وزارة الخارجية تقريرا آخر عن شبه الجزيرة ،وأنه كتب إلى وزير الخارجية بخصوص شكوى أخيه. قال :

" I have sent the Department another report on Arabia -- and wrote again to the Secretary of State about your claims.."

في أوائل عام ١٩٢٩ كان الريحاني يحاول تسهيل إدخال خيول إلى أميركا كان ابن سعود قد أهداها له من قبل. وقد استعان لهذا الأمر بصديقه القنصل العام الأميركي إذ جعله يكتب رسالة الى رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة

---

(١) رسالة وجّهها بتاريخ ٢٨ أيلول عام ١٩٢٥ الى شقيقه يوسف.

الخارجية الأميركية كي يتوسط له في ذلك مع وزارة الزراعة • وقد كتبها القنصل العام السابق بحضور الريحاني ولم ينس أن يشير الى ما كان له من خدمات كبيرة أسداها الى وزارة الخارجية خلال رحلاته في شبه الجزيرة العربية والشرق الأدنى • وقد أعرب الريحاني في رسالته[١] عن اعتقاده بأن هذا الإجراء إنّما سيسير بالقضية الى نهاية مرضية على الأغلب • قال :

" It just happened that my friend Mr. Knabenshue, the former Consul General of Syria is in New York at present, and I met him this morning and had him write a letter to Mr. Shaw, the chief of the Near East Division, State Department -- he dictated it in my presence -- asking him to use his good offices with the Department of Agriculture in my behalf. He did not fail to mention also that I have been of great service to the State Department during my travels in Arabia and the Near East. This is most likely to bring the matter to a satisfactory conclusion.

ومن الطريف ان نعلم ان وزارة الخارجية تدخّلت الى جانب الريحاني في قضية كهذه فأرسلت تطلب الى وزارة الزراعة تسهيل إدخال خيوله تلك • هذا ما ذكره في رسالة[٢] إلى أخيه يوسف بتاريخ الخامس من شباط عام ١٩٢٩ • قال :

---

(١) رسالة وجّهها من نيويورك بتاريخ ١٥ كانون الثاني عام ١٩٢٩ الى شقيقه يوسف•
(٢) رسالة وجّهها بتاريخ ٥ شباط عام ١٩٢٩ الى شقيقه يوسف•

" The question of the horses will be settled satisfactory. The Department of Agriculture received a word in my behalf from the Department of State."

نستخلص مما ورد جميعا ان الشكّ لا يتسرّب الى أن الريحاني قد أدّى للأميركيين خدمات خلال تجواله في شبه الجزيرة العربية والشرق الأدنى ثم استمرّ يوفّر لهم عبر تقاريره مصدرا للمعلومات. بل إنه بقي إلى فترة متأخّرة يلمّح بما كان قد أسداه الى وزارة الخارجية الأميركية من خدمات. يبقى أن نحاول اكتشاف ما كانت عليه تلك الخدمات في حقيقتها وهل فارقت الصعيد الحكومي الى أصعدة خاصة معيّنة وهل أضاف إليها غايات شخصية أخرى ،حتى تنجلي آخر الأمر نسبة الصفاء والتجرّد في نزعته العربية ويتبيّن ان كان قد داخل اندفاعه العربي مقدار من الغائية المبيّتة.

٢ ـ أميـــن الريحـــانـــي وابـــن سعـــود :

بسط الريحاني في الفصل الذي عقده في نهاية كتابه " ملوك العرب "، تحت عنوان " عود الى الوحدة العربية "، تصوره لشكل من أشكال التقارب في غياب الوحدة العربية الكلّية. على ان في مشروعه ذاك شيئا من الأدلّة لا يستهان به مما يشير الى انه كان يميل في قرارة نفسه الى رؤية السيادة البريطانية متقلّصة. ولعلّه رمى الى المباعدة بين انكلترا وحليفها الشريف حسين بل الى حرمانها رجلها الضعيف الذي تلاعبت به حسب أهوائها وسخّرته في تحقيق غاياتها. قال صاحب كتـــاب

"لعبة القوى" أو " Power Play " في هذا الصدد : " عندما قدم الريحاني الى شبه الجزيرة في عام ١٩٢٢ ،كانت مكّة والمدينة وشاطىء البحر الأحمر بكامله مع ما يقع خلفه من أراض،تحت الحكم القلق لدمية بريطانية اسمها الملك حسين" (١) .
ونحن نميل الى الإعتقاد بأن الريحاني قد هدف في مشروعه الى إلغاء فعالية الحسين، وبالتالي،حسر موجة النفوذ الانكليزي عن طريق اقتراحه القائل باستبدال سلطة الشريف المدنية بأخرى دينية رمزية. لقد اقترح ان يبايع العرب الحسين خليفة للمسلمين مقرّه مكّة ،" أي كالبابا في رومة ،ويقيمون بعدئذ ملكا غيره منهم" (٢) .
كتب الريحاني يرغّب الحسين بالخلافة ،قال : " أفلا يرضى وهو الحصيف الحكيم ان يكون خليفة يحترمه المسلمون أجمع ،ولا يكون ملكا في الحجاز ،همومه السياسية الخارجية والداخلية هي أشدّ من هموم حاكم من حكّام الدول العظمى" (٣) . ثم يصار بعد ذلك ،كما رأينا سابقا ،الى تقسيم شبه الجزيرة شطرين في الحكم يتزعم الغربي منهما الإمام يحيى والشرقي ابن سعود . والواقع ان الريحاني قد وعى خطر ابن سعود وما يمكنه ان يمارس من ضغط على الانكليز. فهو حامي بريطانيا في الخليج "يستطيع إذا شاء ان يخرج وكلاءها من الأساكل ويقضي على سياستها في السواحل الشرقية فيستولي عليها" (٤) . من هنا الحكمة في اقتراح تسليم ذلك الشطر الغني برمّته ،ذلك الشطر الذي أراد الإنكليز السيطرة على ثروته الطبيعية وقاوموا من نافسهم

---

(١) Power Play. P. 33.

(٢) ملوك العرب ،ج ٢ ،ص: ٤٣٦ .

(٣) م . ن . ص: ٤٣٨ .

(٤) م . ن . ص: ٦١ .

على الامتيازات فيه [١]، الى أكثر ملوك العرب قوّة : ابن سعود • ذلك ما رمى إليه الريحاني كما نعتقد • كتب [٢] في العاشر من آذار سنة ١٩٢٧ الى المدعو " تروي " (Troy) يوضح الفرق بين ابن سعود والشريف حسين ، فقال إن الإنكليز لا يزالون يحومون حول ابن سعود من أجل معاهدة وانهم يحاولون أن يلعبوا اللعبة نفسها التي لعبوها مع الملك حسين • لكن الريحاني رأى أن ابن سعود ليس على قدر الحمق والغلظة اللذين كان عليهما الشريف وانه بالتالي ليس فريسة سهلة • قال يقصد ابن سعود :

" The English are still hovering around him for a Treaty, and they are trying to play the same game they played with King Hussein; but Ibn Sa'oud is not as fatuous and obdurate as the old Sherif. Nor is he, on the other hand, an easy prey."

ثمّ إنّ مشروع الريحاني المقترح لا يقدّم جديدا على الصعيد الداخلي لشبه الجزيرة ، فهو يبقي الحكم في البيوتات المتوارثة المعروفة • غير أنه يرفع أيدي الإنكليز عن الإمارات الصغيرة ، " تلك الاءمارات التي تعبث بها السياسة البريطانية ، يقسمها الانكليز ويرشون أمراءها بالذهب والأوسمة ليقبلوا بالتقسيم " [٣] • بل إنه رمى الى إلغاء الصلات المتعددة وردّها الى صلة واحدة ، كأن يوقّع ابن سعود مثلا بالأصالة عن البحرين والكويت وقطر وعمان ، تلك المعاهدات التي ربطتها

---

(١) راجع ، ملوك العرب • ج ٢ ، ص : ٦٩ •

(٢) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ١٠ آذار عام ١٩٢٧ الى المدعو " تروي " •

(٣) القوميات • ج ٢ ، ص : ٢٨ •

ببريطانيا • ولا يخفى ما في هذا الأمر من إساءة الى المصالح البريطانية وتهديد للنفوذ الإنكليزي في تلك الإمارات ،إذ لم يكن واحد من الأمراء " مطلقا من نفوذ الانكليز مهما كان ضئيلا "،(١) ولم يكن فيهم من لا اتفاق او معاهدة بينه وبين بريطانيا •

ولقد راح الريحاني بعد خروجه من شبه الجزيرة يزيّن لابن سعود فضائل مشروعه هذا ويحبّب إليه الإضطلاع بمهمّة تكتيل الأجزاء الصغيرة تحت جناح نفوذه • كتب إليه في كانون الثاني من عام ١٩٢٤ يذكره بذلك المشروع ، قال : "إنّي ألفت نظركم خاصة الى المقال الأخير في الجزء الثاني ،أي " البحث في الوحدة العربية" • قد تغيّرت المسألة في بعض جزئياتها ،وأصبحت لذلك أقرب من ذي قبل الى التحقيق • فما قول مولاي عبد العزيز ؟ ألا يريد أن يكون الزعيم العربي الأول الذي يعمل دون مساعدة الأجانب ،قل بالرغم عن مقاومتهم ،للحلف العربي ••؟" (٢)

ولقد رأينا كيف كتب الريحاني في العام ١٩٢٧ يصف ابن سعود بأنه ليس بمقدار حمق الشريف حسين وغلظته • غير أنه في السنة نفسها ألقى خطبة كال لابن سعود فيها مقادير الثناء والمديح ،قال : " ألف وثلاثمائة سنة ثم بعث الله من يجمع كلمة العرب ويوحّد مقاصدهم ويعزّز شؤونهم ويؤسّس ملكه بينهم فيكون أوّلا منهم ولهم" (٣) • ثم استرسل فوفع ابن سعود فوق معاوية والمأمون وصلاح الدين

---

(١) ملوك العرب• ج ٢،ص: ٤٣٧ •

(٢) رسائل أمين الريحاني • ص: ٢٣٢ •

(٣) القوميات •ج ١،ص: ١٩٦ •

بل فوق الأمويين والعبّاسيين كافة وذكر الوحدة العربية فرأى انها محقّقة بمساعيه (١).

على هذه اللهجة التي لا تخلو من التّملق وخطب الودّ أعاد إلى خاطر العاهل السعودي قضية الزعامة العربية. ثم إن الصداقة التي ربطت بينه وبين ابن سعود، لعلّه قد جناها بما نشره من بذور التودّد والتلطّف وربّما حاول عن طريقها جذب العاهل السعودي الى الجانب الأميركي. لقد راح يروّج ،كما ذكره لزعامة ابن سعود ،في المحافل الأميركية محاولا ان يدخل في يقين الملك ان الأميركيين إنّما يكبرون ما يكبره هو نفسه لفرط ما أقنعهم به ودعاهم إليه. كتب الى ابن سعود في الخامس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ ، قال : " لا خلاص لهذه الأمّة بغير الإتحاد ولا يجدّد مجدها بغير العلم . وقد كان في الماضي أساس مجدها . قلت ذلك مرارا وتكرارا في الكتب والمجلّات ومن على المنابر العربية والانكليزية في سوريا وفي لندن وفي هذه البلاد الأميركية... وعسى ان يحقّق بكم يا طويل العمر ما نحن منشدون.." (٢). ثم استمرّ فوصل الى ما أراد إبلاغه لابن سعود . قال : "فقد قلت ذلك وأستمرّ أقول إن الرجل الذي كتب الله لهذه الأمّة الخلاص عن يده إنّما هو عبد العزيز ابن سعود . وفي هذه الأمّة الأميركية اليوم ،في حكومتها وبين مفكّريها كثيرون يسمعون وهم مقتنعون بما أقول ، بل هم مكبرون ما أنا مكبر" (٣).

---

(١) راجع ،القوميات،ج ١ ،ص: ١٩٥ .

(٢) رسائل أمين الريحاني . ص: ٣٦١ .

(٣) م . ن .

ولا نعلم مدى صحة ما أبلغه الريحاني من موقف الأميركيين من الوحدة العربية تحت زعامة ابن سعود، أو ما عنته لهم تلك القضية أو إذا كانت مطروحة لديهم أساسا في ذلك الحين. غير اننا نعلم ان الريحاني الذي كان قد خاطب ابن سعود في كانون الثاني من سنة ١٩٢٤ بقوله: "إي مولاي، إني رجل عربي ساقه الله اليكم ليخدمكم ويخدم العرب، فانتفعوا بي قبل أن يأذن الله بالرحيل"[(١)] كان قد خرج يقينا، في عام ١٩٢٩، من طور التلميح الى طور التصريح.

لقد كان الريحاني في العام ١٩٢٩ يطمح الى انشاء جامعة مصغّرة في الفريكة. كتب[(٢)] في السادس والعشرين من آذار عام ١٩٢٩ الى بايارد ضودج، رئيس الجامعة الأميركية في بيروت، يعرض عليه فكرته تلك التي تتلخّص في استضافة طلبة سوريين من مختلف المذاهب والطوائف ومنحهم الفرصة حتى يشاركوا الريحاني أفكاره وتطلّعاته وطريقة حياته. ثم يقترح في الرسالة نفسها توسيع دائرة عملـــه ليشمل شبه الجزيرة فيستضيف شبانا من نجد والحجاز وعسير واليمن وحضرموت ومسقط والبحرين وعمان والكويت والعراق. وأضاف ان حكّام المناطق تلك، وأكثرهم من أصدقائه، سيساعدون في دعم الفكرة. أما تكاليف المشروع فقد قدّرها الريحاني بمبلغ مائة وخمسين ألف دولار. من هنا كتابته الى الدكتور ضودج يسأله ان يدعمه لدى المدعو الدكتور "جون فنلي" (John Finley) ليساعده في تحقيق مشروعه. قال يخاطب الدكتور ضودج :

---

(١) رسائل أمين الريحاني. ص: ٢٣١.

(٢) رسالة وجّهها بتاريخ ٢٦ آذار عام ١٩٢٩ الى الدكتور بايارد ضودج رئيس الجامعة الأميركية في بيروت.

" I have spoken to Dr. John Finley about it, and he was very interested... He told me that if you recommend it, he will gladly help."

ثم في رسالة[1] أخرى الى الدكتور ضودج نفسه، بتاريخ التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٢٩، أشار الريحاني الى اهتمام بعض الأشخاص من الأميركيين بفكرته تلك ومن بينهم المدعوان المستر "فروليك (Frolick) والمستر ستوب (Staub) . وهذا الأمريكتسي أهمية خاصة إذا علمنا بأن مستر ستوب ذاك قد تباحث مع الريحاني في إمكان انشاء سلسلة من المدارس على طول شواطىء شبه الجزيرة العربية: في جدة والحديدة وعدن ومكلا ومسقط وعمان والبحرين والكويت. وقد وعد الريحاني بالعمل على تأمين موافقة الحكام المختلفين هناك، مضيفا ان العمل في معهده الخاص سيمضي مع العمل في تلك المدارس يدا بيد . ثم أنهى رسالته بقوله: إن علينا مهمة كبيرة في الولايات العربية جميعا، إذا استطعنا ان نتعاون . أو بالإنكليزية :

" There is a great task for us in all the Arab States, if we can co-operate."

أما على الصعيد العلمي_الاقتصادي فقد هدف الريحاني الى حث ابن سعود على الإفادة من الطاقة الأميركية في استخراج مصادر الثروة. كتب إليه في الخامس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ فأوحى اليه بأن في الأمّة الأميركية من يكبرون ما يكبره الريحاني، في أن الرجل الذي كتب الله للأمّة العربية الخلاص عن يده، انما هو عبد العزيز ابن سعود[2] . ثم انتقل مباشرة ليقول :

---

(١) رسالة وجّهها من نيويورك بتاريخ ٢٩ حزيران عام ١٩٢٩ الى "بايارد ضودج (Bayard Dodge) رئيس الجامعة الأميركية في بيروت .

(٢) راجع، رسائل أمين الريحاني . ص: ٣٦١ .

"وعلى ذكر هذه الأمّة الأميركية ألفت نظر طويل العمر الى أمر جوهري ،هو أنه هنا اليوم منابع القوة العلمية كلّها ــ التجارية والميكانيكية والفنية والمالية • فإذا أتيح لنا ان نستعين بها كان ذلك في خيرنا •"(١) وأكمل فألمح الى ما طوى عليه النفس من أمور وآمال رغب في الإفضاء بها الى السلطان السعودي ،مدارها في الأغلب على وجوه الانتفاع بالقوى والوسائل الأميركية• قال متابعا : "وإن في صدر صديقكم الأمين أمورا وآمالا يود ان يفضي بها إليكم ،ولا شكّ أنكم ترون رأيي في ذلك"(٢) • ولم ينس لهذه الغاية ان يضع نفسه في تصرّف ابن سعود ، قال : "سأعود الى لبنان في الربيع القادم إن شاء الله وسأكون إذ ذاك طوع الأمر الملكي"(٣) •

بعد عام ١٩٣٠ نفتقد الأدلة ،إلا رسالة(٤) خطّها في أول أيلول من عام ١٩٣١ فأشار فيها الى اجتماع محتمل بين مسؤولين أميركيين وبين ابن سعود • والرسالة موجّهة الى مسؤول يدعى المستر "موراي" (Murray) يخبره فيها أنه كان يعتزم السفر الى بغداد في الخريف ولكنه أرجأ ذلك الى الشتاء بسبب انتشار الكوليرا في مدينة البصرة• وأضاف أنه لو جاء أي شخص من الوزارة في الشتاء، وانه في حال تعيين ابن سعود منطقة الحسا مكانا للاجتماع،فإنه سيعدل ميعاد سفره الى بغداد ليجعله قبل موعد الإجتماع في الحسا أو بعده • أما إذا كان الإجتماع سيعقد في جدّة فذكر انه سيؤجل زيارته للعراق الى فصل الربيع• ثم ذكر للريحاني للسيد موراي نفسه ،وهو أحد موظفي وزارة الخارجية الأميركية(٥) ،أن أضمن

---

(١) رسائل أمين الريحاني • ص: ٣٦١ •

(٢) م • ن •

(٣) م • ن •

(٤) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ١ أيلول عام ١٩٣١ الى المدعو "موراي" •

(٥) راجع ،رسالة وجهها من الفريكة بتاريخ ٢آب عام ١٩٣١ الى شقيقه ألبرت •

وسيلة للإتصال به وأسرعها ،حيثما يكون ،تبقى دائما عن طريق القنصل العام في بيروت. قال بالانكليزية :

" I was going to Baghdad in the Fall, but on account of the cholera in Basrah, I am postponing my visit till the winter. Should any one come from the Department about that time, and in case king Ibn Sa'oud designates Hasa as the meeting place, I shall make my trip to Iraq on the way either before or after the meeting at Hasa. And should the meeting be in Jeddah, I shall postpone my visit to Iraq till the spring. The safest and quickest way to reach me always, wherever I be, is c/o the Consul General, Beirut".

وفي هذه الرسالة ما يؤكد ان الريحاني كان سيحضر ذلك الإجتماع بين الجهتين.

ثم إنه راح يعمل بعد ذلك على عقد الصلة وتمتينها بينهما باذلا جهدا ألمح إليه إذ كتب الى الملك عبد العزيز في سنة ١٩٣٩ فقال : "وأمس علمت من القنصل الأميركي ان سفير أميركا في مصر ،تعيّن سفيرا كذلك لدى جلالتكم فسررت بذلك أيّما سرور خصوصا لأنه كان لي بعض الجهد في تمهيد السبيل الى هذه الصلة السعودية ـ الأميركية ،لما فيها من الخير للبلاد جميعا بلاد العرب وبلاد الأميركيين".(١) وبعد ، يبقى ان نبحث عمّا إذا كان الريحاني ،في عمله لعقد تلك الصلة ،سعى لتوفير مكاسب معيّنة أفاد منها الجانب الأميركي .

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص: ٥٥٠ .

٣ ـ أمين الريحانـــي والإمتيازات :

خرج الريحاني من الولايات المتحدة في رحلته الأولى الى الجزيرة وفي جعبته أسئلة تتعلّق بقضايا اقتصادية ضمنها قضية النفط ،عازما في ما عزم ،على الإجابةعلى أسئلة تتصل بإمكان استثمار الرأس المال الأميركي في العراق أو في شبه الجزيرة العربية . ويرجح اعتقادنا بأنه كان للريحاني شيء من الصفة الرسمية أثناء تجواله ،ما رأيناه من اشارات الى إهتمام القنصل الأميركي في عدن بأمره . قال يقصد الإنكليز ويستعرض شكوكهم، وقد خيّل إليهم أنه قادم من قبل الشركات المالية الأميركية يبغي الامتيازات: " والبرهان على ذلك اهتمام القنصل الأميركي بأمري . فكيف يأذنون بالسفر الى صنعاء وهم المنافسون؟ "[١] ثم في بمباي راب مدير الشرطة أمر "هذا السائح العربي الأميركي الذي تفتح له أبواب قفلت مرارا دون سواه"[٢] . ويعزّز اعتقادنا ذاك أيضا ما لاقاه الريحاني من حفاوة لدى أكثر ملوك العرب ،وفي زيارة ابن سعود له ليلا بعض دليل[٣] على ذلك . ثم إن في طريقة تنقّله في نجد ما يلمح الى معاملة خاصة . فهو ،على الرغم من الأمن المستتبّ في بلاد عبد العزيز، كان يسافر "بطريقة ممتازة مصحوبا بعشرة الى خمسة عشر رجلا من رجال السلطان"[٤] . والواقع ان الريحاني لم يهمل الاشارة الى أنه كان مزوّدا بكتاب تعريف من وزارة الخارجية بواشنطن[٥] . إلا أنّ ذلك الكتاب تجاوز التعريف الى نوع من التوصية وبقي الريحاني يحتفظ به ويحرص عليه حتى العام ١٩٣١ على الأقل . ففي السادس

---

(١) ملوك العرب ج ١، ص: ٨٢ .

(٢) م . ن ج٢ ص: ٩ .

(٣) م . ن . ج ٢، ص: ٣٦ .

(٤) م . ن . ص: ٧٤ .

(٥) م . ن . ج ١، ص: ٧٩ .

من آذار سنة ١٩٣١ أرسل الى السناتور "كوبلاند" رسالة ضمّنها الكتاب نفسه، وقد وجد فيه خير توصية ترفع الى ذاك المسؤول، إذ عزم على الخروج من الولايات المتحدة مسافرا . وجاء في الرسالة[١] قوله : إني مسافر خارج البلاد مرّة أخرى هذا الشهر . وبصفتي واحدا من ناخبيكم أكتب إليكم سائلا ان تتلطّفوا بالتوصية بي لدى وزير الخارجية، لأن وزارة الخارجية تطلب هذا الإجراء الشكلي، من أجل منحي كتاب تعريف لدى المعتمدين الديبلوماسيين والقنصليين للولايات المتحدة الأميركية . وفي معرض التعريف والتوصية أرسل إليكم الكتاب الذي كنت أحمله خلال رحلاتي في عام ١٩٢٣ وصفحة مطبوعة من منشور لـ"جمعية السياسة الخارجية"[٢] التابعة لهذه المدينة . هلّا تلطفتم بإعادة الكتاب اليّ . وها الرسالة بالإنكليزية :

" I am going abroad again this month, and as one of your constituents, I write to ask you to kindly recommend me to the Secretary of State-- the Department requires this formality -- for a letter to the Diplomatic and Consular Officers of the U.S.A.

In the way of an introduction and a recommendation to you, I am enclosing the letter I carried during my travels in 1923; and a printed page from the Foreign Policy Association of this City. Will you kindly return the letter to me".

هكذا دخل الريحاني شبه الجزيرة مزودا بكتاب التوصية فأسدى الى الأميركيين الخدمات التي رأيناه يشير اليها . ويظاهر اعتقادنا ان مهمة الريحاني لم تسلم من الشوائب ما ذكره مثلا في عام ١٩٣٦ مما قد يوحي بتمرّسه بهذا النوع من المهمات

---

(١) رسالة وجّهها الى نيويورك بتاريخ ٦ آذار عام ١٩٣١ الى السناتور "كوبلاند" (Copeland) .

(٢) هي الجمعية التي كان يحاضر تحت رعايتها في ولايات أميركا، واسمها " Foreign Policy Association "

المزدوجة الهدف • ففي الرابع عشر من أيلول عام ١٩٣٩ ، كتب[1] الى السر "آرثر واشوب" (Arthur G. Wauchope) المندوب السامي الإنكليزي في فلسطين وشرق الأردن، فاقترح ان يدخل القدس بامكاناته الخاصة وبصفته صديقا للعرب والإنكليز معا ليرى ان كان ثمة ما يمكن عمله من أجل الحالة المحزنة، بما يخفظ معنويات الانكليز ويرضي العرب ويؤكد على صيانة حقوقهم • أما هدفه الظاهر من الزيارة فسيكون هدف الرحالة الباحث الذي كتب عدة كتب حول شبه جزيرة العرب ، المهتم بمراقبة الأحوال عن كثب في فلسطين •• قال بالانكليزية :

" My proposition is to come to Jerusalem in my private capacity as a friend both to the Arabs and the British --- and see if something can be done to bring the tragic situation out of its impasse in such manner as to preserve the prestige of the British Government, as well as to satisfy the Arabs that their rights and interests will, in the event of a cessation of hostilities, be safeguarded. The apparent purpose of my visit will be that of a traveller and scholar, who has written several books on Arabia, and who is interested in getting a close-up of the situation in Palestine".

ويجوز لنا أن نعود الى العام ١٩٢٢ ، والريحاني آنذاك حديث العهد بعرب الجزيرة ، فنفترض انه قد أضاف الى مهمة الباحث المستقصي ، والرحالة المندفع مهمة سبر الأغوار ، وتلمس امكان انتزاع جزء من ذلك الكل الذي هيمنت عليه السيطرة الانكليزية •

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ١٤ أيلول عام ١٩٣٩ الى السر "آرثر واشوب" المندوب السامي الانكليزي في فلسطين وشرق الاردن •

هناك رأيناه يتنقّل من أرض الى أرض يحدوه اندفاع وهمّة عظيمان يتقرّب من الملوك وأولي الأمر ويحاول الربط ما بينهم بالمعاهدات • وإذا نحن نظرنا الى المعاهدتين اللتين عقدهما مع صاحبي اليمن وعسير ،ألفيناه يحرص في المادة الأولى من كلتيهما على تمهيد السبيل للمداخلات التجارية والاقتصادية والتهذيبية الأجنبية• ذلك ان الإمام يحيي كان قد وقف في هذه المادة الأولى موقف الرفض تجاه المداخلة الأجنبية الخارجية من الجهات جميعا • إلا ان الريحاني وفق في اقناعه بتعديل المادة• كتب يقول : "فأضفنا إليها الكلمات "تخل باستقلال البلاد العربية ووحدتها" كي لا تنفي المادة المداخلات التجارية والاقتصادية والتهذيبية ولا يخفى ما في مثل هذه المداخلة المجردة عن العوامل السياسية من الخير للبلاد العربية"(١) •وقد فعل الأمر نفسه بالنسبة الى المعاهدة مع الادريسي في عسير(٢) •

وبعد ،فهل كان الريحاني يفكر في جهة معينة او يمهد لتغلغل ما ،عندما سعى لإدخال ذلك التعديل ؟ هذا ما سنحاول اكتشافه الآن •

عقد الكاتب الانكليزي "ليونارد موزلي" في كتابه "لعبة القوى"،الذي روى فيه قصة النفط في الشرق الأوسط ،فصلا أبرز فيه الدور الذي لعبه أمين الريحاني في منح الإمتيازات لاستخراج النفط السعودي واستثماره • وفي هذا الفصل الذي ساقه الكاتب تحت عنوان "آبار ابن سعود" ما يبرز أثر الريحاني ،المواطن الأميركي ،الذي لولا تدخله لدى ابن سعود في قضية امتياز الحسا ،"لكانت أغنى آبار النفط في

---

(١) ملوك العرب مج ١،ص: ٢١٩ •

(٢) راجع م • ن • ص: ٣٥٨ •

العالم ،اليوم ،في أيدي الانكليز بدلا من الأميركيين"[١] .

لقد ذكر موزلي ان ذلك المواطن الأميركي ،الذي عاش في نيويورك فأتقن لكنة بروكلين وباوري وكان يفاخر بذلك ،قد قدم الى شبه الجزيرة العربية في عام ١٩٢٢ ،لا ليبحث عن النفط ولكن ليدرس أوضاع الشرق الأوسط ويستقصي أحوال العرب الذين قضى بينهم طفولته . وأضاف انه قد تورّط في أمور النفط ولكن على غير نجاح كبير . إلا ان مواطنيه الأميركيين مدينون له بالشكر والعرفان لتدخله تدخلا ذا دلالة ومعنى الى جانب الرجل غير المناسب وإقناعه ابن سعود بأن يمنحه امتيازا للتنقيب عن النفط[٢] . فلولا انه لم يدعم الرجل المعروف باسم "فرنك هولمس" لكانت أغنى آبار النفط في العالم،اليوم،بيد الانكليز بدلا من الأميركيين . قال موزلي بالانكليزية ،يقصد الريحاني :

" But his fellow Americans should be grateful to him for his well-meaning intervention. Had it not been for the fact that he backed the wrong man, and persuaded an Arab King to do likewise, the richest oil fields in the world would today be in British rather than American hands."

ويعود الكاتب في فصله هذا الى كتاب أمين الريحاني الانكليزي ، "إبن سعود ، شعبه وبلاده ،" ليستقي منه مادته،معيدا الى الأذهان تلك المقابلة التي تمّت ليلا بين إبن سعود والريحاني في موضع العلاة من النفود ،في منتصف الطريق بين العقير والهفوف[٣] .

---

(١) Power Play. P. 32.

(٢) <u>Ibid.</u>

(٣) راجع ، Ibn Sa'oud of Arabia. PP. 34-35.

أما تلك المقابلة التي يسرت التعارف ومهّدت للصداقة بين الرجلين، فقد ذكر موزلي أنها أثمرت نتيجة هامة في الأيام التي تلت . وقد مضى في فصله مستعيدا ما كان الريحاني قد ذكره في كتاب "ملوك العرب"، من أمر مرافقته ابن سعود الى مؤتمر العقير، حيث التقى السلطان هناك المندوب السامي البريطاني في العراق السر "برسي كوكس". أما هذا المؤتمر الذي كان انعقاده من أجل التفاوض حول الحدود الشمالية بين بلاد ابن سعود ومملكة العراق، فلم يعدم طالبي الامتيازات ممن قدموا يتقرّبون الى أولي الأمر باسم الصداقة للعرب وللبترول[1] . وقد ساق ليونارد موزلي في الفصل نفسه ما كان الريحاني قد ذكر طرفا منه في "ملوك العرب" ثم أفاض فيه وأوضحه في كتابه "إبن سعود، شعبه وبلاده"، من أمر طالب الامتيازات النيوزيلندي المدعو "فرنك هولمس". وهذا الرجل قد تمكّن من الفوز بامتياز التنقيب عن النفط في منطقة الحساء على الرغم من منافسة شركة الزيت الانكليزية ـ الفارسية في عبّادان له، و"بالرغم من مقاومة الحكومة البريطانية التي كانت تفضّل ان تمنحه لشركة "عبّادان".[2] . ذلك ان حكومة بريطانيا كانت تعضد تلك الشركة لأنها كانت تملك سبعين بالمئة من أسهمها وتقاوم كل شركة سواها تبغي امتيازا في الشطر الشرقي من البلاد العربية. ولعلّه من المثير ان نعرف ان ذلك الامتياز لم يكن ليعطى الى "فرنك هولمس"، وكيل النقابة العمومية الشرقية بلندن، لولا تدخّل أمين الريحاني لدى ابن سعود والوساطة التي بذلها في ذلك السبيل.

وللأمر قصة يرويها موزلي فيأخذها أخذا حرفيا عن كتاب الريحاني "إبن سعود، شعبه وبلاده". مفاد القصة أن الريحاني قابل في العقير ذلك الرجل النيوزيلندي

---

(١) راجع ملوك العرب . ج ٢، ص: ٦٩ .

(٢) م . ن .

الذي كان يبحث عن امتياز للنفط لدى ابن سعود . والواقع انه إنما جاء ممثلا لشركة انكليزية في لندن كانت غايتها ،كما ذكر موزلي ،ان تبيع الامتياز الذي تحصل عليه من إحدى الشركات الأميركية على وجه التفضيل ، القادرة على متابعة التنقيب والاستثمار[١] . قال موزلي يقصد هولمس:

" .. he represented a London syndicate and he was looking for an oil concession which he and his associates intended to prepare for exploitation, and then sell off to the highest bidders preferably the Americans".

حين أرسل إبن سعود الى الريحاني وثيقة العرض التي تقدّم بها هولمس لنيل امتياز الحسا يسأله مراجعتها وابداء رأيه بشأنها انبرى الريحاني يدعم هولمس ويثني عليه . ثم بادر الى إيلاء وثيقة العرض اهتمامه ،وكان ابن سعود لم يطلع عليها بعد ،فانكبّ على صفحاتها العشرين المعرّبة تعريبا رديئا ركيكا وأعمل فيها التشذيب والتعديل وإعادة الصياغة حتى خرجت من بين يديه على صورة واضحة لائقة"[٢] . ثم باشر الريحاني كتابة تقريره بشأن العرض فأوصى بقبوله ودعمه بشدة ، وقد استلزم منه ذلك التقرير ساعات أربعا قضاها ساهرا يكتب على ضوء قنديل شحيح[٣] .

---

(١) Power Play . P. 36.

(٢) Ibn Sa'oud of Arabia. PP. 81-83.

(٣) Ibid. P. 83.

ولمّا علم السر "برسي كوكس" أن غريبا يحاول الحصول على امتياز النفط سارع الى استدعاء فرنك هولمس وخاطبه بقوله : " لاتتسرّع في طلب الإمتياز . لم يحن الوقت بعد . إن الحكومة البريطانية لا يمكنها ان تقدّم الى شركتك أية حماية " [١] . وذكر ليونارد موزلي ان هولمس لم يكن غبيّا فقد أدرك ان السر كوكس قد اتصل بلندن وبغداد وأخبر رفاقه في شركة الزيت الانكليزية الفارسية التي تملكها الحكومة الانكليزية،أن مضاربا لهم جاء يزاحمهم في ما عدّه منطقة نفوذ للشركة المذكورة [٢] .

وفي تاريخ الثلاثين من تشرين الثاني عام ١٩٢٢ كتب الريحاني في دفتر مذكراته : " قدّم إليّ البارحة عبد اللطيف باشا ،رسالة كان استلمها لتوّه من صديقه السر " أرنولد ولسون" ،رئيس شركة الزيت الانكليزية الفارسية في عبّادان ،يذكر فيها انه آت في القريب لزيارة السلطان وانه ربّما تمكّن من عقد اتفاق معه حول النفط " [٣] . وقد أكّد عبد اللطيف باشا ،مستشار ابن سعود ، ان السر "برسي كوكس" هو الذي نبّه ولسون الى قضية امتياز الحسا [٤] .

ولاحظ الريحاني ان السر " كوكس" الذي قال لهولمس من قبل ان الوقت لم يحن بعد لمفاوضات حول النفط ،انما قال ذلك ليفسح أمام شركة عبّادان المجال لمثل تلك المفاوضات . وذكر " موزلي " من جهة أخرى ان رغبة السر كوكس في حفظ

---

(١) راجع ، Ibn Sa'oud of Arabia . P. 83.

(٢) Power Play. P. 36.

(٣) Opcit. p. 84.

(٤) Op.cit.

الامتياز لشركة عبّادان وعزمه على إحباط مساعي " هولمس " ، دفعا به الى اللجوء للضغط وتهديد ابن سعود بقطع المساعدات البريطانية عنه ، إن هو أعطى الامتياز للشركة المنافسة (١) .

وروى الريحاني بتاريخ الثاني من كانون الأول عام ١٩٢٢ أن السر " كوكس " طلب من إبن سعود ان يكتب رسالة الى " هولمس " يذكر فيها انه لا يستطيع ان يتّخذ قرارا بشأن الامتياز قبل ان يستشير الحكومة البريطانية . كذلك أرسل الى السلطان السعودي نص الرسالة الواجب كتابتها بواسطة الدكتور عبد الله ، سكرتير السلطان ، مع كلمة خطّها بالقلم الرصاص ،جاء فيها : " هل يمكن السلطان ان يكتب رسالة الى الميجر هولمس ،حسب النص المرفق ويبعث بنسخة منها إليّ ... " إلّا أن ابن سعود رفض ثلاثا ،وفي كل مرّة كان المفوّض السامي يصرّ ويلحّ من جديد (٢) .

لكن السلطان كان يحرص على مساعداته من الحكومة البريطانية ،لذلك وافق في آخر الأمر على كتابة الرسالة . وأشار موزلي الى انه كان من الممكن ان ينتهي الأمر عند هذا الحد فتسفر النتيجة عن هزيمة هولمس وتغلغل الشركة الانكليزية الفارسية في حقول النفط السعودية . وذكر أن الريحاني غضب لما جرى كما نغّصه خضوع ابن سعود لضغط المندوب السامي . أما ابن سعود فلم يكن ليهتمّ لمن سيعطي الامتياز ما دام سيقبض الثمن من المشتري . لم يكن ليهتمّ لولا رسالة

---

(١) راجع ، Power Play. P. 37

(٢) راجع ، Ibn Sa'oud of Arabia.PP. 84-86.

تلقّاها من الريحاني في العاشر من كانون الأول عام ١٩٢٢ (١) استثار فيها كبرياءه واستنهض إباءه وكرامته . قال يخاطبه : "جلالتكم أصحاب سيادة مطلقة على أراضيكم ،ولكم الحق ان تعطوا الامتياز للشركة التي تريدون ،ما دامت انكليزية . معاهدتكم مع الحكومة البريطانية لا تلزمكم بالموافقة على الشركة التي تختارها الحكومة . أمامكم شركتان انكليزيتان : واحدة تملكها الحكومة البريطانية والأخرى لا علاقة ظاهرة لها بالشؤون السياسية ،فهي بعيدة عن كل تأثير حكومي . ثم إن لكم ان تختاروا ما تشاؤون . وكلّما كانت الشركة بعيدة عن السياسة أتت النتيجة أفضل لبلادكم . إن الإمتيازات يجب ان تمنح على أسس ودوافع تجارية بحتة ،منزّهة عن الغايات السياسية ،ودون اقتراحات مكتوبة بالقلم الرصاص ،من مسؤولين بريطانيين . ذلك هو الأفضل للعرب وللإنكليز" (٢) . ونشير الى ان هذه العبارات إنّما حرص الريحاني على ترديدها في مجلس ابن سعود ،في قصره بالرياض ،كلّما تناول الحديث قضية الامتياز (٣) .

وأصابت تلك العبارات هدفها . فإذا كان الريحاني اعتقد بأن السلطان قد رضخ لضغوط الإنكليز فعلى السلطان ان يثبت له انه صاحب سيادة وحرّية اختيار . وفي تلك الأثناء كان "هولمس" غادر الخليج عائدا الى بغداد يحمل خيبة الأمل . وإثر أسابيع اجتمع به الريحاني هناك وعلم انه سيزور الليدي "كوكس" في اليوم التالي

---

(١) راجع ، Power Play. P. 37.

(٢) Ibid. pp. 37-38.

(٣) Ibn Sa'oud of Arabia. P. 86 .

ليودّعها عائدا الى انكلترا . أما حين سأله لماذا لم يعد الى ابن سعود مراجعا بشأن الإمتياز فقد هزّ بكتفيه مجيبا : " إن حكومتي تعمل ضدّي " . لكن الريحاني طمأنه قائلا : " سأعطيك رسالة تسلّمها الى ابن سعود وأنا على يقين بأنه سيعطيك الإمتياز . لا تلق بالا لما يقوله السر برسي كوكس... على كل حال إقبل دعوة الليدي كوكس وقل لها انت عائد الى بلادك... ودّع السر " برسي " أيضا ، لأنه لو علم انك عائد الى الحسا ، لربّما سبقك الى السلطان مع بضعة اقتراحات مكتوبة بالقلم الرصاص . وفّقك الله وإلى اللقاء " (١) .

وعاد " هولمس " الى ابن سعود بعد بضعة أسابيع . وفي ربيع سنة ١٩٢٣ ، حصل على امتياز التنقيب عن النفط فوق منطقة مساحتها ستون ألف ميل مربّع ، تمتدّ من شواطئ الخليج حتى طرف/الحسا الخصبة . واتفق الطرفان على مبلغ ألفين وخمسمائة جنيه استرليني تدفعه الشركة التي يمثّلها " هولمس " الى إبن سعود سنويا مقابل التنقيب في تلك المنطقة التي أصبحت واحدة من أغنى مناطق النفط في العالم (٢) .

وذكر موزلي ان " هولمس " لم يوفق في العثور على النفط مع أنه كان موجودا هناك . ذلك ان شركته كانت تعوزها الإمكانات المادية الكافية فبقيت أبحاثها سطحية . كما انه أخفق في إقناع الشركات الأميركية ، كما كان يأمل ، بأن تأخذ منه الإمتياز ، ثم بعد عام ١٩٢٧ توقّف عن دفع المبلغ السنوي . وعلى الرغم من اخفاق " هولمس " فقد ذكر موزلي ان أهميته كمنت في انتزاعه الامتياز من الشركة الانكليزية ـ الفارسية التي

---

(١) Ibn Sa'oud of Arabia . P. 86.

(٢) راجع ، Power Play . P. 38 .

لو حصلت عليه لاكتشفت النفط بصورة شبه أكيدة ،ولانتقلت أغنى حقول النفط في العالم الى أيدي الإنكليز .

وإن لامتياز الحسا هذا ، دلالات هامة . فهو يثبت اندفاع الريحاني في عمله من أجل إبعاد الأيدي الحكومية البريطانية عن التغلغل في الأرض السعودية . ولعلّه يثبت غايته في تسليم الامتياز الي أيد تحافظ عليه كي ينتقل الى شركات أميركية في ما بعد . إلّا أن الأكيد هو أن الريحاني قد تمتّع بنفوذ واسع تمكّن معه من دحر المندوب السامي وإذابة جهوده كلّها ،واستطاع برسالته أن يقلب الموقف وأن ينتزع الإمتياز من يد الحكومة الانكليزية محوّلا تهديدات السر "برسي" الى كلام عقيم أجوف . ناهيك بما طرأ على موقف ابن سعود من تحوّل ،إذ استجاب للريحاني مغامرا بمبلغ سنوي مقداره ستون ألفا من الجنيهات كان يتقاضاها من الحكومة الانكليزية (١) راضيا بذلك المبلغ المتواضع الذي دفعه " هولمس" ثمنا للامتياز .

إلا ان ثمّة ما يدعو الى التساؤل في موقف أمين الريحاني من قضية امتياز الحسا . فهو قد بيّن دوره كاملا في مساعدة " فرنك هولمس" من خلال كتابه الإنكليزي " ابن سعود ،شعبه وبلاده" الذي طبعه في لندن وأعدّه للقرّاء الغربيين بالدرجة الأولى . لكنّه في كتابه " ملوك العرب" الذي توجّه فيه الى القراء العرب طمس دوره ذاك وأسقطه وأخفاه بحيث لا يمكن القارئ ان يشعر على الاطلاق بأن له ضلعا في مسألة الإمتياز . قال يذكر فوز "هولمس" بالامتياز ،وكأنه غريب تماما عن القضية :

---

(١) راجع ، Power Play. P. 37 .

" لذلك منحه السلطان عبد العزيز امتياز الحسا ،بالرغم من مقاومة الحكومة البريطانية التي كانت تفضّل ان تمنحه لشركة عبّادان " (١) . وأكمل يذكر عزم " هولمس " على طلب إمتيازات أخرى فعدّ فوزه المحتمل مقابلا لجزء من سعيه ، قال : " ثم شدّ الميجر أطنابه في الكويت وفي البحرين حتى وفي العراق ،فإذا جاء فوزه مقابلا لجزء من سعيه ،وكانت شركته بعيدة دائما عن السياسة ،قد يصبح أشهر من نالوا امتيازات في البلاد العربية وأحبّهم الى العرب" (٢) .

وفي التاسع من تمّوز عام ١٩٢٣ كتب (٣) الريحاني إلى شقيقه يوسف يشير إلى قضية الإمتياز الممنوح في منطقة الحسا من نجد . لقد ذكر ان المفاجأة الثانية التي تلقّاها ،وكانت الأولى تلقّيه جوادا أصيلا هدية من إبن سعود ، هي خبر من بغداد والكويت يفيد ان السلطان السعودي قد منح شركة انكليزية امتيازا للتنقيب عن النفط في منطقة الحسا . ثم ضمّن رسالته نسخا عن رسائل قد أصبحت في حوزة المصارف التي يتعامل معها في لندن، ذاكرا أن من شأنها ان تروي لأخيه باقي قصّة الإمتياز . وفي ذلك ما يمكن ان يؤكد ان الريحاني قد أفاد ماديا من جرّاء هذا الإمتياز . قال بالانكليزية :

---

(١) ملوك العرب . ج ٢،ص : ٦٩ .

(٢) م . ن . ص : ٦٩-٧٠ .

(٣) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٩ تموز عام ١٩٢٣ الى شقيقه يوسف .

" The other surprise I got last week was word from Baghdad and from Kuwait that a certain concession for oil in the province of Hasa, Najid, had been granted by the Sultan Abdul Aziz to an English Company. The enclosed copies of letters in my possession, with my Bankers in London now, in fact, will tell the rest of the story..."

وإذا تجاوزنا هذه القضية ألفينا الريحاني يجيب على تساؤلات أخيه يوسف،وكان بدوره مهتمّا ،على ما يبدو ،بامتيازات النفط في الموصل من العراق. لقد ذكر الريحاني لأخيه أن حلمه في نفط الموصل قضية أخرى. (ربّما لاختلاف الأوضاع بين الحسا والموصل). وأضاف ان لا أحد في العراق اليوم ،لا الملك فيصل ولا الحكومة البريطانية ،يستطيع ان يمنح امتيازات نفط لأي شخص كان . أما ما يشاع حول هذا الأمر فأكثره زائف خاطىء . قال متابعا يخاطب أخاه :

" You were dreaming about oil in Mosul -- that's another question. No one in Iraq, today, neither King Faisal nor the British Government can give oil concessions to any one. How little of the truth about the situation, and how much falsehood and yellow journalism is given out to the world."

ولا نعلم ما كان المطلوب منه أن يفعل بالنسبة الى نفط العراق ،انّما نراه يؤكد استحالة الفوز بأي امتياز . أما بالنسبة الى بلاد ابن سعود فالأمر مختلف تماما ،وقد ذكر لأخيه ان السلطان عبد العزيز هو أفضل صديق له في شبه الجزيرة كلها،وانه ملك مستقل يستطيع ان يفعل ما يشاء بالنسبة الى أرض مملكته . قال في الرسالة نفسها :

" But Ibn Sa'oud, that is the Sultan Abdul 'Aziz, my best friend in all Arabia, is an independent monarch, and can do as he dam pleases in his own land and with it."

فالريحاني هنا يشير الى امتياز الحسا الذي أثار ضجة في الأوساط المالية في لندن ،ذلك الإمتياز الذي أرسلت وزارة الخارجية الأميركية تستفهم بشأنه فأمدّها الريحاني بالمعلومات عبر القنصل العام في بيروت • قال :

" The Hasa Concession is now the talk of London financial circles, and the State Department has written to the Consul General in Beirut about it. He showed me the letter and I gave him the information they wanted."

وبعد، فإن هذه الرسالة غير واضحة تمام الوضوح وربّما لأنها جاءت في بعض نواحيها، ردّا على أسئلة معيّنة كان أخوه يوسف قد وجّهها بشأن نفط العراق ••

أخيرا ،فإننا بالنسبة الى امتياز الحساء لسنا نعلم بالضبط اذا كان الريحاني أضاف غايات شخصية معيّنة جعلته يوطّد صلاته بطالب الإمتيازات " فرنك هولمس" نفسه بعد ذلك• إن ما بين أيدينا من أدلّة ،وإن أثبتت نشوء علاقة بين الرجلين ،فهي لا تذكر تفاصيل كافية واضحة الدلالات •

ففي تاريخ العشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٣ ،كتب(١) الريحاني مرّة أخرى الى شقيقه يوسف مشيرا الى امتياز الحساء، فذكر انه لا يزال ينتظر كلمة من أخيه حول شيء طلبه منه بخصوص ذلك الامتياز • ثم أضاف ان الميجر هولمس ينتظر وصوله الى الفريكة خلال اسبوعين • قال بالانكليزية :

" I have written about the oil concession in Hasa and still expect a word from you about something I asked concerning it. Major Holmes of the General and Eastern Syndicate is expected in Freike in a fortnight from today."

ثم بعد ذلك،وفي العاشر من آذار عام ١٩٢٤، نقع على رسالتي تعريف كتبهما أمين الريحاني من أجل تسهيل دخول حاملهما ،شقيقه ألبرت الريحاني، الى العراق • وجاء في الرسالة(٢) الأولى، الموّجهة الى المستر " ديتشبيرن " (A. M. Ditchbuirn) المستشار السياسي في منطقة الرمادي من العراق: هذا الكتاب يعرّفكم بأخي السيد ألبرت ريحاني الذاهب عبر بغداد والبصرة الى البحرين ليلتحق هناك بالميجر " فرنك هولمس" من النقابة الشرقية العامة بلندن • قال بالإنكليزية :

" This will introduce to you my brother Mr. Albert Rihani who is going through Baghdad and Basrah to Bahrein, to join there Major Frank Holmes of the Eastern General Syndicate Ltd. of London."

---

(١) رسالة وّجهها من الفريكة بتاريخ ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢٣ الى شقيقه يوسف•
(٢) رسالة وّجهها من الفريكة بتاريخ ١٠ آذار عام ١٩٢٤ الى المستر "دتشبرن" المستشار السياسي بالرمادي •

أما الرسالة الثانية[١] ، فقد وجّهها الى المستر "مونك" (Monk) ، مدير الجمارك في بغداد ، وهي لا تخرج في مضمونها على ما رأيناه في الرسالة الأولى .

أما سبب تواجد "فرنك هولمس" في البحرين فكان من أجل الحصول على امتياز للنفط هناك . وقد حصل عليه بالفعل سنة ١٩٢٥ كما ذكر ليونارد موزلي في كتابه " لعبة القوى "[٢] . كذلك كان "هولمس" يلاحق في الوقت نفسه امتيازا آخر للنفط في الكويت . وهنا أيضا تدخل أمين الريحاني لدى حاكمي البلدين ، الكويت والبحرين ، من أجل ان يفوز "هولمس" بالإمتيازين اللذين كانت تنافسه عليهما شركة عبّادان السابقة نفسها . كتب في تموز عام ١٩٢٣ الى عبد الرحمن النقيب ، وهو مسؤول كويتي ، يقول : "كتبت إليكم في السادس من هذا الشهر وطيّه كتاب الى سموّ الشيخ أحمد فعسى ان يكون وصل إليكم وأحظى بالجواب قريبا . والآن أزيدكم علما بخصوص الإمتياز"[٣] . ويكمل ليذكر انه تلقّى كتابا من "فرنك هولمس" يقول له فيه إن الحكومة الانكليزية تشاء ان يعطى امتيازا البحرين والكويت بواسطتها لأسباب سياسية . وأضاف الريحاني قائلا إن هذه الحكومة ستخابر حكام البلدين بخصوص الامتيازين وستبذل ولا شك الجهد في اقناعهم بأن يعطوهما الى شركة عبّادان ولكن لا تكرههم على ذلك . ورأى الريحاني ان معياري الإستقلال والوطنية هنا إنّما يكمنان في خذل شركة عبّادان وتسليم الامتيازين الى شركة "فرنك هولمس" . قال في الرسالة متابعا ، يقصد الشيخ أحمد جابر آل الصباح : "فعلى الشيخ أحمد اذا _ وقد كتبت الى الشيخ عبد الله آل خليفة في الموضوع _ ان

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ١٠ آذار عام ١٩٢٤ الى المستر "مونك" ، مدير الجمارك في بغداد .

(٢) راجع ، Power Play. PP. 45-46.

(٣) رسائل أمين الريحاني . ص: ٢٠٩ .

يثبت في موقفه ويجاوب الحكومة الإنكليزية جوابا يدلّ على استقلاله ومعرفته مصلحة بلاده . وحجته الأولى ان الشركة التي يفضّلها هي إنكليزية فكيف تعارض الحكومة الانكليزية بذلك؟ "(١)

وعلى لهجة من التملّق دعا حاكم الكويت الى عدم الخضوع للإنكليز ملوّحا بما سيكتبه في هذا الحاكم وسياسته في كتابه "ملوك العرب" قال : "وفي كتابي "ملوك العرب"، في الجزء الذي يختصّ بآل صباح، سأكتب طبعا شيئا عن الحاكم الحالي وسياسته . فعسى ان يمكنّني من كتابة الكلمة التي أريدها . وهي أنه حاكم وطني قبل كل شيء ولا يأتمر بأمر الإنكليز بل يقبل رأيهم فيما يراه معززا لمصلحة الوطن ومعزّزا لآمال الأمة العربية بالإستقلال السياسي التام"(٢) .

بل إنه تجاوز هذا كلّه فرأى في شركة عبّادان ما يهدم الفضائل العربية والآمال ويحفر تحت أساسها، ناصرا جانب شركة "هولمس" على اندفاع لعلّه اقترن بغاية بعيدة. قال: "وإني لا أرى في شركة عبّادان اذا تملّكت في بلادكم غير ما يحفر تحت أساس كل هذه الفضائل والآمال العربية. فكونوا متيقّظين وفي حقوقكم ثابتين"(٣) . ثم أنهى رسالته بحثّ عبد الرحمن النقيب، على دعم موقف الريحاني لدى حاكم الكويت.

وبعد، فهل نعزو حماسة الريحاني تلك في دعمه جانب شركة "هولمس" مرارا، في نجد والبحرين والكويت، الى غاية خاصة في النفس؟ هذا ما نميل إليه، لا سيّما اذا

---

(١) رسائل أمين الريحاني . ص: ٢١٠ .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن .

بسطنا ما آلت اليه تلك الامتيازات التي نالها " هولمس" ،يدعمه الريحاني ،من نتائج .

لقد ترك هذا الرجل منطقة الحسا لعجزه المادي عن القيام بأعباء التنقيب، ولإخفاقه في بيع الإمتياز . انتقل الى البحرين دون ان يدفع ذلك البدل المتواضع لابن سعود . هناك حصل على امتياز آخر في العام ١٩٢٥ ،جدّده بعد ذلك في العام ١٩٢٧ . وفي تلك السنة باع امتياز البحرين مانحا الأفضلية لشركة أميركية اسمها " شركة الخليج الشرقية للزيت" او " Eastern Gulf Oil "، التابعة لـ "شركة الخليج للزيت" أو " Gulf Oil Company " . وقد تبيّن لتلك الشركة غنى منطقة الامتياز بالنفط وإمكان المباشرة بأعمال الحفر فورا . لكنّما صعوبات قانونية حالت دون تنفيذ المشروع فتخلّت عنه الشركة المذكورة لشركة "ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا" الأميركية ،المعروفة اصطلاحا باسم " SOCAL " . سرعان ما صادفت هذه الأخيرة مشاكل نشأت عن كون منطقة امتياز البحرين يقتصر التنقيب فيها على الشركات البريطانية . وقد احتاجت الى سنتين صرفتهما في الإجراءات حتى تمكّنت من تخطّي تلك العقبة او تلافيها . لقد لجأت الى تفادي الموانع القانونية عن طريق تأسيس شركة بريطانية الصبغة ،متوافقة مع الشروط التي تخوّلها حقّ العمل في منطقة النفوذ البريطاني . وفي أول آب عام ١٩٣٠ أوكلت امتيازها الى فرعها الكندي المؤسس حديثا والمسمّى " شركة البحرين للنفط" أو " Bapco " اصطلاحا . وقد رأسه " فرنك هولمس" نفسه . وفي الرابع عشر من تشرين الأول عام ١٩٣١ تدفّقت أول بئر للنفط في البحرين (١) .

---

(١) راجع ، Power Play. PP. 45-47 .

على أنه قبل هذا التاريخ ،كان خبراء الشركة ـ الأم " SOCAL "، يرجّحون وجود مقادير كبيرة من النفط ،هناك في الحسا من أرض ابن سعود ، على بعد عشرين ميلا من البحرين . لذلك حاول هؤلاء الإتصال بابن سعود لنيل ذلك الإمتياز الذي كان " هولمس" قد انتزعه من طريق الانكليز ثم سافر الى البحرين . وفي رسالة [١] للريحاني ،سبق ذكرها ،تعود الى أول أيلول من عام ١٩٣١،إشارة إلى اجتماع مزمع عقده بين جهة أميركية وبين ابن سعود، يحضره الريحاني ،لعلّه كان يمتّ بصلة إلى الإمتياز،خاصة وان ذلك الإجتماع كان يحتمل انعقاده في منطقـــة الحسا من نجد .

ومن جهة ثانية فقد ذكر " ليونارد موزلي " أن قضية امتياز الحسا عادت لتشغل الانكليز من جديد ،بل لتتّخذ طابع المنافسة الشديدة بينهم وبين الأميركيين [٢] . ترتّب عليهم ان يواجهوا منافسا كان قد ثبت مواقعه بنجاح على الخليج في البحرين . إلّا أن تلك المنافسة قد انجلت في التاسع والعشرين من أيار عام ١٩٣٣ عن فوز الأميركيين بامتياز الحسا [٣] ،ممّا سبّب دخول الرأس المال الأميركي والعقول والتقنيات الأميركية الى الخليج الفارسي، وأدّى الى تغيير مجرى تاريخ شبه الجزيرة العربية كما ذكر موزلي . بل إنه أضاف ان هذا الإمتياز قد فتح باب الشرق الأوسط واسعـــا أمام الولايات المتحدة إذ أضافت الى رجلها المزروعة في البحرين رجلا أخرى زرعتها داخل شبه الجزيرة ،كما شكّل هذا الأمر بداية النهاية للسيطرة البريطانية على الخليج

---

(١) رسالـة وجّهها من الفريكة بتاريخ ١ أيلول عام ١٩٣١ الى المدعو " موراي "

(٢) راجع ، Power Play. PP. 48-53

(٣) راجع ، Ibid., P. 53 .

الفارسي إضافة الى خسارة انكلترا أكبر حقول النفط في الشرق الأوسط على الإطلاق (١) .

وبعد ،فنحن لا نميل الى موافقة موزلي ،وقد عزا حماسة الريحاني واندفاعه في نصرة هولمس الى ما أحسّه من نفور وعدم استلطاف حيال السر " برسي كوكس " (٢) . كما إننا لا نعتقد أن غضب الريحاني لتلك المعاملة التي تلقّاها " هولمس " بادئ الأمر قد شكّل سببا كافيا يبرّر تدخّله الى جانبه على ذلك الشكل المتمادي . ولعلّ دعم الريحاني لمواقف " هولمس " في الحسا والبحرين والكويت ،يفارق الرغبة العارضة العابرة بالمساعدة ،الى ما يشبه التبنّي او التدخّل الجادّ الهادف ،تعلّلا بغاية أيسر ما يقال فيها انها رمت الى زعزعة النفوذ الإنكليزي الحكومي في هيمنته على مرافق الثروة العربية . كذلك فنحن نشير الى أن امتيازيّ الحسا والبحرين اللّذين عمل الريحاني كي ينالهما " هولمس " قد شكّلا الثغرتين اللتين نفذ عبرهما الأميركيون متغلغلين . وبعد فإن ذلك التلاقي بين ما عمل له الريحاني ثمّ توسّله الأميركيون لاحقا من نقطتي ارتكاز فانطلاق ،قد لا يكون قد تمّ بمحض الصدفة والاتّفاق .

٤ — أمين الريحاني والمنفعة الخاصة :

ثم إنّنا قد عثرنا على بعض إشارات تدلّ على أن الريحاني ربّما كان قد سعى بحكم اتّصاله الوثيق ببعض ملوك العرب ،الى استثمار تلك العلاقة بما يعود

---

(١) راجع ، Power Play. P. 53.

(٢) راجع ، Ibid. P. 39 .

بالنفع على بعض ذويه[١] . ولعلّه استخدم معلوماته حول بلاد ابن سعود خاصة ليسدي توجيهات او ليوفّر فرصا يفيد منها أهله وخاصته . ويبدو ان الريحاني كان في جدّة، في شهر حزيران من عام ١٩٣١، يتدارس وابن سعود قضايا مصرفية مالية ربّما دارت على السعي الى إنشاء مصرف في الحجاز . وفي إطار هذه الغاية كتب[٢] إلى شقيقه ألبرت الريحاني في نيويورك ، بتاريخ الثاني والعشرين من حزيران ١٩٣١ ، ذاكرا انه يضمّن كتابه الى أخيه نسخا لرسائل خطّها في اليوم نفسه من شأنها ان تروي القصة الكاملة لزيارته لجدّة ومباحثاته مع جلالة الملك . ثم طلب من أخيه، بعد أن يفرغ من قراءة نسخ الرسائل تلك، ان يتوجّه الى المدعو "فروليك" فيبلّغه سلام أمين الريحاني ويطلب نصائحه كما ذكر انه بامكانه ان يريه نسخ الرسائل المذكورة . وعلى شيء من الابهام أضاف انه اذا كان المدعو "بورزوورث" (Borsworth) لا يتوصّل الى شيء مع المدعو "هاريس" (Harris) ، فإن المشار إليه بحرف "ف"، ولعلّه "فروليك" نفسه ، يمكنه ان يقترح مؤسسة مصرفية أخرى ، وذكر ان المطلوب مؤسسة مصرفية قادرة على القيام بعمليات مصرفية مختلفة وليس المطلوب مصرفا وطنيا يقتصر عمله على تقديم السلفات فحسب . قال بالانكليزية :

" Read the enclosed copies of letters written today and you will get the whole story of my visit to Jeddah and my conferences with His Majesty. And after reading, them, go to see Mr. Fro elick , give him my salaams, and get his advice. You may show him the letters. If Borsworth does not do anything with Harris, then, F. may suggest another banking house. It must be a banking house to undertake miscellanous financial operations and not a national bank, which confines its business to loans."

---

(١) نشير كذلك الى ما سبق ذكره في هذا البحث عن دعمه قضية أخيه يوسف لدى وزارة الخارجية الأميركية .

(٢) رسالة وجّهها من مكان بين جدّة والسويس بتاريخ ٢٢ حزيران عام ١٩٣١ الى شقيقه ألبرت.

ثم تابع رسالته فطلب من أخيه الاستعانة بالشقيق الآخر يوسف ،إذا كان هذا الأخير لا يزال في نيويورك • وأضاف أن هناك فرصة سانحة لألبرت كما ليوسف ،إذا كان قد خسر قضيته : قال متابعا بالانكليزية :

" If Joe is still in New York, he will be of great help too. Here is a chance for you, for him also - if he has lost his case.."

ويبدو ان " البرت" شقيقه ،كان قد سأله في أمر يتّصل بتجارة السيارات وامكان تحقيق مثل ذلك المشروع في الحجاز • وقد أجاب أمين الريحاني في الرسالة نفسها ذاكرا ان تجارة السيارات قد كثر الاشتغال بها في الحجاز وانها تستهلك الكثير من أموال البلاد ،لذلك فأهل البلاد لا يملكون ما يكفي للإقبال عليها • أما إذا استثمرت آبار النفط في الشمال فإن البلاد ليمكنها أن تؤمن حاجتها من الوقود وهذا ما سيساعد كثيرا • لذلك فليس بمستطاع تجارة السيارات ان تزدهر قبل ذلك الأوان • قال بالانكليزية :

" The automobile business has been overdone in Hijaz. It is consuming, too much of the country's hard cash, and they have little or nothing to show for it. If the oil fields in the north are developped, the country will then have its own supply of oil, and that will be a great help. Not until then, however, is the automobile business likey to pick up.."

وبعد أن نفى رواج تلك التجارة عاد يذكر لأخيه قضية المصرف الذي يتوق ابن سعود لإنشائه في جدة من أجل تمويل المشروعات الإقتصادية المختلفة،مضيفا ان أعمال المصرف ستكون مضمونة بالنظر الى ما يغله موسم الحج السنوي • ثم إن المصرف يحتاج الى سكرتير يعرف العربية والانكليزية وهذا ما يستطيع "ألبرت" ان يقوم به،فهو يمكنه أن يحصل على وظيفة في مصرف،ولو كان في الحجاز • قال بالانكليزية :

" The King is anxious to have a bank established in Jeddah to finance the various economic schemes, and there is ample security for this in the annual revenue of the Hajj. And this bank will need a secretary who knows Arabic and English, and there you are. You might get your job in a bank yet, even if it be in the Hijaz."

ثم تابع رسالته بقوله إنه إذا كان الشقيق الآخر "يوسف قد عاد إلى "مريدا" فعلى "ألبرت" ان يبعث إليه بهذه الرسالة مرفقة بنسخ الرسائل المشار إليها سابقا وذلك طلبا للنصائح . وأضاف أمين الريحاني انه لا يستطيع ان يرسل من الحجاز أية نصائح مفصلة، لكنّه أوصى أخاه باليقظة والرويّة والتفكير وسأله أن يستعين بالمدعو "فروليك" أولا وأن يبقى على اتصاله بالمدعو "بورزوورث" . قال :

" If Joe is gone back to Merida, send him this letter together with the copies enclosed and ask him to return them to you with his advice. I can not offer from this distance any advice in detail. Be alert, think out everything you want to do before you do it, and let our friend Froelick be the first guiding light. And keep in touch with Borsworth."

ويبدو ان "ألبرت الريحاني" كتب الى شقيقه أمين في الفريكة بتاريخ الخامس عشر من تموز عام ١٩٣١ يسأله إمكان حصوله على منحة دراسية من مكة . وفي رسالة[١] لأمين

---

(١) رسالة وجّهها من الفريكة بتاريخ ٢ آب عام ١٩٣١ الى شقيقه ألبرت .

بتاريخ الثاني من آب عام ١٩٣١، موجّهة الى "ألبرت" ،أشار الى هذا الأمر وذكر أن سنتين من الدراسة لمن كان في عمر "ألبرت"،كما في الظروف الراهنة ،هما شيء خارج البحث. وأضاف ان المنحة الدراسية التي يعتقد "ألبرت" ان الحصول عليها ممكن من مكة هي أيضا خارج البحث . قال :

" Two years of schooling, at your age and under the present circumstances, is out of the question. The scholarship, too, which you think can be obtained from Mecca, is out of the question."

غير أن أمينا كان يعمل ما في وسعه من أجل توفير الفرص لأخيه "ألبرت" . ذكر هذا الأمر فقال متابعا :" إني أعمل كل ما في وسعي لأفتح أمامك أبواب الفرص." ثم أعاد الى ذهنه قضية المصرف ،فذكر ان جهات مختلفة ،بريطانية ،مصرية ،ألمانية، وغيرها، لتتمنّى ان تحصل على امتياز المصرف الذي ينوي ابن سعود منحه الى مؤسسة مصرفية أميركية ... وذكر توفر الأعمال المصرفية في الحجاز ليشير بعد ذلك الى كتاب ضمّنه رسالته الى أخيه ،موجّه الى المستر "فروليك" السابق نفسه ،فطلب من "ألبرت" أن يقابله مجددا ،مضيفا أنه في حال تبلور أي شيء يجب على "ألبرت" ان يكون ضمن البعثة الأولى ،المالية او الاقتصادية ،التي قد تؤم الحجاز . قال بالانكليزية يخاطب "ألبرت" :

" I am doing all I can to open doors of opportunity for you--- Many financial . concr. English, Egyptian, Dutch, etc., would be very glad to get from the King the concession, which he is willing to give to an American Banking house. There is plenty of business, purely banking, to be done in Hijaz... I am enclosing a letter

" to Mr. Froelick. See him again, and make up your mind to get in on the bottom floor, (joe will explain to you this term) should anything materialize. You should be with the delegation -- financial or economic -- the first delegation that may come over."

وواضح الى حدّ ،من خلل ما تقدّم جميعه ،ان أمين الريحاني هدف الى تأمين مؤسسة مصرفية أميركية عن طريق أخيه ألبرت وبالإستعانة بالمدعو "فروليك" ، مؤسسة يكون أخوه من بين أعضائها او موظّفيها ..

والواقع أن أمينا قد سعى الى تأمين وظيفة لأخيه "ألبرت" عن طريق آخر أيضا . ففي الثالث من نيسان عام ١٩٣٣ أرسل كتابا[١] الى المسؤول عن معرض شيكاغو ،المدعو "مارتن"،ذكر فيه انه قد عمل باقتراحه وأطاع نداءه،فأرسل نداء الى الملك فيصل والملك عبد العزيز ابن سعود والإمام يحيى ورئيسي جمهوريتي سوريا وجبل لبنان وزعيمي فلسطين الحسيني والنشاشيبي ،يدعوهم فيه للإشتراك في المعرض. واستمرّ فذكر للمسؤول انه لا ريب يحتاج الى تعيين مشرف على الجناح العربي . وانه عندما يصل الى تلك الناحية فالريحاني لا يجد أفضل من أخيه ألبرت الذي هو الآن في نيويورك بدون وظيفة . وأضاف انه لم يقترح اسم أخيه على الملك (فيصل) مخافة ان يعزو ذلك الى غاية خاصة عنده . وتابع ليعدّد صفات أخيه ومؤهلاته : فهو قد سافر الى شبه جزيرة العرب ،وهو عربي وطني يستطيع ان يمثّل العرب تمثيلا لائقا ويهتم بأمر معروضاتهم . قال بالإنكليزية .

---

(١) رسالة وجّهها من بيروت بتاريخ ٣ نيسان عام ١٩٣٣ الى المدعو "مارتن" . (Martin) .

" Acting upon your suggestion - obeying your call - I have sent out an appeal to King Faisal, King Abd ul-Aziz ---, about an Arab exhibit of some real worth at the exposition....

Of course, you will need a man to take charge during the exposition period. In the event of everything going through, when you reach this point of appointing a man, I can think of no one better than my brother Albert Rihani, who is now at International House (500 Riverside Drive) New York -- and without a job. I haven't suggested his name to the King lest he might think that I was especially interested. Albert has travelled in Arabia, is an Arab patriot, and would adequately represent the Arabs and take charge of their exhibits..."

ونرى ان هذه الرسالة لا تحتاج الى التعليق .

أخيرا فإنه على الصعيد الشخصي أيضا ، كتب[١] الريحاني إلى أحد أصدقائه ، المدعو ، إبراهيم ، في التاسع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٣٤ ، يعلمه بتفاصيل قضية ترحيل الأشوريين من العراق[٢] . ويبدو ان ذلك الرجل كان من المشتغلين بالمواصلات البحرية راغبا في أن ينقل المهاجرين الى وجهتهم . وقد أبدى له الريحاني توجيهات يفوز معها بالمطلوب دون سائر

---

(١) رسالة وجّهها من العراق بتاريخ ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٣٤ الى المدعو (ابراهيم)
(٢) راجع ، فيصل الأول . ص: ٢٦٣ _ ٢٦٥ .

الشركات • قال له : نحن (؟) نعتقد أنّك ستفوز بالأفضلية على الآخرين إذا جعلت عرضك يشمل النقل الى بيروت • في تلك الحالة عليك ان تقوم برحلة الى الموصل والمناطق المجاورة حيث يعيش الأشوريون الآن • ان الطريق سيمهّد أمامك • قال بالانكليزية :

" .. We think that you will have the advantage over others by making the offer to include overland transportation to Beyrouth. In that case you will have to make a trip to Mosul and the surrounding country, where the Assyrians live now . The way for you will be facilitated."

خاتمـــــــــــة

وبعد ،فإننا وقد فرغنا من بسط تلك الفصول ،لنخلص الى تقدير مدى الصفاء او نسبة الصدق في نزعة أمين الريحاني العربية فنقول :

لا شكّ أن أمين الريحاني كان في جوانب كثيرة من نزعته العربية على قدر من الإندفاع الأصيل كبير . وقد عاينّا ما كرّسه من جهود ،خطيبا وكاتبا، من أجل محاربة آفات أمته المختلفة . كذلك التزم على شيء كثير من الصدق قضايا العرب وكان يطمح ،على صورة ما ،الى ضم الفروع في بوتقة تعزّزهـــا .

لكن الريحاني ،وقد ضرب جذورا عميقة في المنبت الأميركي، بحيث بقـي حتى أواخر حياته ،وبالتحديد الى العام ١٩٣٩ ،يفاخر بجنسيته المكتسبـة ويرعى أمله بالإقامة الدائمة والنهائية في تلك البلاد (١) ،إنما أفرد للمصلحة الأميركية قسطا من جهوده نرجّ انه شاب صفاء نزعته العربية كما شـــاب النزعة إيّاها شيء من المصلحة الخاصة .

---

(١) راجع ،رسالة وجّهها من نيويورك بتاريخ ٤ نيسان عام ١٩٣٩ الى المستر شبلي (R. B. Shipley) ،رئيس قسم الجوازات في وزارة الخارجية الأميركية

المصادر

١ــ الريحاني ، أمين • نبذة في الثورة الفرنسية • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٧٢

٢ــ " " المحالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٧٢ •

٣ــ " " المكاري والكاهن • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٦٩ •

٤ــ " " سجل التوبة • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٧٣ •

٥ــ " " الريحانيات • جزءان • دار الريحاني ، بيروت ، ١٩٦٨ •

٦ــ " " زنبقة الغور • دار الريحاني ، بيروت (لا تاريخ) •

٧ــ " " خارج الحريم • مطابع صادر ــ ريحاني ، بيروت • ١٩٤٨ •

٨ــ " " ملوك العرب • جزءان • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٦٧ •

٩ــ " " تاريخ نجد وملحقاته • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٧٢ •

١٠ــ " " النكبات • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٤٨ •

١١ــ " " التطرّف والاصلاح • مطابع صادر ــ ريحاني ، بيروت • ١٩٥٠ •

١٢ــ " " أنتم الشعراء • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٥٣ •

١٣ــ " " فيصل الأول • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٥٨ •

١٤ــ " " وفاء الزمان • دار الريحاني ، بيروت • لا تاريخ •

١٥ــ " " قلب العراق • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٥٧ •

١٦ــ " " المغرب الأقصى • دار المعارف بمصر • ١٩٥٢ •

١٧ــ " " نور الأندلس • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٦٩ •

١٨ ـ الريحاني ،أمين • قلب لبنان • دار الريحاني ،بيروت • ١٩٧٠ •

١٩ ـ " " وجوه شرقية غربية • دار الريحاني ،بيروت • ١٩٥٧ •

٢٠ـ " " أدب وفن • دار الريحاني ،بيروت • ١٩٥٧ •

٢١ـ " " هتاف الأودية • دار الريحاني ،بيروت • ١٩٥٥ •

٢٢ـ " " القوميات • جزءان • دار الريحاني ،بيروت • ١٩٥٦ •

٢٣ ـ " " بذور للزارعين • دار الريحاني ،بيروت (لا تاريخ) •

٢٤ـ " " رسائل أمين الريحاني • دار الريحاني ،بيروت • ١٩٥٩ •

٢٥ـ "الريحاني ،ألبرت • الريحاني ومعاصروه • رسائل الأدباء إليه • دار الريحاني ، بيروت • ١٩٦٦

٢٦ـ مجموعة مصوّرة من رسائل أمين الريحاني الانكليزية غير المنشورة ،موجودة في حوزة الدكتور نديم نعيمة •

المصادر الانكليزية

1- Rihani, Ameen. The Quatrains Of Abul-'Ala'. Doubleday, Page and Co, N.Y. 1903.

2- " " The Book of Khalid. The Rihani House, Beirut, 1973.

3- " " The Luzumiyat of Abul'Ala'. James.T.White and Co, N.Y. 1918.

4- " " The Path Of Vision. The Rihani House, Beirut, 1970.

5- " " A Chant of Mystics. The Rihani House, Beirut, 1970.

6- " " Ibn Saoud Of Arabia. Constable and Co. LTD, London. 1918.

7- " " Around The Coasts Of Arabia. Constable and Co. LTD, London. 1930.

8- " " Arabian Peak and Desert. Constable and Co. LTD, London. 1930.

9- " " The Fate of Palestine. The Rihani House, Beirut, 1967 .

المـــــراجــــــع

الأشتر، عبد الكريم · النثر المهجري · دار الفكر الحديث، لبنان · ١٩٦٤ ·

أنطونيوس، جورج · يقظة العرب · تعريب علي حيدر الركابي · مطبعة الترقي، دمشق ١٩٤٦ ·

باقي، واصف · أمين الريحاني وأثره في النهضة الأدبية الحديثة · مكتبة النوري، دمشق · لا تاريخ ·

جبر، جميل · أمين الريحاني · الرجل والأديب · مطبعة فاضل وجميّل، بيروت · لا تاريخ ·

" " · أمين الريحاني · سيرته وأدبه · المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت · لا تاريخ ·

حوراني، ألبرت · الفكر العربي في عصر النهضة · ترجمة كريم عزقول · دار النهار للنشر، بيروت · لا تاريخ ·

الخطيب، حكمت صبّاغ · أمين الريحاني رحّالة العرب · بيت الحكمة، بيروت · ١٩٧٠ ·

داغر، يوسف أسعد · مصادر الدراسة الأدبية · الجزء الثاني · مطابع لبنان، بيروت · ١٩٥٦ ·

دقّاق، عمر · الاتجاه القومي في الشعر المعاصر · معهد الدراسات العربية العالية · ١٩٦١ ·

الرافعي، توفيق · أمين الريحاني ناشر فلسفة الشرق في بلاد الغرب · مكتبة الهلال، مصر · لا تاريخ ·

الراوي، حارث طه · أمين الريحاني · جوانب شخصيته وأثره في نهضة العرب · دار ريحاني، بيروت · لا تاريخ ·

الرفاعي، شمس الدين · تاريخ الصحافة السورية · الجزء الأول · دار المعارف بمصر · ١٩٦٩ ·

الريحاني ، ألبرت . أمين الريحاني . تآليفه ، حياته ، ومختارات من آثاره . مطبعة الريحاني ، بيروت ١٩٤١ .

زين ، نور الدين زين . نشوء القومية العربية . دار النهار للنشر ، بيروت . ١٩٧٢ .

سابا ، عيسى ميخائيل . أمين الريحاني . دار المعارف بمصر ، القاهرة . ١٩٦٨ .

شريف ، محمد بديع . المحاسني ، زكي . عبد الكريم ، أحمد عزت . دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة . مطبعة الرسالة ، مصر . لا تاريخ .

طربين ، أحمد . الوحدة العربية بين (١٩١٦ ـ ١٩٤٥) . المطبعة الكمالية ، مصر . ١٩٥٩ .

عباس ، إحسان ، نجم ، محمد . الشعر العربي في المهجر . أميركا الشمالية . دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت . ١٩٥٧ .

عبّود ، مارون . أمين الريحاني . دار المعارف بمصر ، القاهرة . ١٩٥٣ .

فرج ، محمد . الأمة العربية على الطريق الى وحدة الهدف . دار الفكر العربي . لا تاريخ .

الكيالي ، سامي . أمين الريحاني . المطبعة المارونية ، حلب . ١٩٤٨ .

اللجنة المركزية لتكريم ذكرى الريحاني . ذكرى أمين الريحاني . ١٩٤٥ .

مكرزل ، ماري . تاريخ جريدة الهدى والجوالي اللبنانية في أميركا ١٨٩٨ ـ ١٩٦٨ . مطبعة الهدى ، نيويورك . ١٩٦٨ .

موسى ، محمد علي . أمين الريحاني . حياته وآثاره . دار الشرق الجديد . بيروت . ١٩٦١ .

موسى ، منير مشابك . الفكر العربي في العصر الحديث . دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت . ١٩٧٣ .

Moseley, Leonard. Power Play. Willmer Brothers Limited, Birkenhead. 1973.